د. عبد اللطيف الصوفي

اللغة ومعاجمها

في المكتبة العربية

Bibliotheca Alexandrina

للدراسات والترجمة والنشر
دمشق ــ اوتوستراد المزة
هاتف ٢٤٤١٢٦ ــ ٢٤٣٩٥١
تلكس ٤١٢٠٥٠
ص. ب: ١٦٠٣٥
العنوان البرقي
طلاسدار
TLASDAR

ريع الدار مخصص
لصالح مدارس ابناء الشهداء في القطر العربي السوري

اللغة ومعاجمها

في المكتبة العربية

جميع الحقوق محفوظة
لدار طلاس للدراسات والترجمة والنشر

الطبعة الأولى
١٩٨٦

د. عبد اللطيف الصوفي

دكتوراة في الوثائق والمكتبات من جامعة ڤيينا
استاذ مساعد في قسم المكتبات والمعلومات
في جامعة قسنطينة بالجزائر

اللغة ومعاجمها
في المكتبة العربية

الآراء الواردة في كتب الدار تعبر عن فكر مؤلفيها
ولاتعبر بالضرورة عن رأي الدار

المقدّمة

كانت الحضارة العربية التي أقام أجدادنا صرحها في أوج قوّتهم، وبخاصة تلك التي ازدهرت في العصر العباسي من أهم الينابيع التي ارتوت منها النهضة العربية الحديثة، مثلما نهل ينبوعها الغرب الأوروبي في عصر النهضة، فقد حُفظ جانب هام من التراث العربي في اللغة والأدب والعلوم والفنون بعد أن سَلِم من الكوارث والنكبات، ليجد فيه المثقفون العرب في عصرنا الحاضر نبراس هداية، ولينطلقوا منه نحو آفاق جديدة من الإبداع والابتكار.

لقد قدّم العرب خدمات جُلّى للإنسانية في جميع الميادين، ونبغ منهم علماء أجلاء، أغنوا المكتبة العربية بمؤلفاتهم الخالدة، حتى إن مكتبة واحدة هي مكتبة الصاحب ابن عبّاد (326-385هـ) كانت تحوي من الكتب ما كان موجـــوداً في مكتبات أوروبا مجتمعة آنذاك.

إلاّ أن الأهوال التي ألمت بالوطن العربي في مشرقه ومغربه ألحقت بالثقافة ومصادر المكتبة العربية عدداً متلاحقاً من المصائب تفوق حدَّ التصور، وبقي ما بقي من هذا التراث الخالد ينتظر من ينفض عنه غبار الزمن بعد غفوة، ليجعل منه ركيزة لبناء حضارة جديدة، وكان له ما أراد بفضل أعلامنا العرب الذين انكبوا عليه درساً وجمعاً وتحقيقاً، وما مصادر هذا التراث العظيم إلاّ الأعمدة القوية التي يرتكز عليها بناء المكتبة العربية، والنوافذ التي نرى عبرها ثقافتنا وحضارتنا.

لقد بذل زملاؤنا من الأساتذة الأجلاء في جامعات المشرق العربي جهوداً مشكورة في التعريف بهذه المصادر، وبخاصة ما يهم اللغة والأدب، فشرحوا طرائق تصنيفها، ووسائل الرجوع إليها،

بعد أن عرّفوا بها وبمحتوياتها، سعياً منهم في تقديمها للقراء، وجعلها قريبة التناول، سهلة المطلب. ومن بين أهم من تصدّى للتأليف في هذا المجال الأستاذ الدكتور حسين نصّار في كتابه «المعجم العربي، نشأته وتطوره»، والاستاذ الدكتور أمجد الطرابلسي في كتابه «نظرة تاريخية في حركة التأليف العربية»، والاستاذ الدكتور عمر الدّقاق في كتابه «مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم» والدكتور عزة الحسن في كتابه «المكتبة العربية دراسة لأمهات الكتب في الثقافة العربية»، وغيرهم.

ولمّا كانت الحاجة ومازالت ماسة إلي مرجع من هذا النوع، يعرّف طلبة العلم والباحثين العرب بأهم مصادر المكتبة العربية في اللغة والمعاجم، ويرشدهم إلى طرق استخدامها، والرجوع إليها، لذلك عكفت على تأليف هذا الكتاب، معرّفاً بأهم كتب اللغة والمعجمات العربية، شارحاً طرائق تصنيفها، وأساليب الرجوع إليها، مع دراسة مراحل تطورها، وعرض نماذج مختارة منها.

يقع الكتاب في أربعة فصول، خصصت الفصل الأول منه

للحديث عن جمع اللغة وتدوينها وبيَّنت فيه كيف بدأت حركة التدوين والتأليف عند العرب، وتحدثت بإيجاز عن أهم المؤلفات اللغوية الأولى.

أما الفصل الثاني، وهو أكبر فصول الكتاب، فقد خصصته للحديث عن المدارس المعجمية العربية، بعد أن وجدت عرضها في هذا الإطار أقرب إلى فهم الدارسين واستيعابهم، فعرَّفت بكل مدرسة، وبينت خصائصها، ودرست في كلٍ واحدة منها أهم المعجمات التي تمثّلها، مُعرفاً بها، موضحاً مزاياها وصفاتها، مع عرض نماذج مختارة منها.

وانتقلت في الفصل الثالث لدراسة المعجمات الحديثة بالطريقة نفسها التي انتهجتها في الفصل السابق. أما الفصل الرابع والأخير فقد خصصته لعرض بعض الفوائد اللغوية التي تفيد الدارسين في استخراج الألفاظ من المعجمات.

وقد اعتمدت أساساً في تأليف كتابي هذا على كتب اللغة والمعجمات بحد ذاتها، كما أفدت من كتب المراجع التي درستها

قبلي ، وقد سبق أن أشرت إليها في مقدمتي هذه، كما أفدت من تجربتي الطويلة في تدريس هذه الموضوع منذ عام *1974* حتى الآن في جامعة قسنطينة بالجزائر ، وكلني أمل أن يفيد هذا الكتاب في التعريف بأهم مصادر مكتبتنا العربية في اللغة والمعاجم، وفي تنمية مقدرة القراء على استخدامها .

والله ولي التوفيق وبه نستعين

المؤلف

الفصل الأول

جمع اللغة وتدوينها

1 ـــ حركة التدوين والتأليف عند العرب

لم يعد هنـاك شك في معرفـة عرب الجاهليـة للكتابـة والتدوين، لا سيَّما في الحواضر كشمال الجزيرة العربية وجنوبها، حيث تتوفر الأحجار والصخور التـي استخدموهـا كوسائـل سهَّلت لهم عملية التدوين، فضلاً عن عظام أكتاف الإبـل، والخشب، والأديم، واللخاف، والعسب، والرقاع[1]. وكان التدوين يقتصر على مقتضيات الحياة الاجتماعية آنذاك كتدوين الصكوك والعهود والأحلاف والمواثيق وغيرها. أما الأعمال الأدبية فلم تكن تدوَّن إلاَّ نادراً، لأن الشعر أكثر ما يكون في البادية، وفيها قلَّة قليلة

(1) الأديم: الجلد الأحمر المدبوغ، اللخاف: حجارة بيض رقاق، العسب: جريـدة النخيل، الرقاع: قطع القماش.

تقرأ وتكتب، فقد تفشت فيها الأميَّة، لذلك كان إعتمادها الأول على الذاكرة والرواية الشفوية، ويقال إنه عند مجيء الإسلام «كان في مكّة سبعة عشر كاتباً، وفي المدينة أحد عشر كاتباً، وإن كان يُظن أن عددهم في هاتين المدينتين كان أكثر من ذلك بكثير»[1].

ومما ذكره الراوية النسَّابة هشام بن محمد بن السائب الكلبي أنه كان يستخرج أخبار العرب، وأنسابهم، وأنساب آل نصر بن ربيعة، ومبالغ أعمار من ولِّي منهم لآل كسرى، ومن كتبهم في الحيرة. كما ورد في الأخبار أن النعمان ملك الحيرة كان قد أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج وهي الكراريس، وانه كان في قريش بعض النسوة اللواتي عرفن الكتابة أيضاً كالشفاء بنت عبد الله العدوية[2].

كما جزم المستشرقون جولد زيهر، وبروكلمان، وموير

---

(1) د. حسين نصَّار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1966. ص. 23.

(2) د. جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص. 15، أيضاً ص. 36-39.

وغيرهم ــ بعد بحث وتدقيق عميقين ــ أن العرب الجاهليين كانوا يدونون أشعارهم بالكتابة في بعض الأحيان[1].

وكانت الكتابة العربية آنذاك «غارية من النقط، خالية من الشكل، شأنها في ذلك شأن الكتابة الأم النبطية التي اشتقّت منها»[2]. أما معارف العرب قبل الاسلام فكانت بسيطة تعتمد على الممارسة والخبرة الشخصية أكثر من اعتمادها على الأسس العلمية، وهكذا كان لدى عرب الجاهلية معارف بسيطة في الطب والأنواء والأنساب والقيافة والفراسة، بينما تجلّت معارفهم الأساسية في اللغة والشعر والقصص والأمثال التي ابدعوا فيها أيّما ابداع.

وكان تدوين القرآن الكريم فاتحة التدوين الفعلي عند العرب وقد دوِّن تفاريق في البداية، دونته فئة من الكتّاب عرفوا بكتّاب الوحي، «وكان في جملتهم زيد بن ثابت، وعلي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وطلحة بن الزبير، وسعد بن أبي وقاص، وحذيفة بن اليمان، وعثمان بن عفّان، وأبيّ بن كعب، ومعاوية بن أبي

---

(1) د. توفيق برّو، تاريخ العرب القديم، ط 2، دمشق، دار الفكر، 1984. ص. 17.

(2) ابراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابة الكوفية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1969. ص. 273.

سفيان، وكان زيد أكثرهم كتابة لكثرة ملازمته للرسول عليه السلام »[1]. وهؤلاء استخدموا العسب، والعظام، والرقاع، واللخاف، كمادة للكتابة.

بعد وفاة الرسول عليه السلام حدثت حروب الردَّة التي استشهد فيها كثير من حفظة القرآن، الأمر الذي أفزع عمر بن الخطاب، وجعله يطلب من الخليفة الأول أبي بكر جمع القرآن، ولكن الخليفة رفض في باديء الأمر أن يصنع شيئاً لم يصنعه الرسول من قبل، وقال لعمر: « كيف أفعل أمراً لم يفعله رسول الله، ولم يعهد إلينا فيه عهداً؟ »[2]. غير أن عمر استطاع إقناع الخليفة، وجعله يأمر زيد بن ثابت بجمع القرآن وتدوينه. وهكذا قام الأخير بجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الحفاظ. إلاَّ أن عملية الجمع هذه لم تكن مرتَّبة، لأن الاهتمام كان ينصب حول حفظ القرآن الكريم من الضياع. وقد كتب زيد

(1) د. عز الدين اسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1975. ص. 16.

(2) جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ط. د. حسين مؤنس، القاهرة، ج. 3، ص. 64.

القرآن على قطع الأديم، التي حفظت عند الخليفة أبي بكر، ثم عند عمر بن الخطاب، وبعد وفاته حفظت هذه القطع عند ابنته حفصة.

وبينما تمت عملية تدوين القرآن للمرة الأولى في عهد الخليفة أبي بكر، تمت عملية التدوين الثانية في عهد الخليفة عثمان بن عفان الذي أحضر الصحائف من عند حفصة، وأمر عدداً من الصحابة على رأسهم زيد بن ثابت بإعادة تدوين القرآن ثانية. وفي هذه المرة تمَّ تدوين كتاب الله عزَّ وجلَّ في صورته النهائية بشكله المرتَّب المعروف اليوم، وأصبحت هذه النسخة (النسخة الأم) وكتب منها ست نسخ، احتفظ الخليفة عثمان لنفسه بواحدة، وأرسل واحدة لأهل المدينة، بينما وزَّع باقي النسخ على مكَّة والبصرة والكوفة والشام[1]. وهكذا كان القصد من عملية التدوين الأولى حفظ القرآن الكريم من الضياع، بينما كان القصد من عملية التدوين الثانية ترتيبه وجمع الناس على وجه واحد في قراءته.

ولكن الكتابة العربية حتى صدور الاسلام كانت خالية من التنقيط والشكل، إضافة إلى ضعف الكتبة في الإملاء، وهي في

(1) جورجي زيدان، المصدر السابق، ص. 65.

جملتها أمور أدَّت إلى ظهور التصحيف واللحن، وقراءة الكلمة الواحدة على أكثر من وجه واحد . وقد ظهر ذلك في بعض القراءات التي سميت بالشاذة، لذا دعت الحاجة إلى نقط الحروف وشكلها منعاً للحن، ودفعاً للإضطراب والبلبلة عند قراءة القرآن[1] .

وبما يروى في هذا المجال أن أبا الأسود الدؤلي[2] دخل مرَّة على زياد بن أبيه والي العراقين وقال له : « أصلح الله الأمير ! إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم ففسدت ألسنتهم . أفتأذن لي أن أضع لهم ما يقيمون به كلامهم، فأبى عليه زياد ذلك، ثم عاد فأمره بما نهاه عنه لأنه سمع اللحن بأذنه من رجل دخل عليه يقول : « أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنون ... »[3] عندها بدأ الدؤلي

(1) د . عمر الدقاق، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، ط 5، حلب، منشورات جامعة حلب، 1977، ص . 11 .

(2) أبو الأسود الدؤلي (ت . 69 هـ) أحد أعلام اللغة البارزين في القرن الأول الهجري، وهو واضع علم النحو في اللغة العربية .

(3) د . الطاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ط 3، القاهرة، دار المعارف، 1976 . ص . 43 .

بوضع قواعد اللغة، ثم وضع النقاط على الحروف، نقطةً فوق الحرف للفتحة، ونقطةً تحته للكسرة، ونقطةً بين يديه، أي على خط استواء الكتابة للضمة، ونقطتين أمام يدي الحرف على خط استواء الكتابة أيضاً للتنوين، وأهمل السكون، وكان إهماله دليلاً عليه.

لقد كان هذا العمل في حد ذاته عملاً جليلاً، نافعاً، ولكنه لم يكن كافياً، لأنه لم يميِّز بين الحروف العربية من حيث النطق، وهي لم تكن منقوطة حتى ذلك الحين، لأن الكتابة العربية الجاهلية كانت عارية من التنقيط للتميز بين الحروف[1]، لذلك فإن عمل الدؤلي المفيد هذا لم يوقف اللحن والخطأ في القراءة، وهي أمور تحفظ منها الخلفاء والأشراف كل التحفظ، فقد قيل لعبد الملك بن مروان: «لقد أسرع إليك الشيب، قال: شيبني صعود المنابر، والخوف من اللحن»[2].

(1) تؤكد الكشوف الجغرافية معرفة العرب لتنقيط الحروف (الرقش) منذ عهد عمر بن الخطاب على أقل تقدير، إلاَّ أن الحروف لم تكن ترقش جميعها في البداية، كما أنها لم تكن ترقش في جميع الكلمات.

(2) د. حسين نصَّار. المعجم العربي، نشأته وتطوره، ط 2، القاهرة، دار مصر للطباعة 1968، ج 1، ص. 25.

من خلال هذا التحفظ، ودفعاً للحن والتصحيف والتحريف، فقد كلف الحجَّاج بن يوسف الثقفي عامل عبد الملك بن مروان في العراق، نصر بن عاصم الليثي (ت. 90 هـ) بحل هذا الاشكال، عندها قام بوضع النقاط على الحروف افراداً وأزواجاً، جاعلاً للباء نقطة، وللتاء نقطتين الخ... كما قام بترتيب الحروف الهجائية وفق الرسم، على الأشباه والنظائر، وهي الطريقة الألفبائية المتبعة اليوم.

استمرَّت الكتابة على طريقة الدؤلي، والليثي خلال الخلافة الأموية وحتى مطلع العصر العباسي، بينما استمرت في الأندلس فترة أطول حتى القرن العاشر الميلادي.

ولما كانت نقط الإعجام التي وضعها الليثي تختلط مع نقط الشكل التي وضعها الدؤلي نظراً لتشابهها، فقد قام الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. 170 هـ) باستبدال نقط الشكل بالحركات للفتحة والضمة والكسرة والسكون، وحلَّ بذلك هذا الإشكال، وبقيت النقاط دلالة على تباين الحروف دون غيرها.

وقد استخدمت فيما بعد بعض العلامات الأخرى للحروف العربية، رغبة في تيسير قراءة القرآن الكريم، وسلامة

أدائه، كوضع علامات لرؤوس الآي، ورموز لما اصطلح عليه بالأجزاء والأحزاب والأرباع، إضافة إلى تحسين الخطوط التي تطورت إليها الكتابة العربية، كالثلث والنسخ بدلاً من الخط الكوفي القديم، أو الخط الليِّن الرائد الذي دوِّنت فيه المصاحف الأولى [1].

أما تدوين الحديث الشريف فقد بدأ في السنوات الأولى من أيام الإسلام في نطاق محدود جداً، حين بدأ بعض الصحابة يكتبون الحديث عن الرسول عليه السلام ويجمعونه لدراسته وحفظه [2]، إلاَّ أن حركة تدوين الحديث الشريف بشكل منظم لم تبدأ إلاَّ في مطلع القرن الثاني للهجرة، لأن الرسول عليه السلام كان قد نهى عن تدوين الحديث الشريف خلال حياته خشية اختلاطه بآيات القرآن الكريم، وهي قاعدة استمرت سارية المفعول فترة طويلة من الزمن بعد وفاته، حتى تنبه العلماء إلى هذه القضية، بعد أن قتل كثير من الحفَّاظ خلال الغزوات والحروب، لا سيَّما إثر انقضاء فترة طويلة دون تدوينه، «مما أتاح لبعض

---

(1) د. عمر الدقاق، المرجع السابق، ص. 12.

(2) د. عزة الحسن، المكتبة العربية، دراسة لأمهات الكتب في الثقافة العربية، دمشق، 1970، ج 1، ص. 5.

ضعاف النفوس التزيد فيه، أو تحريف بعض نصوصه، أو اختراع بعضها الآخر »[1] لأغراض سياسية أو حزبية.

كانت حركة تدوين الحديث الشريف أهم حركة استقطبت اهتمام العلماء بعد تدوين القرآن الكريم، حيث اتّسمت بقدر كبير من الدقّة والعناية والأمانة العلمية والنزاهة. وكانت الغاية تتجه هذه المرة إلى جمع الأحاديث الصحيحة وتدوينها بعد التأكد من نسبتها إلى الرسول عليه السلام، بعيداً عن الأغراض السياسية، أو الخلافات الحزبية. وقد وضع العلماء لذلك قواعد ومناهج بحث دقيقة في التقصي والتحقق، اعتبرت رائدة في مناهج البحث التاريخي، و كانت فاتحة عهد طويل الأمد، جليل الشأن في ميدان التأليف عند العرب، اتسع ليشمل أموراً إسلامية أخرى كسيرة الرسول ومغازيه، وتاريخ العرب والمسلمين، وأخبار الفتوح، وأنساب العرب، ثم اللغة والأدب وميادين الثقافة المختلفة.

ولم تكن الكتب التي ألفت في القرن الأول الهجري كتباً بالمعنى المعروف لهذه الكلمة، « وإنما كانت أوراقاً وصحفاً يكتب عليها أصحابها أطرافاً وأشتاتاً من ثقافة ذلك العصر... ثم كانت

---

(1) د. عمر الدقاق، المرجع السابق، ص. 14.

هذه الأوراق والصحف تجمع بعد ذلك، ويضم بعضها إلى بعض[1] » ومما يؤسف له أنه لم يصل إلينا شيء منها، فكلها ضاعت، لبعد عهدها، ولانشغال الناس عنها في القرون التالية واهتمامهم بالكتب الكبيرة التي استوعبتها، بعد أن تطورت حركة التأليف، وازدهرت، واتسعت لتشمل الشعر، والخطب، واللغة، والأمثال، والقصص، والتاريخ، والفلسفة، والنقد، وغيرها من العلوم والمعارف التي ازدانت بها المكتبة العربية. فقد شهدت حركة التأليف هذه نهضة كبيرة منذ أواخر القرن الثاني للهجرة، لا سيّما بعد معرفة العرب لصناعة الورق التي نقلوها عن الصينيين في سمرقند عام 94 هـ ـ 712 م أثناء الفتوح الإسلامية، عندما وجدوا فيها مصنعاً للورق أجمل وأرخص مما كانوا يكتبون عليه، فنقلوه إلى بلادهم، وأطلقوا عليه اسم الكاغد الذي عرف على نطاق واسع أيام الخليفة هارون الرشيد (170-193 هـ) فقد أمر ألاّ يكتب الناس إلاّ عليه[2]. وهكذا بدأ الورق يأخذ مكانه في الدولة العربية الاسلامية كمادة للكتابة مكان القراطيس المصرية (أوراق البردي) بعد أن أنشيء أول مصنع له في بغداد عام 694 م، ثم تتابع إنشاء

(1) د. عزة الحسن، المرجع السابق، ص. 10.

(2) د. عز الدين اسماعيل، المرجع السابق، ص. 48.

مثل هذه المصانع في الأقطار العربية، حيث اقيم مصنع للورق في مصر عام 900 م، وفي مراكش عام 1100 م، وفي مدينة شاطبة (Jatiba) في الأندلس عام 1150، وهو أول مصنع للورق يؤسسه العرب في أوربا، وماتزال هذه المدينة إلى يومنا هذا من أهم مدن العالم في صناعة الورق، وعن طريقها انتقلت صناعة الورق إلى بقية أنحاء أوروبا[1].

هكذا، ومنذ أواخر القرن الثاني للهجرة، شهد العالم العربي حركة تأليف وترجمة نشيطتين، وأقبل الناس على العلم، وانكبوا على الدراسة والتأليف في ميادينه المتعددة، وبرزت ظاهرة حب الكتب واقتنائها، ويحصي مسافر عدد دور الكتب العامة في بغداد عام 891 م بأكثر من مئة، اودعت فيها الكتب للقراءة الداخلية، أو الإعارة للقراءة الخارجية، كما كانت هذه الدور أمكنة للبحث والمناظرة، فمكتبة النجف في العراق مثلاً، وهي مكتبة صغيرة من هذه المكتبات «كانت تحوي في القرن العاشر الميلادي أربعين ألف

(1) د. الطاهر المكي، المرجع السابق، ص. 56.

مجلد، بينما لم تحو أديرة الغرب سوى اثني عشر كتاباً ربطت بالسلاسل خشية ضياعها[1]».

أعطى خلفاء ذلك العصر اهتماماً بالغاً للمكتبات ، بحيث «لم يكن الخليفة بتشجيع من وزرائه البرامكة، ليهدي الجماهير هدية تتفق مع مزاجهم أجمل من إنشائه مكتبة ضخمة في بغداد عرفت بدار الحكمة... ولا يستطيع أحد أن يقارن نفسه بالخليفة العزيز في القاهرة، حتى خليفة قرطبة، الذي بعث رجاله ووكلاءه في كل أنحاء الشرق ليجلبوا له الكتب فيزيد روائع مكتبته، أنَّى له أن يصل إلى ما فعله العزيز؟ لقد حوت مكتبة العزيز (1,600,000) مجلداً، فكانت بذلك أجمل وأكمل دار للكتب... وكذلك فعل الوزراء ورجال الدولة، فلقد ترك الوزير المهلبي مثلاً عند وفاته عام 963 م مجموعة من (117,000) مجلداً، واستطاع زميله الشاب ابن عبَّاد أن يجمع في مكتبته (206,000) كتاب... ولما كانت هذه الأرقام الضخمة قد حسبت بالتقريب، وبولغ في

(1) زنغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب،تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط 3 ، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1969، ص. 385-386.

بعضها، فإن هذه المبالغة نفسها لهي أكبر دليل على مفاخرتهم بذلك، وسرورهم بكل جهد يبذل في هذا السبيل[1]».

وقد عبَّر المؤرخ وول ديورانت عن روح ذلك العصر بقوله: «لم يبلغ الشغف باقتناء الكتب في بلد آخر من بلاد العالم ــ اللَّهم إلاَّ في بلاد الصين ــ ما بلغه في بلاد الإسلام في هذه القرون حين وصل إلى ذروة حياته الثقافية، وأن عدد العلماء في آلاف المساجد المنتشرة في البلاد الإسلامية من قرطبة إلى سمرقند لم يكونوا يقلّون عن عدد ما فيها من الأعمدة[2]».

ومما يؤسف له أن شطراً كبيراً من هذه المؤلفات التي ازدانت بها دور الوراقة والمكتبات العربية ضاع بسبب ما تعرضت له الدولة العربية الإسلامية من حروب وفتن وغزوات، وكان ما أصاب الثقافة العربية مروّعاً عندما اقتحم جنود هولاكو مدينة بغداد عام 656 هـ / 1258 / م، فقد «ألقيت مئات الألوف من المخطوطات في نهر دجلة، ولم يكن نصيب الكتب العربية من الدمار خلال زحف تيمورلنك بأقل منه على يد هولاكو. وفي

(1) زنغريد هونكه، المرجع نفسه، ص. 285-387.

(2) قصة الحضارة. 971/13.

الغرب الاسلامي تعرض التراث الإسلامي للمحنة نفسها، أو أشد قسوة، فحين سقطت غرناطة عام 1492 م، وانتهت دولة المسلمين في الأندلس، أمر الكاردينال فرانسيسكو خمينيس دي سيزنيروس (Francisco Jimenez Cisneros) (ت. 1517 م) عرَّاف الملكة ايزابيل فاتحة غرناطة، وصاحب النفوذ السياسي الديني الهائل، بإحراق الكتب العربية في ساحة الرملة في غرناطة، ولا سيَّما ما كان متصلاً بالأدب أو الفكر أو الدين، وبخاصة المصاحف المخطوطة، وبأن تباد كل الكتب العربية نهائياً من اسبانيا. ويفوق عدد المخطوطات التي احرقت في غرناطة وحدها كل تصوَّر، وأكثر الباحثين حذراً وعطفاً على الكاردينال يقدِّرها بثمانين ألفاً[1]».

أما الجانب القليل الذي سلم من هذه الكوارث والنكبات فقد نقل معظمه إلى دور المخطوطات الأوربية والأمريكية خلال الإستعمار الأجنبي للبلاد العربية، وحفظ ما بقي منه في المكتبات العربية ليجد فيه المصلحون والمفكرون العرب نبراس هداية خلال نهضتهم الحديثة، لينطلقوا منه نحو آفاق جديدة من الانتاج العلمي الخلاق.

(1) د. الطاهر مكي، المرجع السابق، ص. 69.

2 ــ اللغة العربية

اللغة هي أساس الحياة في المجتمع، فهي وسيلة التفاهم والتخاطب، وتبادل الأفكار والآراء والمشاعر، بل هي الركن الأول في تقدم الفكر، وارتقاء الحضارة، واتساع التأليف في ميادين العلم والمعرفة.

واللغة العربية هي إحدى اللغات السامية، والعربية الأولى هي لغة عاد وثمود وطسم وجديس و جرهم من القبائل البائدة، واليمن هي مصدر العربية الأولى، لأن العاربة هم أهل اليمن، ثم تهذبت في الحجاز بعد أن انتقلت اليها من اليمن، فهي لغة حيَّة، عبَّرت منذ عصورها الأولى عن حاجاتهم، وتطورت معهم.

اهتم العرب بلغتهم منذ العصر الجاهلي، ولكن من الخطأ أن نفهم أن الجاهليين كانوا بعيدين عن الخطأ واللحن، «بل كان فيهم من يلحن ويخطيء، وقد جاء في الشعر الجاهلي أبيات لاتجيزها قواعد النحو والصرف، وبعضها لاتجيزه القواعد إلاَّ بعد تأويل مسفٍّ، وعلل مصطنعة، واعتذار مفتعل[1]».

---

(1) أحمد عبد الغفور العطَّار. مقدمة الصحاح، القاهرة، 1956. ص. 15.

وقد ازداد هذا الاهتمام بشكل واضح مع ظهور الإسلام، وقيام الفتوحات الاسلامية، لأن اللغة العربية أصبحت لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، بل لغة الدين، لذلك بدأ اهتمام العلماء العرب المسلمين يتجه نحو حفظ التراث اللغوي، والدفاع عنه، وردِّ الدخيل الذي جاءه من البلدان المفتوحة، واللغات الأخرى التي دخل أهلها في الاسلام، وانضووا تحت لواء الدولة العربية الإسلامية الجديدة.

واللغة العربية لغة متسعة مستوعبة أكثر من معظم لغات الأرض، مرنة بما لها من خصائص الإشتقاق والنحت والتعريب، فهي، وكما أعطت أبناءها في الماضي القدرة على التأليف والترجمة والابتكار في جميع مجالات المعرفة الإنسانية خلال العصور الإسلامية المزدهرة، فإن بإمكانها اليوم أن تمدَّهم بكل ما يحتاجونه من مفردات لاستيعاب الحضارة الحديثة، بكل مافيها من مستحدثات علمية، ووسائل تقنية متطورة.

والمستعمل اليوم من مفردات اللغة العربية لا يزيد كثيراً عن عشرة آلاف مادة تتسع لحاجات التأليف والتعبير كلها، بينما نجد معجمات اللغة العربية تحوي أضعاف هذ العدد، فمعجم

الصحاح للجوهري مثلاً يحوي أربعين ألف مادة مشروحة، والقاموس المحيط للفيروزابادي يحوي ستين ألف مادة، واللسان ثمانين ألفاً، وتاج العروس عشرين ومائة الف مادة، وهو ما وصلنا من ألفاظ اللغة العربية، فقد قال الكسائي «لقد درس من كلام العرب كثير»، وحكى يونس ابن حبيب البصري عن أبي عمرو بن العلاء[1] أنه قال: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلاً أقلّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير[2]».

ولم يكن العرب يعرفون معنى كل كلمة في لغتهم، وكان الرسول عليه السلام يستعمل كلمات خفيت عن الصحابة، وكان بينهم من يعرف أسرار العربية جيداً، حتى إنَّ الامام علياً قال للنبي: «يارسول الله، نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم العرب بمالا نفهم أكثره[3]».

---

(1) ابن العلاء (65-154 هـ) أبو عمرو، زبان بن العلاء، أحد القراء السبعة، ومن أئمة اللغة والرواية في البصرة، كان استاذاً للخليل والأصمعي وأبي عبيدة.

(2) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر ودار بيروت للنشر، 1955، ج 3، ص. 431.

(3) العطّار، المرجع السابق، ص. 27.

هكذا كانت الحاجة ماسة إلى معرفة معنى الغامض من ألفاظ العربية، وبما أن المعاجم لم تكن معروفة آنذاك، فقد كان الناس يرجعون إلى أهل العلم بحثاً عن تفسير كلمة، أو فهم معنًى مستغلق. كما كانوا يرجعون إلى الشعر للسبب نفسه، قال ابن عباس: «الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا ذلك فيه[1]». وقال أيضاً: «إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربي[2]» وهذا العمل هو في حدِّ ذاته عمل معجمي، أوجدته الحاجة إلى فهم اللغة وتفسيرها.

ولم يقصِّر أجدادنا العرب في صون لغتنا العظيمة، لغة العروبة والاسلام، وتنقيتها من الشوائب. قال الأزهري في كتابة تهذيب اللغة: «ولو أني أودعت كتابي هذا ماحوته دفاتري، وقرأته من كتب غيري، ووجدته في الصحف التي كتبها الورّاقون. وأفسدها المصحفون، لطال كتابي، ثم كنت أحد الجانين على لغة العرب ولسانها، ولقليل لايخزي صاحبه خير من كثير يفضحه، ولم أودع كتابي هذا إلاّ ما صح لي سماعاً منهم[3]». ولم يكن هذا

(1)، (2) تفسير الطبري، 1: 129.
(3). تهذيب اللغة، 1: 40.

العمل إلاَّ من باب الحرص على اللغة وحمايتها، والزود عنها، ومحاربة اللحن، ولم تكن مبالغة علمائنا الأجلاء في الدقة والتقصي إلاَّ حفاظاً على سلامة اللغة، واستقصاء أصولها، وتنقيتها من الشوائب.

لقد ولدت معجماتنا اللغوية صغيرة، في شكل رسائل صغيرة متفرقة غير منظمة، ثم نمت شيئاً فشيئاً، وتوسعت، وتكاملت جيلاً بعد جيل، بجهود هؤلاء العلماء ودأبهم المستمر، وسهرهم، يستفيد اللاحق من السابق، ويضيف إليه شيئاً من عمله، وبذلك اتسع حجم التأليف، وتكاملت عناصره تنظيماً وابداعاً بهذا العمل العلمي المتلاحق.

كانت حركة جمع اللغة العربية وتدوينها في بداية عهدها حركة عفوية تفتقر إلى قدر كبير من التنظيم والشمول، وهو أمر طبيعي، كان القصد منه تدوين الألفاظ، وجمع المتناثر منها، فكان من ألَّف رسائل في الغريب، أو في النوادر، أو اللغات، أو الإنسان، أو الحيوان، أو النبات، ثم كان من جمع ما تفرق في هذه الرسائل داخل كتب أكبر حجماً، وأكثر تنظيماً وشمولاً. وهكذا

ظهرت المعجمات التي تجمع ألفاظ اللغة، وتضبط مفرداتها، وتبين طرق لفظها، مقرونة بالشروح وتفسير المعاني.

ولم يكن العرب أول من ابتكر تأليف المعجمات اللغوية، فقد سبقهم إلى ذلك الصينييون والآشوريون واليونان، فالصينيون عرفوا المعاجم قبل العرب بألف سنة تقريباً، والآشوريون صنَّفوا معاجم دعتهم إليها الحاجة خوفاً على لغتهم، وهي عبارة عن قوائم من الطين المشوي أودعوها مكتبتهم في نينوى خلال القرن السابع قبل الميلاد. أما اليونانيون فقد وضعوا كتباً تحوي تفسيرات لبعض مفردات كتب أفلاطون، أو لبعض خطبهم مرتبة ترتيباً موضوعياً. إلاَّ أن العرب سبقوا الأوروبيين بعامة في هذا المجال، حيث يعود تأليف أول معجم عربي إلى القرن الثامن الميلادي، بينما يعود تأليف أول معجم أوروبي إلى القرن السابع عشر[1]، وهذا يعني أن العرب المسلمين سبقوا الأوروبيين في هذا المجال بتسعة قرون قبل ظهور أول معجم انكليزي، وخمسة قرون قبل ظهور أول قاموس هجائي لاتيني.

والمعجمات اللغوية لا غنى عنها لدارسي العربية وآدابها على

(1) انظر العطّار، المرجع السابق، ص. 39-40.

وجه الخصوص ، يستوي في الحاجة إليها الدارس والمدرس ، العالم والمتعلم ، القارىء والمؤلف ، إذ لايستطيع الواحد منهم فهم أفكار الكتّاب والشعراء إذا كان يجهل معاني الألفاظ التي استخدموها في مؤلفاتهم ، وكذا لايستطيع المؤلف التعبير عما في نفسه من أفكار ومشاعر إذا كان يجهل معاني الألفاظ التي استخدموها في مؤلفاتهم ، وكذا لايستطيع المؤلف التعبير عما في نفسه من أفكار ومشاعر إن كان يجهل الألفاظ التي تؤدي المعاني المتواردة على ذهنه . ومن هنا . فنحن بحاجة إلى نوعين من المعجمات ، نوع يساعد القارىء على معرفة معنى اللفظة التي استخدمها الكاتب ، ونوع آخر يساعد الكاتب على معرفة اللفظة التي ينبغي له استعمالها للتعبير عن معنى يجول في خاطره ، ولذا عني أجدادنا بتأليف هذين النوعين معاً ، معجمات الألفاظ ، ومعجمات المعاني .

وقد جمعت ألفاظ اللغة العربية ، ودونت ، ورتبت ، خلال مراحل تاريخية ثلاث ، متصلة اتصالاً وثيقاً ، بدأت المرحلة الأولى منها منذ أواخر القرن الأول الهجري واستمرت قرابة مائة عام ، أي حتى أواخر القرن الثاني للهجرة ، وهي فترة جمع الأحاديث الشريفة ، والشعر ، والأدب أيضاً . وكان علماء اللغة يأخذون

الألفاظ العربية من أفواه عرب الصحراء، أو الوافدين على الأمصار الذين لم تتأثر السنتهم بمخالطة الأعاجم. ويشير ياقوت الحموي إلى ذلك بقوله عن العكوتيين: «وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم، لم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا بغيرهم من الحاضرة في مناكحتهم، وهم أهل قرار لايظعنون عنه ولا يخرجون منه، وأنهم لايسمحون للغريب أن يقيم عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفاً على لسانهم[1]».

وكان أبو عمر بن العلاء من أوائل الرواة الذين رحلوا إلى البادية، يستنطق الأعراب، ويطيل الإستماع اليهم، ويعي عنهم فصاحتهم، وقد أعجب بأهل السروات[2] فقال: «أفصح الشعراء لساناً، وأعذبهم أهل السروات، وهنَّ ثلاث: الجبال المطلة على تهامة، ثم بجيلة، السراة الوسطى، وقد شاركتهم ثقيف في ناحية منها. ثم سَراة الأزد، أزد شنوءة، وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد[3]». كما كان الأصمعي والأنصاري وأبو

---

(1) معجم البلدان، ج 2، ص. 205.

(2) السروات: جمع سراة، ويعني بها سكان جبال السراة في الحجاز على شاطىء البحر الأحمر.

(3) د. عبد الحميد الشلقاني، رواية اللغة، القاهرة، دار المعارف، 1971. ص. 81.

عبيد من أكثر اللغويين طلباً للغة في البادية . ومن بين أهم القبائل العربية التي نقلت عنها اللغة قيس ، وتميم ، وأسد ، ثم هذيل وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، بينما « لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم التي حولهم[1] » .

ولم تقتصر فائدة هذه الرحلات على مجرد نقل اللغة الصافية من الشوائب ، وإنما أعانتهم أيضاً على تفسير غوامض الشعر ، واكتشاف صحيحه من زائفه ، ومكّنتهم من التعرف على البلدان والأماكن ، فعادوا يحملون معهم علماً غزيراً غير اللغة ومفرداتها ، التي كانوا يستنبطونها أيضاً ، من القرآن والحديث ، والأدب القديم بشعره ، وأخباره ، أمثاله .

جمع علماؤنا الأجلاء تلك الألفاظ في بداية الأمر كيفما اتفق لهم دون ترتيب أو تنظيم ، لأن الغاية كانت تتجه أولاً إلى الجمع والتدوين دون غيره ، خوفاً على العربية من الغريب الدخيل ، ومن أبرز كتب هذه المرحلة كتب الغريبين وكتب النوادر التي سنتحدث عنها فيما يلي من صفحات .

---

(1) المرجع نفسه ، ص . 82 .

أما خلال المرحلة الثانية فقد تم تدوين الألفاظ في رسائل صغيرة متفرقة عرفت قدراً أكبر من التنظيم، بحيث جمعت كل رسالة منها مجموعة من الألفاظ التي يربطها رابط لفظي معين، كجمع الألفاظ التي تشترك في حرف واحد مثلاً، أو التي ترتبط برابطة الأضداد، حيث اللفظة الواحدة تدل على الشيء وضده، أو الرسائل التي الفت في مثلث الكلام، وهي الكلمات التي وردت على ثلاث حركات في معان مختلفة، ومن أشهرها مثلثات قطرب[1]، كما ألفت في هذه المرحلة أيضاً رسائل أخرى جمعت فيها الأفعال المتماثلة في أوزانها الصرفية ككتاب (فعل وأفعل) لقطرب، أو كتاب (فعلت وأفعلت) للزجّاج[2]، كذلك الكتب التي ألفت في النبات أو الحيوان أو خلق الإنسان وغيرها.

ولم يبدأ وضع المعجمات العامة الشاملة، المنظمة، إلاّ في

(1) قطرب (... ــ 206 هـ) محمد بن المستنير، عالم باللغة والنحو الأدب، تلميذ سيبويه، على مذهب أهل البصرة، وهو أول من وضع المثلثات في اللغة، طبعت مثلثاته في ألمانيا عام 1857 بتحقيق المستشرق ولمار. له أيضاً كتاب «النوادر» وكتاب «الأضداد».

(2) الزجّاج (241-311 هـ) ابراهيم بن السرّي، من علماء اللغة والنحو، كان عاملاً في صناعة الزجاج، وإليها نسب. له كتاب «فعلت وأفعلت» وكتاب «معاني القرآن» و «الاشتقاق».

المرحلة الثالثة، حيث اعتمد مؤلفوها على كتب المرحلتين الأولى والثانية، فجمعوها، وأضافوا إليها بجهودهم المتلاحقة قدراً أكبر من السعة، والشمول، والتقصي، والتنظيم، وأخرجوا بذلك المعجمات اللغوية العامة. وتعد هذه المرحلة أطول هذه المراحل الثلاث جميعاً، وأكثرها عطاء، ففيها خطت حركة تأليف المعجمات خطوتها الأخيرة في طريق نموها الطبيعي.

3 ــ كتب الغريب

الغريب هو الغامض من الكلام، وقد كثر التأليف فيه منذ بداية عهد التدوين في سياق تفسير القرآن والحديث، وكان ذلك من بين الدوافع الرئيسية للعناية باللغة العربية، لأنها حفلت بالكثير من الكلمات الغريبة التي استغلق فهمها حتى على فصحاء العرب، وكان الصحابة يتفاوتون مقدرة في فهمهم للقرآن الكريم ومعرفة معانيه.

وجّه اللغويون جل اهتمامهم منذ بداية عصر التدوين إلى فهم معاني هذه الألفاظ، ووضع القواعد النحوية لها حرصاً منهم على إيجاد أسس سليمة لقراءة القرآن الكريم، وهكذا تكون حركة

التأليف اللغوية قد انبثقت مع الاسلام، وكان الصحابي عبد الله بن عبّاس[1] أول من تقدّم لتفسير غريب القرآن الكريم مشروحة بكلام العرب، وصنيعه هذا هو صنيع معجمي، وإليه ينسب أول كتاب في غريب القرآن[2]، وبعده ألفت كتب كثيرة في تفسير غريب القرآن للأصمعي، وأبي عبيدة، وابن سلّام، وابن قتيبة، وثعلب وغيرهم[3]، كلها ضاعت، ولم يبق منها سوى كتاب «غريب القرآن» لابن قتيبة[4]، وكتاب «غريب القرآن» لأبي عبيدة ابن المثنى ، وبعده ألفت كتب كثيرة في هذا الموضوع.

---

(1) ابن عبّاس (ت. 68، هـ) عبد الله بن عبّاس بن عبد المطلب، صحابي جليل، كان أحد الراسخين في العلم. كما كان عالماً بأسرار اللغة العربية، واقفاً على مفرداتها ومعانيها. وهو ابن عم الرسول (ص).

(2) كانت توجد منه نسخة في برلين قبل الحرب العالمية الثانية. انظر بروكلمان 731:1.

(3) انظر ترجمة حياتهم فيما يلي من هوامش.

(4) ابن قتيبة (213-276 هـ) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عالم أديب، ألّف في علوم القرآن والحديث والأدب والنقد واللغة، له كتب أدبية هامة منها «أدب الكاتب»، و «عيون الأخبار».

(5) أبو عبيدة (110-209 هـ) معمر بن المثنى، من أئمة الرواية والأدب وأخبار العرب في البصرة، له مؤلفات كثيرة من بينها كتاب «غريب القرآن».

أوضح ابن قتيبة غرضه ومنهجه في كتابه السابق الذكر بقوله : « وغرضنا الذي امتثلناه في كتابنا هذا أن نختصر ونكمل ، وأن نوضِّح ونجمل ، وأن لا نستشهد على اللفظ المبتذل ، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل ، وألاَّ نحشو كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد ، فإنا لو فعلنا ذلك في نقل الحديث ، لاحتجنا أن نأتي بتفسير السلف رحمه الله عليهم بعينه ، ولو أتينا بتلك الألفاظ ، كان كتابنا كسائر الكتب التي ألفها نقلة الحديث ، ولو تكلفنا بعدُ اختصاص اختلافهم ، وتبيين معانيهم ، وفتق جملهم بألفاظنا ، وموضع الاختيار من ذلك الاختلاف ، وإقامة الدلائل عليه ، والإخبار عن العلَّة فيه ، لأسهبنا في القول ، وأطلنا الكتاب ، وقطعنا منه طمع المتحفظ ، وباعدناه عن بغية المتأدب(1) » . وهكذا فإن أهم صفات هذا الكتاب الاختصار مع وضوح الشروح ، وقلة الشواهد مع حذف الأسانيد .

كما أوضح المؤلف أقسام كتابه بقوله : « نفتتح كتابنا هذا بذكر أسمائه الحسنى ، وصفاته العُلَى ، فنخبر بتأويلهما

---

(1) د . حسين نصار ، المعجم العربي ، المرجع السابق ص 41 ، نقلاً عن معجم الأدباء 16 : 160 .

واشتقاقهما ، ونتبع ذلك ألفاظاً كثر ترددها في الكتاب ، ولم نر بعض السور أولى من بعض ، ثم نبتـــديء في تفسير غريب القرآن[1] » . فهو بذلك يقع في ثلاثة أقسام ، الأول لأسمائه وصفاته تعالى ، والثاني لألفاظ كثر ترددها في الكتاب ، والثالث لتفسير غريب القرآن الكريم .

أما القسم الثالث من الكتاب فهو مرتَّب تبعاً للسور القرآنية كما وردت في القرآن الكريم ، بينما يهمل ذلك بالنسبة للقسمين الأولين . أما منهجه في التأليف فهو خليط من منهجي كتب اللغة ، وكتب التفسير ، لأنه « يضم ظواهرهما معاً ، فبينما يفسِّر الألفاظ لغوياً ، ويستشهد عليها كثيراً بالأشعار والأحاديث وأقوال العرب ، ويبين وزنها أحياناً ، يفسرها قرآنياً ، فيبين في السور المدني من المكيّ أحياناً ، ويقتبس أقوال مشهوري المفسرين ، وكثيراً ما أحال على كتابه في المشكل[2] » .

صدر هذا الكتاب عن دار إحياء الكتب العربية في القاهرة بتحقيق أحمد صقر عام 1958 ، كما طبع كتاب « غريب القرآن »

---

(1) المرجع نفسه ، ص . 41-42 ، نقلاً عن كتاب الفهرست لابن النديم ، ص . 74 .

(2) المرجع السابق ، ص . 42 .

لأبي عبيدة ابن المثنى في جزأين أيضاً في القاهرة بتحقيق الدكتور فؤاد سزكين عام 1962 .

وقد نسب إلى عدد آخر من علماء اللغة القدماء أيضاً كتباً في غريب القرآن كالمفضل بن سلمة (ت . 308 هـ) ، وابن دريد (ت . 321 هـ) ، ونفطويه (ت . 323 هـ) والسِّجستاني (ت . 330 هـ) وغيرهم ، لم يصلنا منها سوى كتاب السجستاني . كما ألفت في القرون اللاحقة كتبٌ أخرى في هذا الباب ، وقامت حول القرآن دراسات كثيرة في معانيه وتفسيره ومشكله .

صحبت عملية تفسير غريب القرآن الكريم ، عملية الكشف عن غريب الحديث التي انطلقت بدورها أيضاً من الحاجة إلى معرفة معاني ألفاظه الغريبة ، وإن كان التأليف في هذا الباب تأخر قليلاً عن تفسير القرآن . ويعزى أول كتاب من هذا النوع إلى أبي عبيدة الذي جمع «من الفاظ غريب الحديث والأثر كتاباً صغيراً ، ذا أوراق معدودات ... ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازني[1] بعده كتاباً في غريب الحديث أكبر من كتاب أبي

(1) النضر بن شميل (ت 203 هـ) .

عبيدة، وشرح فيه وبسط، على صغر حجمه ولطفه... ثم جمع عبد الله بن قريب الأصمعي ــ وكان في عصر أبي عبيدة وتأخر عنه ــ كتاباً أحسن فيه الصنع وأجاد، ونيَّف على كتابه وزاد[1] ».

وممَّن ألف أيضاً من علمائنا القدماء في غريب الحديث قطرب، والأصمعي، والأنصاري وغيرهم ولكنها لم تصلنا.

ومن أهم وأقدم كتب غريب الحديث التي وصلتنا كتاب « غريب الحديث » لأبي عبيد (ت. 224 هـ)[2] الذي سار فيه على طريقة كتب المسانيد « فأفرد أحاديث الرسول، وأحاديث كل رجل من الصحابة والتابعين على حده، وأورد الأحاديث في كل مسند بدون أي ترتيب... يذكر الحديث، ثم سنده، ثم يشرح لفظه المعقود له الباب، ثم ينتقل إلى حديث آخر، وراعى في شرح الغريب تفسير اللفظ، وإيراد بعض المشتقات القليلة، مثل الفعل، والمصدر، والاستشهاد على المعنى من القرآن والشعر،

---

(1) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، المقدمة.

(2) أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي، له عدة مؤلفات من بينها « غريب القرآن ». « غريب الحديث »، و « الغريب المصنف ».

وبعض الأحاديث الأخرى... وقد أعجب الناس به منذ ظهوره، من لغويين وفقهاء وغيرهم[1]».

كما ألفت فيما بعد كتبٌ أخرى في غريب الحديث لابن الاعرابي (ت. 231 هـ)، والشيباني (ت. 231 هـ)، وابن قتيبة (ت. 276 هـ)، والمبرد (ت. 286 هـ)، وثعلب (ت. 291 هـ)، وابن دريد، (ت. 231 هـ)، والأنبـاري (ت. 328 هـ)، وابـن درستويه (ت. 347 هـ) وكلها مفقود. ثم توالى التأليف في هذا الباب بصورة أكثر تنظيماً ووضوحاً واتساعاً، ومن أهم ما ألف فيما بعد كتاب «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري، وكتاب «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير الذي بلغ الغاية في هذا المضمار، بعد أن رتب الألفاظ على حروف المعجم.

اتسمت كتب الغريبين التي ألفت في المرحلة الأولى من مراحل التأليف اللغوية بالعفوية وعدم التنظيم، شأنها في ذلك شأن معظم كتب هذه المرحلة.

ولم تقف همة علمائنا الأجلاّء عند التأليف في غريب القرآن

(1) حسين نصار، المعجم العربي، المرجع السابق، ص. 52.

والحديث ، بل تعدتها للتأليف في تفسير غريب الكلام ، فقد ألف أبو زيد كتاباً في غريب الأسماء وألف الأصمعي أيضاً كتاباً في غريب الحديث والكلام الوحشي .

4 ــــ كتب اللغات

اختلفت القبائل العربيـة في بلادهـا الواسعـة في بعض مفرداتها اللغوية ، وطرق لفظها ، ومظاهر تركيبها ، مع اشتراكها في القدر الأكبر منها ، ولم يخف ذلك على علمائنا ، فنعتوا بعض اللغات بالفصاحة كلغة قريش ، وثقيف ، وأسد ، وتميم ، وهذيل ، وخزاعة ، وكنانة ، وغطفان ، وبعضها الآخر بالرداءة كلغة إياد وغيرها لأنها عاشت في أطراف الجزيرة فخالطت غير العرب ، وأخذت عنهم بعض مفرداتهم ، وسرَّبتها إلى اللغات الفصيحة ، كما اصطلحوا على تسمية اللغات القبلية باللغات أو اللهجات ، بينما اصطلحوا على تسمية المفردات الأجنبية التي دخلت اللغة العربية بالدخيل أو المعرَّب . قال ابن فارس : « اختلاف لغات العرب في وجوه : أحدها الاختلاف في الحركات ، كقولنا نَستعين ونِستعين ، بفتح النون ، وكسرها . قال الفرَّاء : هي مفتوحة في لغة قريش

وأسد، وغيرهم يقولون بكسر النون، والوجه الآخر: الاختلاف في الحركة والسكون، مثل قولهم مَعَكم ومَعْكم... ووجه آخر هو الاختلاف في إبدال الحروف، نحو أولئك وأولالك، ومن ذلك الاختلاف في الهمز والتليين، نحو مستهزئون ومُسْتهزُون، ومنه الاختلاف في التقديم والتأخير، نحو صاعقة وصاقعة، ومنها الاختلاف في الحذف والإثبات، نحو استَحْيَيْتَ واستَحَيْتَ، ومنها الاختلاف في الحرف الصحيح يبدَّل حرفاً معتلاً، نحو أمّازيد وأيمازيد، ومنها الاختلاف في التذكير والتأنيث، فإن من العرب يقول هذه البقر، ومنهم من يقول هذا البقر، ومنها الإختلاف في الإدغام نحو مُهْتَدون ومُهَدُّون، ومنها الإختلاف في صورة الجمع، نحو أسرى وأسارى، ومنها الإختلاف في الزيادة نحو أنْظُر وأنْظُور... ومنها الاختلاف اختلاف التضاد، وذلك كقول حِمْيَر للقائم: ثِبْ أي اقعد[1] ».

وكان التأليف في «لغات القرآن» من أول الأعمال التي استقطبت علماء اللغة العرب، بل إنه سار جنباً إلى جنب مع «غريب القرآن». وكان أول من تصدى لهذا النوع من التأليف

(1) ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة، ص. 19.

الصحابي عبد الله بن عبَّاس في كتابه «اللغات في القرآن» الذي استخرج فيه لغات العرب من السور والآيات ورتَّبها مفسَّرة على ترتيب القرآن دون شواهد، وتحدث فوق ذلك عن لغات الفرس والنبط والحبشة وغيرهم. وقد وصلنا هذا الكتاب، وطبع بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجِّد. ثم توالى التأليف في هذا الموضوع، فألف يونس بن حبيب البصري (ت. 172هـ) كتاباً في لغات القبائل، وبعده ألف الشيباني (ت. 206 هـ) كتاب الجيم[1]، ثم الفراء (ت. 207هـ)، وأبو عبيدة، والأصمعي، والأنصاري، والشيباني وجميع هذه الكتب مفقودة.

ويمكننا أيضاً أن نضع بين كتب لغات القبائل «كثيراً من أبواب الجزء الأول من كتاب إصلاح المنطق لأبي اسحاق يعقوب بن السكِّيت (216 هـ) وبعض أبواب الجزء الثاني، إذ يعالج المؤلف في هذه الأبواب جميعها الألفاظ التي وردت على بناءين بمعنى واحد... ونضع أيضاً في كتب اللغات الأبواب التي تعرَّض فيها ابن قتيبة (276هـ) للألفاظ وأمثلة الأسماء الواردة على بناءين

(1) سيأتي الحديث عن هذا الكتاب مفصلاً ضمن بحثنا في مدرسة البرمكي فيما يلي من صفحات.

في كتابه أدب الكاتب، وكذا الحال مع ثعلب في الفصيح، وابن سيده (458 هـ) فيما يقابل هذه الأبواب في مخصصه. فكل هذه الأبواب يعالج الاسم أو الفعل حين يرد فيه بناءان أو أكثر مع اتفاق معناه فيها[1]».

أمّا التأليف في المعرَّب والدخيل فقد بدأ على ما نعلم في القرن الثاني للهجرة مع عناية الفراهيدي به في معجم «العين»، ثم عناية أبو عبيد القاسم بن سلَّام (ت. 224 هـ) به في كتابه «الغريب المصنَّف»، وبعده ابن قتيبه (ت. 276 هـ) في كتابه «أدب الكاتب»، وابن دريد في «جمهرة اللغة»، وابن سيده في «المخصص» الذي أفرد له بابين في سفره الرابع عشر وقسماً صغيراً من سفره السادس عشر. أمَّا أول كتاب خصص برمَّته للمعرَّب فهو كتاب «المعرَّب من الكلام الأعجمي» للجواليقي[2] بل هو أكبر الكتب التي بحثت هذا الموضوع، وقد رجع في كتابه إلى أقوال وشروح القدماء قبله، والتصرف في أقوالهم، مع الإكثار من الشواهد الشعرية في شرح الألفاظ المعرَّبة.

(1) حسين نصار، المعجم العربي، المرجع السابق، ص. 83.

(2) الجواليقي (465-540 هـ) أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي.

ومن أهم كتب المعرَّب التي ألفت أيضاً كتاب « شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين أحمد الخفاجي (ت . 1061 هـ) الذي أكثر من الاعتماد على كتب الجواليقي ، وأضاف إليه ألفاظاً جديدة .

وقد طبع كتاب الجواليقي تحت عنوان « المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم » بتحقيق أحمد محمد شاكر ، وصدر عن دار الكتب المصرية عام 1361 هـ ، كما طبع كتاب الخفاجي تحت عنوان : « شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل » بتحقيق عبد المنعم خفاجي وصدر في القاهرة أيضاً .

وقد أراد اللغويون العرب تجنيب اللغة شرَّ الألفاظ العاميَّة التي خالفت الفصحى في كثير من المفردات بعد أن انتشر اللحن على ألسنة العرب ولا سيَّما العامة من الناس ، فألفوا الكتب في لحن العامَّة مثل كتاب « لحن العامَّة » للزبيدي الذي ألفه في القرن الرابع الهجري وغيره [1] ، وهي كتب أظهرت أخطاء اللحن ، والصواب .

---

(1) قام الدكتور عبد العزيز مطر بتحقيق ثلاثة كتب في لحن العامة هي : « لحن العامة » للزبيدي ، وكتاب « تثقيف اللسان » لابن مكي الصقلي ، وكتاب « تقويم اللسان » لابن الجوزي ، وأصدرها في كتاب اسماه « لحن العامة » .

وقد بدأت كغيرها دون تنظيم، تعرض الألفاظ العامية وتصويبها، مع ايراد شواهد قليلة من القرآن والشعر، ثم بدأت تظهر عليها معالم التبويب الموضوعي مع الاستطراد، وأصبحت أكثر تنظيماً ودقة بعد أن طرح العلماء فيما بعد ظاهرة الاستطراد، وبدؤوا باستخدام التبويب الالفبائي تبعاً للألفاظ. وقد ألف معظم علماء اللغة العرب في لحن العامة.

ونتحدث فيما يلي بإيجاز عن اثنين من أشهر كتب اللغة العربية هما كتاب «إصلاح المنطق» لابن السكيت، وكتاب «الفصيح» لثعلب.

1.4 كتاب إصلاح المنطق

أراد ابن السكِّيت[1] أن يعالج اللحن، ويصلح الغلط في

(1) ابن السكِّيت (186-244 هـ) أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق، من أبرز علماء اللغة العربية، كان يؤدب ولد جعفر المتوكل على الله، يقال أن أباه كان كثير السكوت، فلقِّب بصفة أبيه. أخذ عن أبي عمر الشيباني، والفرَّاء، وابن الأعرابي، وجماعة من البصريين. مات مقتولاً في بلاط المتوكل. له عدَّة كتب منها «الألفاظ» و «الأضداد»، و «إصلاح المنطق».

الكلام، ويقوم اللسان، فألف هذا الكتاب الذي يدل عنوانه عليه، وهو ينتمي في جلّه إلى كتب لحن العامة.

اتّخذ المؤلف من أبنية الصرف، وأوزان الأسماء والأفعال منطلقاً له، أقام عليها الكتاب وفصوله، ثم جمع ألفاظ اللغة وفرّقها على هذه الأبواب والفصول حتى يرى الناس الخطأ فيتجنبوه.

يبدأ الكتاب بباب أسماه المؤلف (باب فَعْل وفِعْل باختلاف معنى)، عرض فيه مجموعة من الالفاظ التي توافق هذه الأوزان مثل: «الحَمْل: ما كان في بطن أو على رأس شجرة، وجمعه أحمال، والحِمْل: ما حُمِلَ على ظهر أو رأس»[1] ومثل: الغَمْرَ: الماء الكثير... والغِمْر: الحقد[2]. ثم يذكر في الباب الثاني (باب فِعْل وفَعْل باتفاق المعنى) مجموعة من الكلمات التي تقع على هذه الأوزان الصرفية والمعنى واحد، مثل: «قِرْص وقَرْص، مِلْك ومَلْك[3]».

---

(1) اصلاح المنطق، ص. 3.

(2) المصدر نفسه، ص. 4.

(3) المصدر نفسه، ص. 32.

ومن أبوابه الأخرى التي خصصها لخطأ العامة في تحريف الضبط :

(ماهو مكسور الأول مما فتحته العامة أو ضمته) .

(ما جاء فعلت بالفتحة مما تكسره العامة أو تضمه) .

(ما يهمز مما تركت العامة همزة) .

كذلك من أبوابه الأخرى التي خصصها المؤلف لخطأ العامة في تحريف الحروف :

(ما يُتكلم به بالصاد مما تكلم به العامة بالسين ، وما يُتكلم به بالسين فيتكلم فيه العامة بالصاد) .

(وما يُتكلم فيه بأفعلت مما يتكلم فيه العامة بفعلت) .

أما ماتضعه العامة في غير موضعه فقد أشار إليه ابن السكّيت في أبواب مضطربة يكثر فيها الاستطراد .

الكتاب واسع ، غزير المادة ، يؤخذ عليه عدم التنظيم داخل الأبواب ، والاستطراد ، مع قلّة الشروح والشواهد ، لأن همه الأول

كان يتجه نحو وضع الألفاظ أمام أعين الناس حتى يعرفوا الخطأ من الصواب، فأهمل قضية التنظيم والشواهد.

وقد وجَّه المؤلف عناية خاصة في كتابه لأبنية الأفعال والأسماء، وخصص القسم الأكبر من الجزء الأول، وبعض أبواب الجزء الثاني منه لأمثلة الأسماء، مراعياً في ذلك تقديم الأمثلة المجرَّدة على المزيدة، والمجرد الثلاثي على الرباعي، والصحيح على المعتل، وأطال بعض الشيء في شرح الألفاظ ومشتقاتها، وهنا أكثر ـــ على غير عادته ـــ من الشواهد، وعلَّق على بعضها.

لقي هذا الكتاب اهتماماً كبيراً من علمائنا، فتناولوه بالدرس والشرح والنقد والتلخيص، وصدر أول مرَّة في القاهرة بتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون عام 1949.

2.4 كتاب الفصيح

يشبه هذا الكتاب في موضوعه كتاب «إصلاح المنطق»، فقد أراد مؤلفه ثعلب[1] أن يقدِّم فيه الفصيح والصواب، ويدل على

(1) ثعلب (200-291 هـ) أبو العبَّاس أحمد بن يحي بن يسار الشيباني بالولاء. عمل في بداية حياته بخياطة جلود الثعالب، وإليها نسب. أصبح إمام الكوفيين في النحو واللغة والحديث. له كتاب «المجالس» وكتاب «الفصيح».

الأصح والأفصح من الكلام، كما عرض ذلك في مقدمته بقوله: «هذا كتاب اختيار فصيح الكلام مما يجري في كلام الناس وكتبهم. فمنه ما فيه لغة واحدة والناس على خلافها، فأخبرنا بصواب ذلك. ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك، فاخترنا أفصحهن. ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا، فلم تكن إحداهما بأكثر من الأخرى، فأخبرنا بهما[1]».

سار المؤلف في عرض موادِّه على مبدأ الأوزان الصرفية، فبدأ كتابه بباب أسماه (باب فَعَلت بفتح العين) وذكر فيه مجموعة من الأفعال مفتوحة العين في المضارع، ثم (باب فَعِلت بكسر العين)، وذكر فيه مجموعة من الألفاظ الفصيحة مكسورة العين، وهكذا يستمر بالنسبة للأوزان الأخرى، قصده في ذلك أن يعرض الألفاظ في هذا الشكل ليعرفها الناس، ويتجنبوا الخطأ في لفظها.

يتميز الكتاب بعرض الألفاظ مع شيء قليل من الشروح والشواهد، لأن غايته الأساسية لم تكن تتجه نحو المعاني بقدر ما كانت تتجه نحو تعليم الناس اللغة الفصيحة، وطرق لفظها، وهو

(1) كتاب الفصيح، ص. 2.

كتاب صغير الحجم إذا ما قيس بكتاب «إصلاح المنطق»، ولكنه ــ على صغره ــ لقي شهرة كبيرة عند العلماء، وانتشر بين الناس انتشاراً واسعاً، لا سيما عند فئات الطلبة، «حتى صار جمهور الناس الذين يؤدبون أولادهم ومن يعنون بأمرهم يحفّظوهم كتاب الفصيح قبل غيره من كتب اللغة لما فيه من الألفاظ السهلة المستعملة، ولأن العامة تخطىء في كثير منها[1]».

تناول العلماء كتاب «الفصيح بالدرس والشرح، والزيادة والترتيب، وهذا دليل على الشهرة الواسعة التي لقيها. ومن أشهر الشروح التي قامت حوله كتاب «التلويح في شرح الفصيح» للهروي[2]، وكتاب «ذيل الفصيح» للبغدادي[3].

صدر الكتاب أول مرّة في مدينة لايبزج بألمانيا بعناية المستشرق فون بارث عام 1876م، ثم صدر مع شرح الهروي وذيل

(1) د. عزة الحسن، المرجع السابق، ص. 143.

(2) الهروي (ت. 433هـ) أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي، من علماء اللغة المعروفين.

(3) البغدادي (ت. 629هـ) أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف، من علماء اللغة المعروفين.

البغدادي مع كتاب «فعلت وأفعلت» للزجّاج في القاهرة بتصحيح محمد بدر الدين النعساني الحلبي عام 1907 . وبعدها صدرت هذه الطبعة ثانية في القاهرة بإشراف محمد بن عبد المنعم خفاجي عام 1949 .

5 ـــ كتب النوادر

وهي محاولات معجمية رائدة استمرت طيلة القرن الثاني للهجرة ومطلع القرن الثالث ، شغلت معظم علماء اللغة العربية آنذاك ، كأبي عمرو بن العلاء ، وأبي زيد الأنصاري ، وأبي مسحل الأعرابي ، وقطرب ، وأبي عبيدة ، والأصمعي ، وابن الأعرابي[1] ، وغيرهم حيث بلغ عددهم أكثر من أربعين[2] .

---

(1) أبو عمر بن العلاء (ت . 145 هـ) ، أبو زيد الأنصاري (ت . 215 هـ) ، أبو مسحل الأعرابي (القرن الثالث هـ) ، قطرب (ت . 206 هـ) ، أبو عبيدة (ت . 210 هـ) ، الأصمعي (ت . 215 هـ) ، ابن الأعرابي (ت . 231 هـ) .

(2) أبو مسحل الأعرابي ، كتاب النوادر في اللغة ، تحقيق د . عزّة الحسن ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، 1961 مقدمة المحقق ، ج 1 ، ص . 26.

كان القصد من تأليف هذا النوع من الكتب تسجيل الألفاظ العربية التي يندر استخدامها، وذلك حفاظاً عليها من الفناء مع وفاة عارفيها، لذلك حظيت بالتدوين قبل غيرها من الكلمات الفصيحة المستخدمة. ولكن هذا لايعني أن هذه الكتب لم تشتمل إلاَّ على النادر من الألفاظ، وإنما شملت أيضاً ألفاظاً فصيحة مستخدمة مشهورة، تماماً مثلما احتوت كتب الفصيح أيضاً كثيراً من الألفاظ النادرة.

ومن أهم وأقدم كتب النوادر كتابان، الأول لأبي زيد الأنصاري، والثاني لأبي مسحل الأعرابي. ونتحدث فيما يلي بإيجاز عن كل منهما.

1.5 كتاب النوادر

هذا الكتاب هو من أقدم كتب النوادر التي وصلتنا. ألفه أبو زيد الانصاري[1] في المرحلة الأولى من مراحل تأليف كتب

---

(1) أبو زيد الأنصاري (١١٩-215 هـ) سعيد بن أوس من أعلام النحو واللغة والرواية في البصرة، كان استاذاً لسيبويه، قيل عنه أنه اوثق الناس رواية، له مؤلفات لغوية كثيرة من بينها «القوس والترس»، و«الابل»، و «الوحوش»، و«خلق الإنسان»، و«كتاب المطر»، و «كتاب الهمز».

اللغة ، وأقام بناءه على مقطوعات وأبيات من الشعر والرجز ، ثم شرحه وأضاف إليه من علم عامة رجال البصرة والكوفة . وقد جمع المؤلف في كتابه هذا مجموعة من ألفاظ اللغة الغريبة النادرة داخل نصوص شعرية أو نثرية ، شرحها وعلّق عليها واستشهد لها بشواهد وافية من أشعار العرب وأراجيزهم ، دون التزام نظام معيَّن في الاختيار ، أو الشرح والتعليق ، أو الربط بين المعاني ، وهو أمر طبيعي في تلك الفترة المتقدمة من جمع اللغة ، حيث لم يكن الهدف يتجه نحو التنظيم والتبويب ، بقدر ما كان يتجه نحو الجمع والتدوين ، علماً بأن المؤلف قام بشرح الألفاظ الغريبة النادرة داخل ثلاثة أبواب في الشعر ، وسبعة في الرجز ، وخمسة في النوادر . الاَّ أن هذه الأبواب لم تكن تعكس فكرة التبويب والترتيب ، بقدر ما كانت تعكس ــ على مايبدو ــ الحلقات التي كان يعقدها الأنصاري لشرح غريب الشعر ، أو غريب الرجز ، أو النوادر ، لأن أياً من هذه الأبواب لايمتاز عن الآخر بأمر من الأمور التنظيمية ، بالرغم من اختلاف منهجه في عرضه لها ، وهو متقارب عنده في الشعر والرجز أكثر من النوادر التي جاءت متباعدة عنهما .

كان الأنصاري في أبواب الشعر ينسب الأشعار إلى أصحابها، مع ذكر العصر الذي عاش فيه كل من هؤلاء الشعراء، ثم يبدأ الشروح التي كان يلتفت خلالها إلى بعض المشتقات والتعبيرات الخاصة، والمسائل اللغوية، والنحو والصرف، والعروض، وشرح المفردات، مع تفسير المعاني مستشهداً لذلك بالقرآن والشعر.

وكان في أبواب الرجز يبدأ بذكر المقطوعات من الرجز دون نسبتها إلى أصحابها في غالب الأحيان، مع توجيه الاهتمام في هذه الأبواب إلى شرح المفردات، وتفسير المعاني الإجمالية بصورة أقلّ توسعاً مما سار عليه في أبواب الشعر، وهنا أيضاً نراه يوجه اهتمامه إلى مسائل في النحو والصرف.

أما أبواب النوادر فقد تناول فيها «ألفاظاً وتعبيرات واستعمالات غريبة لاتجري على القواعد المعروفة، ولا على اللغة الواضحة الشائعة الاستعمال، والألفاظ المتشابهة المشكلة، والتفت إلى بعض المترادفات، وإلى ما في شواهده من عروض ونحو وغيره. والشعر في هذه الأبواب قليل يأتي به للاستشهاد، لا أساساً للباب كعادته في الأبواب الخاصة بالشعر والرجز[1]».

(1) حسين نصار، المعجم العربي، المرجع السابق، ص. 139.

ولم تكن النسخة التي وصلتنا كلها لأبي زيد، بل نقل فيها الرواة أشياء كثيرة عن غيره من العلماء كالأصمعي، وأبي عبيدة، وابن الأعرابي، وهم معاصرون له.

وفيما يلي نماذج مختارة من الكتاب توضح طريقة المؤلف في الاختيار والشرح والتعليق. قال أبو زيد «قال سحيم بن وثيل اليربوعي:

كانت عُبَيْدُ شُهودَ الحي ما اعتزلوا
وحميريٌّ فلم تَعْجَزْ ولم تُلَمِ
ظلَّت نساؤهم والقوم أَنجيةٌ
يُعْدَى عليها كما يعدى على النَّعَمِ

عبيدٌ وحميريٌّ قبيلتان من بني يربوع، وقوله: لم تُلم لم تأت أمراً تُلام عليه، أو تستوجب الملامة عليه، وواحد الأنجية نجى كما ترى، وهي جماعة يتناجون كما قال عزَّ وجل: (خلصوا نجيا)[1]».

وقال أيضاً: «الهريش والجشيش: الحب حين يُدَق بالمهراس قبل أن يطبخ، فإذا طبخ فهو هريسة وجشيشة[2]».

وقال في مكان آخر من كتابه: «ويقال لو لم يجعل الله

(1) النوادر، ص. 10-11.

(2) المصدر نفسه، ص. 81.

تعالى في الابل إلاَّ رقوُّ الدم لكانت عظيمة البركة ، يعني أن الدماء ترقأ بها أي تحبس ، ولا تهرق لأنها تعطى في الديَّات[1] » .

كما قال : « ويقال ثوب مهلهل : إذا أرقَّه نساجه فباعد بين خيوطه . ورأيت الرجلين يُهتِملان هتملة ، إذا تكلما بسر يسرَّانه عن غيرهما ، لا يفهمه غيرهما . ويقال في صدر فلان علي دغل وداغلة أي شرٌّ ، والداغلة قوم يريدون خيانة الإنسان أو عيبه . . . ويقال في مثل سقط العشاء به على سرحان ، إذا طلب حاجة فوقع منها على داهية[2] » .

يبدو مما تقدم أن المؤلف ذكر أبياتاً اختارها من الشعر العربي فيها كلمات نادرة ، شرحها ، وبيَّن الفروق الدقيقـة بين الألفاظ ، واستخرج ما شذَّ وخرج عن الجمهور من عبارات مبهمة ، أو أمثال ولهجات ، فشرحها ، وعلَّق عليها ، دون التزام نظام معيَّن في الشرح والتعليق .

صدر كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري في بيروت أول مرَّة

(1) المصدر نفسه ، ص . 95 .

(2) المصدر السابق ، ص . 246 .

عام 1894 م مذيلاً بتعليقات اللغوي اللبناني سعيد الخوري الشرتوني، ثم أعيد طبعه مصوراً في طبعة حديثة عام 1971 م. بتحقيق الدكتور أحمد عبد القادر أحمد.

2.5 كتاب النوادر في اللغة

ألَّفه أبو مسحل الأعرابي[1] وهو من أوسع كتب اللغة المتقدمة، وأغزرها مادة. لايختلف كثيراً عن كتاب أبي زيد من حيث سرد النصوص عفو الخاطر، وانعدام التبويب والترتيب، واستقصاء المعاني. وبينما كان الأنصاري يورد نصوص الشعر والرجز ليشرح ما فيها من ألفاظ غريبة نادرة، كان الأعرابي يورد الألفاظ الغريبة النادرة أولاً، ثم يستشهد أثناء شرحها بقليل من شواهد الشعر والرجز، أو بآيات القرآن الكريم والحديث الشريف لتوثيقها، لذا جاءت مادته اللغوية أغزر، ونصوصه أقل من الكتاب الأول.

---

(1) أبو مسحل الأعرابي، عبد الوهاب بن حريش، حضر من البادية، ودخل بغداد، وهو من الأعراب الفصحاء الذين رويت عنهم اللغة. كان تلميذاً للكسائي واللحياني، اتصل بالحسين بن سهل وزير الخليفة المأمون، وهو معاصر لأبي زيد الأنصاري. أكثر كتابه مروي عن تلميذه ثعلب.

شملت نوادر ابن الأعرابي الكثير من المسائل اللغوية ، وقد اعتمد في مصادره بشكل خاص على بعض الأعراب ، وفي ذلك يقول : «كنت إذا أتيت العقيلي لم يتكلم بشيء إلاَّ كتبته ، فقال : ما ترك عندي قابة إلاَّ اقتبها ، ولا نقارة إلاَّ انتقرها[1]» وهو أمر تسبب في جعل نوادره خليطاً من الشعر والأبنية وفرائد الألفاظ والتراكيب . ومن ذلك ماجاء مروياً عنه في نوادره في مختارات الشعر : «قال أبو علي البغدادي : قرأت على أبي عمر في نوادر ابن الاعرابي قال : أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي لأبي صفوان الأسدي :

نأت دار ليلى وشطَّ المزار فعيناك ماتطعمان الكرى

وهي قصيدة في خمسة وستين بيتاً ذكرها أبو علي في أماليه وأخذ في شرح مفرداتها .

وفي الاستعمالات المجازية يقول : «تقول العرب ضربه ابنة اقعدي وقومي ، يعني ضربُ أمَةٍ لقعودها وقيامها في خدمة أهلها ومواليها .

(1) المزهر : ج 2 ص 304 .
الاقتباب . كل قطع لايدع شيئاً . الانتقار : الاختيار .

وفي الأضداد: يقول السيوطي وهو يعرض للأضداد: ومن نوادر ابن الأعرابي القشيب: الجديد والخلق، الـزوج: الذكـر والأنثى...

وفي القلب: كل شيء لم يكن له قدر كاف فهو سفيط وفسيط.

وفي الابدال: رجل صلب وصلت بمعنى واحد.

وفي الأمثال: يقال أجدع من ضب وذلك أنه إذا دخل جحره لم يقدر عليه[1]».

قال أبو مسحل أيضاً في كتابه: «ويقال أصابتهم سنة، وعام، وكحل، والشهباء، والبيضاء، والحمراء. وأصابتهم أزمة، وأزبة، وأزلة،وهي الشدّة[2]».

من هذه الأمثلة الموجزة تتضح طريقة المؤلف في اختيار

---

(1) د. عبد الحميد الشلقاني، المرجع السابق. ص 167/175.

(2) النوادر في اللغة، ص. 192.

الألفاظ المترادفة في اللغة دون شروح كثيرة لاستقصاء معانيها، أو ايراد شواهد إلاَّ القليل منها عندما يبدو له ذلك عرضاً.

صدر كتاب النوادر في اللغة لأبي مسحل الأعرابي عن مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق الدكتور عزة الحسن عن مخطوطة موجودة في استنبول عام 1961 م. في جزأين، وذيَّله بفهارس قيِّمة وافية لتسهيل استخراج الألفاظ والأعلام وغيرها منه.

6 ــــ كتب الأضداد

وهي نوع آخر من كتب اللغة، التي جمعت ألفاظاً تأخذ معنيين متضادّين، بحيث يمكن استخدام كل لفظة منها لمعنيين متنافرين، إذ أن كل لفظة تعني الشيء وضدَّه. فكلمة جون مثلاً تعني الأبيض والأسود في آن واحد، وكلمة شرى تعني باع أو اشترى، وكلمة رَهْو تعني الارتفاع أو الانحدار، وكلمة غَبَرَ تعني ولّى أو بقي، وكلمة لَمَقَ تعني كتب أو محى، وكلمة مسجور تعني المملوء أو الفارغ، وكلمة ناهل تعني العطشان أو المرتوي وغيرها من ألفاظ الأضداد في العربية.

وقد اهتم علماؤنا بجمع هذه الألفاظ في رسائل أسموها (ما

اتفق لفظه واختلف معناه)، كما ألفوا كتباً خاصة في الأضداد، ومن بينهم الأصمعي والسجستاني، وابن السكّيت[1]، وقطرب، وابن الأنباري، والصغاني[2]. وهناك من العلماء من دافع عن الأضداد واعتبرها ميزة في اللغة العربية كابن فارس. وهناك من تردَّد فيها كالمبرِّد الذي ذكرها في كتابه دون أن ينسبها إليه، كما أن هناك من أنكرها كالقالي، وابن درستويه الذي ألَّف كتاباً في إبطالها[3].

والضد كما ورد في لسان العرب هو «كل شيء ضادَّ شيئاً ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار إذا جاء هذا ذهب ذاك».

---

(1) نشرت كتب الأضداد للأصمعي والسجستاني وابن السكّيت في مجموعة واحدة بتحقيق المستشرق هغنر في بيروت عام 1914 م. تم نشر أيضا كتاب الأضداد للصغاني وجعله ذيلاً للمجموعة السابقة.
كما نشر المستشرق هانس كوفلر كتاب الأضداد لقطرب في مجلة (Islamica)، المجلّد الخامس، وذلك عام 1931 م.

(2) الأصمعي (ت. 215 هـ)، السجستاني (ت. 255 هـ)، قطرب (ت. 206 هـ)، ابن الأنباري (ت. 328 هـ)، الصغاني (ت. 650 هـ).

(3) ابن فارس (ت. 395 هـ). المبّرد (ت. 285 هـ)، القالي (ت. 356 هـ) ابن درَستويه (ت. 347 هـ) م.

إلاَّ إن الضد لايعني النقيض بصفة مطلقة، فهناك الأضداد في المقابلة مثل: «القنيص للصائد والصيد، والكري للمستأجر (بفتح الجيم)، والمستأجر (بكسر الجيم)، والمولى للمنعِم والمنعَم عليه، والغريم للمطلوب بالدَّين والطَّالب لدينه[1]».

وهناك الأضداد في لهجات من قبائل عربية مختلفة مثل: «السدفة: في لغة تميم الظلمة، وفي لغة قيس الضوء[2]». كذلك «لمق: لمقت الشيء المقه لمقاً إذا كتبته في لغة عقيل، وسائر العرب يقولون لمقته، محوته[3]». كذلك «الساجد: المنتصب في لغة طيء، وعند غيرهم المنحني[4]».

وهناك أيضاً من الكلمات ما أطلق على الضدَّين لمعنى مشترك بينهما مثل. «الذفر: ووجه التضاد فيه أنه يطلق على الرائحة الطيبة والنتنة، وهذا المعنى يستمد دلالته من ذاتها ولكن في

(1) مجموعة الأضداد، ص. 24.

(2) المصدر نفسه، ص. 35.

(3) المصدر نفسه، 40.

(4) المصدر نفسه، ص. 43.

معنى مشترك بين الضدَّين، وهو حدَّة الريح في الطيِّب والنتن جميعاً[1]» . كذلك «طرب : وهـذا حرف من الأضدَّاد ، يقـال طرب إذا فرح، وطرب إذا حزن . والطرب ليس هو الفرح أو الحزن ، وإنما هو خفَّة تلحق الإنسان في وقت فرحه وحزنه فيقال : قد طرِب إذا استخـف[2]» . ومـن ألفـاظ الأضداد ما أطلـق على الشيء بذاته ، ثم أطلق على معنى آخر مستمد من استخدام هذا الشيء ، مثل :

«الظعينة : المرأة في الهودج ، والظعائن : الهوادج . قال أبو زيد : الظعائن الهوادج ، وإنما سمِّيت النساء ظعائن لأنهنَّ يكنَّ فيها .

الكأس : من الأضداد لأنه يطلق على الإناء ذاته ، كما يطلق على مافيه من شراب[3]» .

ونتعرف فيما يلي على كتابين من أهم الأضداد المطبوعة هما كتاب الأضداد لأبي بكر بن الأنباري ، وكتاب الأضداد في اللغة لأبي الطيِّب اللغوي .

---

(1) كتاب الأضداد لابن الأنباري ، ص . 73 .

(2) المصدر نفسه ، ص . 87 .

(3) مجموعة الأضداد ، ص . 46 .

1.6 ــ كتاب الأضداد

يعد هذا الكتاب أحد أهم كتب الأضداد المطبوعة في اللغة العربية. ألّفه أبو بكر بن الأنباري[1]، وجمع فيه ثلاثمائة لفظ من ألفاظ الأضداد دون اتباع نظام معين، أو منهج محدد، وهو ما لاحظناه أيضاً في كتب النوادر، ومعظم كتب اللغة التي ألفت في ذلك الحين.

تصدّى ابن الانباري في بداية كتابه لأهل البدع ممن عابوا على اللغة العربية اشتمالها على ألفاظ الأضداد، وأرجع ذلك الاتهام إلى نقص حكمتهم، وقلّة بلاغتهم، وبيّن أن وجود الأضداد في اللغة العربية إنما هو دليل على ذكاء العربي، ومقدرته على فهم معاني الكلمات من سياق الكلام، وفي هذا يقول. «ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم، وقلّة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم عند اتصال مخاطباتهم، فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الاسم منبىء عن المعنى الذي

(1) ابن الأنباري (271-328 هـ) أبو بكر بن الأنباري، من أشهر علماء الكوفة في اللغة والنحو والتفسير والرواية.

تحته ودال عليه، وموضّح تأويله، فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطَب أيهما أراد المخاطِب، وبطُل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمَّى، فأجيبوا عن هذا الذي ظنوه وسألوا عنه بضروب من الأجوبة أحدهن أن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلاّ باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنه يتقدمهما ويأتي بعدها مايدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر[1]».

ومن ألفاظ الأضداد المشروحة في الكتاب كلمة وثب. يقول المؤلف: «وثب: حرف من الأضداد، يقال: وثب الرجل إذا نهض وطفر من موضع إلى موضع. وحمير تقول: وثب الرجل إذا قعد. وقال الأصمعي وغيره: دخل رجل على ملك من ملوك حمير وكان الملك جالساً في موضع مشرف فارتقى إليه، فقال له الملك: ثب، يريد اجلس، فطفر، فسقط، فاندقت عنقه. فقال الملك: من دخل ظفار حمّر، أي تكلم بلسان حمير[2]».

(1) ابن الانباري، المصدر السابق، ص. 8.

(2) د. عمر الدقاق. المرجع السابق، ص. 140.

ويقول في موضع آخر : «والسليم حرف من الأضداد، يقال : سليم للسالم وسليم للملدوغ ، جاء رجل إلى النبي فقال : إن في الحي سليماً ، أي ملدوغاً[1]» . والمؤلف في كتابه هذا يشرح ألفاظ الأضداد في اللغة العربية ، ويستشهد لها بالقرآن والحديث والشعر والمأثور من قصص العرب .

طبع الكتاب مرات عدة آخرها طبعة متقنة صدرت في الكويت بتحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم عام 1960 ، ذيِّلت بتسعة فهارس قيمة لألفاظ الأضداد وآيات القرآن والحديث وقوافي الأشعار والأعلام والقبائل والأمم والأماكن وغيرها .

2.6 الأضداد في كلام العرب

وهو كتاب آخر من كتب الأضداد العربية المطبوعة ، ألفه أبو الطيب اللغوي[2] بعد أن اطلع على كتب الأضداد التي ألفت

---

(1) المرجع نفسه ، ص . 140 .

(2) أبو الطيب اللغوي (000-351 هـ) أحد النحاة اللغويين البارزين في القرن الرابع الهجري انحدر من نواحي حوزستان إلى بغداد ، كما عاش بقية حياته في بلاط سيف الدولة في حلب . له عدة مؤلفات من بينها (مراتب النحويين) و(شجر الدر) و (الابدال) وغيرها .

قبله، وأفاد منها، وأخذ عنها الكثير ما عدا كتاب ابن الأنباري الذي لم يأخذ عنه شيئاً، ويُظن أنه لم يطلع عليه. ومن مِّيزات هذا الكتاب أنه غزير المادة لاحتوائه على مجموعة كبيرة من ألفاظ الأضداد في العربية، حافل بالشواهد القرآنية والحديثية والشعرية والأقوال المأثورة، ومن ميزاته أيضاً كون ألفاظه مرتبة على حروف الهجاء، وهو أمر لا مثيل له في كتب الأضداد التي سبقته، علماً بأنه لم يكن دقيقاً في ترتيب ألفاظه على حروف الهجاء.

صدر هذا الكتاب عن مجمع اللغة العربية في دمشق بتحقيق الدكتور عزة الحسن عام 1963 م. في جزأين. وقد أضاف إليه المحقق مقدمة مفيدة، وذيلاً بعشرة فهارس لألفاظ الأضداد والآيات والأحاديث والأشعار والأمثال والأقوال المأثورة والأعلام والقبائل والبلدان والأماكن، واستغرقت هذه الفهارس أكثر من مئة وخمسين صفحة.

7ـ كتب الهمز

هناك إلى جانب الرسائل اللغوية التي الفت في الغريبين، أو النوادر، أو الأضداد، رسائل أخرى جمعت الألفاظ التي

تشترك في حرف واحد وحملت اسم هذا الحرف، مثل كتاب الهمز، أو كتاب الجيم، أو كتاب اللام وغيرها. وقد كتب في الهمز كل من قطرب والأصمعي وغيرهم، وكان الكلام في الهمز غالباً لبيان الفروق بين لهجات العرب المختلفة، فقد كانت الفروق واضحة على سبيل المثال بين لهجة الحجاز ولهجة تميم، «إذ كانت هذيل وأهل مكّة والمدينة والحجاز بصفة خاصة لاينبرون إلاَّ من كلمات أخذت عنهم مهموزة، أشار إلى ذلك سيبويه في قوله: ليس أحد من العرب إلاَّ ويقول: تنبأ مسيلمة... وأشار محمد بن محمد الدمشقي (ابن الجزري) إلى قراءات أهل الحجاز التي ظهر فيها تركهم للهمز فيما أورده من قراءات أبي جعفر قاريء المدينة، كان يقرأ (كل يوم هو في شأن) من غير همز، ويروى أن قرأ (شيئاً، ورئياً) في سورة مريم شيا، وريا إلى غير ذلك[1]». من هنا يتضح أن التأليف في الهمز كان وجهاً من وجوه عناية العلماء بالفروق بين اللهجات المختلفة.

ويعد كتاب الهمز لأبي زيد الأنصاري[2] خير ما يمثل هذه

(1) د. عبد الحميد الشلقاني، المرجع السابق، ص. 101.

(2) نشر الكتاب بتحقيق الأب لويس شيخو في بيروت عام 1910.

المجموعة من الكتب ، فقد جمع الألفاظ التي تنتهي بحرف الهمزة ، وصنّفها تبعاً للحرف الأول ، دون ترتيب دقيق ، أو شرح منظم ، إلاَّ أنه يمثل دون شك خطوة متقدمة في مجال التنظيم والتبويب لأنه بدأ بجمع الألفاظ تبعاً لاشتراكها في أحد حروفها .

يقع الكتاب في تسع وعشرين صفحة من القطع المتوسط ، وينقسم بدوره أيضاً إلى تسعة وعشرين باباً لاتقوم على أساس واحد ، مما يدل على أن فكرة التنظيم عنده ثانوية . وهو يورد الألفاظ ويفسرها بإيجاز ، كما يستشهد على شرحها في بعض الأحيان ، وأكثر شواهده شعرية ثم قرآنية .

يقول الأنصاري في شرح كلمة برأ :

« ... وتقول برأت من المرض ، فأنا أبرؤ وأبرأ بُرءاً وبروءاً ، هذا من لغة أهل الحجاز ، وسائر العرب يقولون : برئت من الدين أبرأ بُرءاً ، وبرئت من الدَّين أبر براءة[1] » .

ويقول في باب آخر من الهمز :

« ... أرفأت السفينة إرفاءً ، إذا قرَّبتها من الأرض ، وتقول : رفأت

---

(1) كتاب الهمز لأبي زيد الانصاري ، ص . 6 .

الثوب أرفؤه رفئاً، ورافأك الرجل في البيع مرافأة، إذا حاباك به[1] ».
وقد ألفت كتب أخرى في الهمز غير كتاب أبي زيد، ويعتقد الدكتور حسين نصار أن قطرب هو أول من ألف في الهمز[2]، ثم تبعه عدد من علماء اللغة كابن سلاّم في كتاب « الغريب المصنَّف »، وابن السكيت في كتاب « الالفاظ »، وابن قتيبة في « أدب الكاتب »، وابن دريد في كتاب « الجمهرة »، وابن سيده في كتاب « المخصص » وغيرهم[3].

8 ـــ كتب الأبنية

اشترك اللغويون والنحاة منذ بداية عهد التدوين في تأليف كتب الأسماء والأفعال نظراً لكون اللغة العربية لغة اشتقاقية تصوغ للمعاني ابنية متنوعة من المادة الواحدة. وقد بدأ التأليف في هذا الباب في شكل رسائل صغيرة متفرقة تطورت تدريجياً حتى

(1) المصدر نفسه، ص. 7.

(2) المعجم العربي، المرجع السابق، م 1، ص. 117.

(3) ابن سلام (ت. 232 هـ)، ابن قتيبة (ت، 276 هـ)، ابن دريد (ت. 321 هـ)، ابن سيده (ت. 458 هـ).

أصبحت كتباً كبيرة تصل إلى حد المعاجم، ومنهم من أفرد لها فصولاً خاصة داخل مؤلفاته اللغوية الكبيرة.

وتعود كتب المصادر إلى هذا النوع من التأليف، مثل مصادر القرآن أو المصادر المأخوذة من الأفعال، أو من الأسماء، أو الأعداد، أو المصادر التي وردت على أوزان صرفية معينة مثل فعل أو مفعول. وقد ألف عدد من علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين في المصادر كالنضر بن شميل، والفرّاء، وأبي عبيدة، والأصمعي، والأنصاري وغيرهم، ثم تتابع التأليف في هذا الباب إبّان القرون اللاحقة.

كما ألف العلماء منذ القرن الثاني للهجرة كتباً في الصيغ والأفعال العامة جمعت فيها الأفعال المتماثلة في أوزانها الصرفية كفَعَلَ وأفْعَلَ، وفَعَلْتُ وأفْعَلْتُ، منهم قطرب، والفراء، وأبو عبيدة، والأصمعي، والأنصاري، وابن سلاّم، ثم تتابع هذا النوع من التأليف أيضاً في القرون اللاحقة، حيث ألّف فيه الزجّاج، وابن دريد وابن درستويه والقالي وغيرهم.

ومن أهم وأقدم كتب هذا النوع من التأليف كتاب « فعل وأفعل » لقطرب[1]، وكتاب « فعلت وأفعلت » للزجّاج[2]. وفي هاتين الصيغتين من الفعل الواحد، كان المعنى يتفق أحياناً، ويختلف أحياناً أخرى.

وقبل أن نعرض بعض الأمثلة من الكتاب الثاني نعرض جانباً من عبارة مؤلفه في المقدمة حيث قال: « هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب على لفظ (فعلت وأفعلت) والمعنى واحد، وما تكلمت به على لفظ (فعلت وأفعلت) والمعنى مختلف، وما ذكر فيه (فعلت) وحده، وما ذكر فيه (أفعلت) وحده، وهو مصنَّف مبوَّب على حروف المعجم[3] ».

وهذا مثال من النوع الأول: « ويقال: وفيت بالعهد وأوفيت، ووقعت بالقوم في القتال وأوقعت بهم، ووقفت الفرس وأوقفتها، ومأت إلى الرجل وأومأت إليه[4] ».

---

(1) سبق التعريف به.

(2) سبق التعريف به.

(3) كتاب فعلت وأفعلت للزجّاج، المقدمة.

(4) المصدر نفسه مجتزأ من باب الواو.

وهذا مثال من النوع الثاني : « ... يقال : وعيت العلم إذا حفظته ، وأوعيت الشيء إذا وضعته في الوعاء ، ووعدت الرجل وعداً في الخير ، وأوعدته إيعاداً ووعيداً في الشر[1] » .

أما في النوع الثالث فيقول المؤلف : « ضفا الشيء إذا كثُر يضفو ، وضمر فهو ضامر ، وضفرت الشعر فهو مضفور ، وضامه يضميه إذا ظلمه ، وضلعت مع فلان ملت معه[2] » .

وهذا مثال من النوع الرابع : « أتلد الرجل إذا كان له مال تليد أي قديم ، وأتأمت المرأة فهي متئم إذا ولدت ولدين في بطن واحد ، وأتمر القوم إذا كثر تمرهم ، وأترعت الإناء ملأته فهو مترع[3] » .

طبع كتاب « فعلت وأفعلت » للزجاج مع كتاب « الفصيح » لثعلب أول مرّة في مصر بتصحيح محمد بدر الدين النعساني عام 1907 ، ثم أعيد طبعه في القاهرة بإشراف محمد عبد المنعم خفاجي عام 1949 .

---

(1) المصدر نفسه ، مجتزأ من باب الواو .

(2) المصدر نفسه ، مجتزأ من باب الضاد .

(3) المصدر نفسه ، مجتزأ من باب التاء .

ومن كتب الأبنية أيضاً كتب أمثلة الأسماء التي أخذت نصيبها داخل الموسوعات اللغوية، كذلك الكتب التي جمعت بين الأفعال والمصادر والأسماء في آن واحد. وقد خطا هذا النوع من الكتب بفضل كتاب «ديوان الأدب» للفارابي (ت. 350 هـ) خطوات واسعة إلى الأمام لأنه ابتكر فيه نظاماً جديداً أعجب العلماء، وجعلهم يلهجون بالثناء عليه.

وهناك رسائل من نوع آخر ألفت في هذه المرحلة مثل كتب اللغات (لغات القرآن، لغات القبائل)، وكتب البلدان والمواضع، وكتب الاشتقاق، وكتب الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث، والصفات، والمقصور والممدود[1]، كانت كلها أرضية خصبة لقيام المعاجم اللغوية، أو مهَّدت لها، وهي كتب لم تبل قيمتها بعد، والحاجة تدعو إلى نشر بعض مالم يطبع منها[2].

---

(1) درس الدكتور نصار هده الكتب بشكل موسَّع في كتابه «المعجم العربي نشأته وتطوره» ج 1، ص. 70-213.

(2) فيشر، المعجم اللغوي التاريخي، القاهرة، مجمع اللغة العربية، 1967، ص. 5.

الفصل الثاني

المدارس المعجمية

1. ــــ مدرسة الخليل

يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي[1] رائد المعجمات الأول في العربية ، فقد ابتكر طريقة جديدة في ترتيب الحروف على مخارجها الصوتية ، إنطلاقاً من علمه الواسع بالموسيقى .

رفض الخليل الترتيب الأبجدي الذي اقتبسه العرب عن الفينيقيين وعدد حروفه اثنان وعشرون حرفاً ، وأضافوا إليها الروادف التي ينفرد بها العرب عن غيرهم في اللغات السامية الأخرى وهي (ث ، خ ، ذ ، ض ، ظ ، غ ، ء) . أما سبب رفضه لهذا

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي (100-175 هـ) أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، إمام البصريين في اللغة والنحو ، مبتكر علم العروض، ومخترع علم النحو ، وعلم الموسيقى العربية ، ابتكر المعجم العربي ، وبعض العلوم الرياضية .

الترتيب فهو كونه لا يستند إلى مبدأ معين ، أو منهج محدَّد ، ولأنه يبدأ بالهمزة ، وهو حرف لا يستقر على قرار ، وتتلاحق الأحرف في هذا الترتيب الأبجدي وفق مايلي :

ا ، ب ، ج ، د ، هـ ، و ، ز ، ح ، ط ، ك ، ل ، م ، ن ، س ، ع ، ف ، ص ، ق ، ر ، ش ، ت ، ث ، خ ، ذ ، ض ، ظ ، غ[1] .

كما رفض الترتيب وفق الأشباه والنظائر الذي وضعه نصر بن عاصم الليثي (ت. 90 هـ) بتكليف من الحجَّاج بن يوسف الثقفي ، لأنه مبني أصلاً على الرسم والكتابة ، بينما اللغة قوامها الأدَاء والنطق. وتتلاحق الأحرف وفق الترتيب الهجائي هذا على النحو التالي :

ا ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، و ، ي .

خرجَ الفراهيدي بطريقته الصوتية التي ترتب الحروف وفق

---

(1) جمع بعضهم هذه الحروف داخل الكلمات التالية تسهيلاً لحفظها :
أبجد ، هوَّز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ .

خروجها من الحلق صعوداً من أدنى إلى أعلى ، بدءاً من الحلق ، وانتهاء بالشفتين ، لأن أساس اللغة في نظره النطق وليس الرسم ، أما الفم ، فهو الأداة التي تكوِّن الحروف ، وتطلق الأصوات .

هكذا قام الخليل بوضع سلَّمه اللغوي ، بعد دراسته للحروف العربية ، فرتَّبها بشكل آخر يتناسب مع مخارجها الصوتية ، وقال بأن العين والحاء والهاء والخاء والغين هي حروف حلقية ، لأنها تخرج من الحلق ، بعضها أرفع من بعض ، ثم قال بأن القاف والكاف هما حرفان لهويان لأنهما يخرجان من اللهاة ، أما الجيم والشين والضاد فهي حروف شجرية ، لأنها تخرج من شجر الفم ، بينما الصاد والسين والزاي هي حروف أسلية ، لأنها تخرج من أسلة اللسان ، والطاء ، والتاء ، والدال حروف نطعية لأنها تخرج من نطع الفم الأعلى ، والظاء ، والذال ، والثاء هي حروف لثوية بعضها أرفع من بعض ، والراء ، واللام ، والنون ، حروف زلقية لأن مبدأها زلق اللسان ، ثم الفاء و الباء والميم من حيِّز واحد ، وهي حروف شفوية لأنها تنطلق من الشفة .

• أما الحروف الباقية وهي الواو والياء والألف والهمزة ، فليس

لها حيِّز تنسب إليه إلاَّ الهواء، وهي بذلك حروف هوائية [1]، إلاَّ أنه جعل الواو والألف والياء قسماً، والهمزة وحدها قسماً آخر [2].

وتتابع بذلك الحروف العربية وفق طريقة الخليل الصوتية هذه على النحو التالي:

ع، ح، ه، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، ء [3].

---

(1) الحروف عند الفراهيدي هي بهذا الترتيب ضمن مجموعاتها الصوتية:
ع، ح، هـ، خ، غ (حلقية) ـ ق، ك (لهوية) ـ ج، ش، ض (شجرية) ـ ص، س، ز (أسلية) ـ ط، د، ت (نطيعة)، ظ، ذ، ث (لثوية) ـ ر، ل، ن (زلقية) ـ ف، ب، م (شفوية) ـ و، أ، ي، ء (هوائية)، وهذا الترتيب يختلف عن ترتيب سيبويه الذي جعل للحروف ستة عشر مخرجاً.

(2) كتاب العين، ج 1، ص. 65.

(3) وضع أبو الفرج المعافري هذه الأحرف المرتبة على الطريقة الصوتية داخل أبيات شعرية تسهيلاً لحفظها:

ياسائلي عن حـــروف العيـــن دونكمــا
في رتبـــة ضمَّنهـــا وزن وإحصـــاء

العـــين والحـــاء ثم الهـــاء والخـــاء
والغيـــن والقـــاف ثم الكـــاف أكفـــاء

←

ثم قام الخليل بتأليف معجم لغوي رتَّبه على هذه الطريقة.

وقد اتهم الخليل بكونه مقلداً لا مبتكراً في طريقته هذه، وهو اتهام يفتقر إلى الحجَّة والبرهان. فهناك من زعم أنه كان على صلة وثيقة بحنين بن اسحاق الذي كان يعرف اليونانية، ويترجم عنها، وأن هذا الأخير نقل هذه الطريقة في الترتيب عن اليونانية إلى الخليل، وهو زعم باطل، لأن حنين ولد عام 194 هـ، أي بعد وفاة الخليل، فضلاً عن أنه لم يعرف عن اليونان معجماً رتب وفق هذه الطريقة [1].

والجيم والشين ثم الضاد يتبعها ... صاد وسين وزاي بعدها طاء

والدال والتاء ثم الظاء متصل ... بالظاء ذال، وثاء بعدها راء

واللام والنون ثم الفاء والباء ... والميم والواو والمهموز والياء

كما وضع آخر أبياتاً غيرها يبدأ كل لفظ منها بالحرف المقصود:

عن حزن هجر خريدة غنَّاجة ... قلبي كواه حوى شديد ضرار

صحبي سيبتدئون زجري طلباً ... دهشتي تطالب ظالم ذي تار

(1) العطّار، المرجع السابق، ص. 59.

وهنالك أيضاً من زعم أنه نقل طريقته عن اللغة السنسكريتية الهندية، وحروفها مرتبة على المخارج الصوتية من الحلق والفم، والصلة بين الجزيرة العربية والهند قديمة، ولكن هذا القول يفتقر بدوره أيضاً إلى دليل قوي، لأنه ليس من السَّهل نقل ترتيب كهذا بحذافيره من لغة إلى أخرى لاختلاف النطق بالحروف، فضلاً عن أنه لم يكن للهند آنذاك معجم معروف.

ونظراً لعلم الخليل الواسع بالموسيقى فضلاً عن اللغة، ونظراً لذكائه الذي عرف به، فإن القول الأصح هو أنه مبتكر هذه الطريقة الصوتية، غير مقلِّد.

1.1 كتاب العين

أَلَّف الفراهيدي كتاب العين ورتبه وفق الطريقة الصوتية التي ابتكرها وجعله كتباً على عدد حروف الهجاء بعد أن سمَّى كل حرف كتاباً، وابتدأه بكتاب العين، لأن حرف العين هو أول حرف من حروف الهجاء عنده، ثم أتبعه بكتاب الحاء، ثم كتاب الهاء، وهكذا حتى آخر حروف الهجاء. وقد سمَّى الكتاب في جملته بكتاب العين من باب تسميته الكل بالجزء.

استقصى الخليل أبنية الكلام عند العرب فوجدوها لاتقل عن حرفين اثنين، ولا تزيد عن خمسة أحرف، أما مازاد عن ذلك فهي زائدة لاعلاقة لها بأصل الكلمة، لذلك حصر الأبنية بين الثنائي والخماسي[1]. قال الخليل: «وليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فِعْل أو إسم فاعلم أنها زائدة على البناء وليست من أصل الكلمة مثل: قَرَعْبَلانة، إنما أصل بنائها على قَرَعْبَلْ، ومثل عنكبوت، إنما أصل بنائها على عَنْكَبَ[2]».

اعتمد الخليل هذا المبدأ في كتابه عندما قسّم كل حرف من حروفه وفق الأبنية، فقد بدأ كل كتاب بباب الثنائي، وفيه الكلمات المؤلفة من حرفين أصليين، ثم باب الثلاثي، وفيه الكلمات المؤلفة من ثلاثة أحرف أصلية، ثم باب الرباعي، ثم الخماسي[3]. ولم يكتف بهذا، بل فصل المضعّف، والمعتل عن

(1) كتاب العين، ج 1، ص. 53-55.

(2) المصدر نفسه، ج 1، ص. 55.

(3) يرى الخليل بأن كل كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الزلق (ر، ل، ن)، والحروف الشفوية (ف، ب، م)، أي لايكون فيها حرف أو أكثر من هذه الحروف، وهي كلمة ليست من كلام العرب، مثل: كشعثج، خضعثج، كشعطج، فهي مولدات لاتجوز عند العرب.

الصحيح، وأفرد لها أبواباً مستقلة، وبذلك تفرَّقت الألفاظ بشدة بين هذه الأبواب الكثيرة، فأصبح البحث عنها صعباً، إلاَّ على العارف العالم بقواعد اللغة.

لم يكتف الخليل بهذا، بل زاد طريقته تعقيداً، حين اعتمد مبدأ التقاليب، وهو توليد كلمة من كلمة بتغيير مواضع حروفها، وهو مايعرف بالاشتقاق الكبير[1]. وعلى أساسه تنقلب الكلمة الثنائية إلى صورتين، فكلمة (عب) تنقلب أيضاً إلى صورة أخرى هي (بع). أما الكلمة الثلاثية ففيها ست صور، مثل مادة (شرب) وهي ثلاثية، ينتج عنها عند تقليبها الصور التالية: شرب، برش، شبر، ربش، بشر، رشب. وكلمة (لعب) ينتج عنها عند تقليبها أيضاً الصور التالية: لعب، بعل، لبع، بلع، علب، عبل، فيها المستعمل وفيها المهمل. أمَّا الكلمة الرباعية ففيها (24) صورة،

---

(1) الاشتقاق الكبير: هو توليد كلمة من كلمة بتغيير مواضع حروفها.

(2) الاشتقاق الصغير: هو توليد الصيغ الصرفية المختلفة من الأصل الواحد للكلمة، كالماضي، والمضارع، والأمر، واسم الفاعل، واسم المفعول، كأن نأخذ من مادة (سلم) معنى السلامة في تصريفها الصيغ التالية: سلِمَ، يسلم، سالم، سلمان، سلمى، سلامة، سليم.

(3) الاشتقاق الأكبر: هواتفاق كلمتين في حرفين من حروفهما واختلافهما بالثالث مع وجود صلة بينهما في المعنى مثل: كدَّ وكدح، قصَّ وقصم، نعق ونهق.

والخماسية فيها (120) صورة. وعلى هذا الأساس حصر الخليل ألفاظ اللغة العربية حصراً رياضياً بـ (12) مليون كلمة، وهو أمر مبالغ فيه كثيراً.

رتّب الفراهيدي الألفاظ في معجمه وفق حروف الحلق، ولكن بما أنه اعتمد مبدأ التقاليب السابق الذكر، فإنه لابد من إعادة ترتيب الكلمة المطلوبة على أحرف الحلق قبل البحث عنها في المعجم. فكلمة (بقل) مثلاً نجدها مشروحة تحت (قلب)، أي أننا تحت كلمة قلب نجد شرح جميع الألفاظ التي تنقلب عنها، علماً بأنه لايعيد شرح كلمة (بقل) في مكان آخر لأنه سبق أن شرحها في تقاليب مادة (قلب). لذلك جاءت الأبواب الأولى في المعجم طويلة، مكتظة بالمواد اللغوية مع تقاليبها المختلفة المستعملة والمهملة[1]، بينما جاءت الأبواب الأخيرة أقصر حجماً، وأقل مادة.

أما طريقة الخليل في شرح المواد اللغوية فتشبه إلى حد بعيد ما رأيناه عند مؤلفي الرسائل اللغوية من معاصريه وسابقيه. فهو

---

(1) أشار الفراهيدي في الأبنية الثنائية والثلاثية إلى الكلمات المستعملة والمهملة، بينما لم يشر في الأبنية الرباعية والخماسية إلاّ إلى الكلمات المستعملة فقط، لأن المهملة هنا كثيرة.

يذكر الأسماء والأفعال ومشتقاتها، ويشرحها مستشهداً لها بالشعر، الجيد، والآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والأقوال المأثورة. وطريقته في شرح المواد عفوية لا تعتمد نظاماً معيناً في سرد الألفاظ المشتقة من المادة الواحدة. فهو يقول مثلاً في شرح كلمة عقَّ: «العرب تقول: عقَّ الرجل عن ابنه ويعق عقاً، إذا حلق عقيقته، وذبح عنه شاة. وتسمَّى الشاة التي تذبح لذلك عقيقة. قال الليث: تُوَفَّر أعضاؤها، فتطبخ بماء وملح فتَطعِمُ المساكين... وفي الحديث: كل امريء مرتهن بعقيقته، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم عقَّ عن الحسن والحسين، فأُعطي بزنة شعرهما ورقاً[1]»، ثم يورد اسماً آخر مرادفاً للعقيقة ويفسره بالمرادف، ويذكر الجمع «والعَقَّة: العقيقة وتجمع عققاً[2]»، وبعدها
سر العقيقة بقوله: «الشعر الذي يولد به، وتسمى الشاة التي
ح لذلك عقيقة... وقال زهير في العقيقة:

لك أم أقب البطـــــن جأب
عليــــه من عقيقتـــه عفــــاء[3]

(1) كتاب العين، م 1، ص. 70.

(2) المصدر نفسه، م 1، ص. 70.

(3) أقب البطن: ضامر البطن، جأب: الحمار الغليظ.

وقال امرؤ القيس :

ياهنـــــد لاتنكحــــــي بوهـــــــة

عليـــــه عقيقتـــــه أحسبــــــا[1] .

وكان الخليل قد بدأ معجمه بشرح كلمة عقَّ ثم علك في باب الثنائي الصحيح بينما المفروض أن يبدأ بالعين مع الحاء ثم العين مع الهاء حسب ترتيب الحروف على طريقته الصوتية ، ولكن علَّل ذلك بقوله أنه نظراً لقرب هذين الحرفين من مخرجهما يتعذَّر النطق بهما معاً[2] ، وهكذا شرح مادة عقَّ ثم مقلوبها (قعَّ) دون العودة إلى شرح هذه الكلمة في باب القاف ثانية ، مكتفياً بشرحها في باب العين ، وذلك تحاشياً للتكرار . ونعرض فيما يلي ماكتبه الخليل في ثنائي العين والباء :

«عَبَّ : العَبُّ : شرب الماء من غير مص، يعب عباً والكباد يكون منه .

(1) كتاب العين ، م 1 ، ص . 70 ، بوهة : الرجل الطائش الأحمق .

(2) لاحظ الخليل على الثنائي أنه لايأتي على حروف متحدة المخرج أو متقاربة ، إلاَّ أن يكون الفعل مشتقاً من مجموع كلمتين ، مثل : حيعل ، وهي مشتقة من حي على . ولهذا لم يأت الثنائي في باب العين مع الحاء ، والهاء ، والخاء ، والغين ، بل ولم تأت العين والحاء مع شيء من سائر الحروف في الثلاثي .

والعَبُّ : صوت الغراب إذا غرف الماء يعب عباً ، وعباب الامر وغيره أوَّله .

واليُعْبوب : الفرس الكثير العدو والعرق ، وكذلك الماء الكثير الشديد الجرية .

والعبعب : ضرب من الأكسية ناعم رقيق وهو نعمة الشباب أيضاً .

والعبْيَة : شراب يتخذ من مغافر العرمط ، وهو عرق بالصمغ يكون حلواً يضرب بمجدح حتى يضجَّج ثم يشرب . قال زائدة : هو بالغين المعجمة ، وهو شراب يضرب بالمجدح ثم يجعل في سقاء حار يوماً وليلة ، ثم يمخض فيخرج منه الزبد .

بعَّ : البعاع : ثقل السحاب بعَّ السحاب والمطر بعاً وبعاعاً إذا ألح بالمكان والبعاع أيضاً نبات . قال امرؤ القيس :

ويأكلن من قو بعاعاً وربة
تجبَّر بعد الأكل فهو نميص

قال زائدة :

بعاعاً لاشيء، إنما لعاعاً... قال: والبعبعة صوت التيس أيضاً، والبعبعة حكاية بعض الأصوات[1] ».

أقام الخليل شروحه على دعائم قوية من الشواهد الشعرية والقرآنية أولاً، ثم الحديثية والأمثال ثانياً، كما وجَّه عناية خاصة إلى لغات العرب حين تكرار معنى اللفظ الواحد، أو عند استبدال حرف منه بآخر قد تعودته بعض القبائل، أو حين تدعو المناسبة للمقارنة بين لهجتين وفي هذا قوله:

« الخبعُ: الخبء في لغة تميم يجعلون بدل الهمزة عيناً، وخبع الصبي خبوعاً، أي فحم من شدة البكاء حتى انقطع نفسه[2] ».

« والقطيعة في طيء، كالعنعنة في تميم وهي أن تقول: يا أبا الحكأ، وهو يريد يا أبا الحكم، فيقطع كلامه عن بقية الكلام[3] ».

---

(1) كتاب العين، ج 1، مادة عب، غيص: منتوف، ومن النبت ما نمصته الماشية بأفواهها، أو الذي أكل ثم نبت.
(2) المصدر نفسه، ج 1، ص. 141.
(3) المصدر نفسه، ج 1، ص. 154.

«والعَنَجُ بلغه هذيل هو الرجل، ويقال بالغين، وهذيل تقول: عَنَج على شنجٍ، أي رجل على جمل[1]».

وردت في كتاب العين هنَّات كثيرة مثل الأخطاء الصرفية، والتصحيف، والتحريف، وعدم استيفاء الصيغ الواردة في كلام العرب، كما أهمل أبنية مستعملة، وهي هنَّات لا يمكن أن يقع فيها عالم كبير كالخليل، لذلك يعتقد أنها وقعت بسبب الناسخين، وكانت هذه الهَّنات من أسباب رفض بعض العلماء أن يكون كتاب العين للخليل، كأبي حاتم، والأزهري، وابن فارس، والقالي، وابن النديم، وأبي الطيب اللغوي، وكلهم أنكروا نسبة الكتاب إليه.

وهناك خلاف حاد كبير حول هذا الموضوع، فمن العلماء من يقول أن الكتاب للخليل، ومنهم من يقول أنه عمل من معجمه الكتاب الأول وهو كتاب العين، وسار على نهجة تلميذه

---

(1) المصدر نفسه، ج 1، ص. 149.

الليث بن المظفر وأكمله، بينما يرى بعضهم أن الخليل عمل نصف الكتاب، وأكمل الليث نصفه الثاني[1].

وخلاصة القول أن العين للخليل، ومن الجائز أنه ألفّه ولم يكمله، فأتمّه غيره، ومن الجائز أيضاً أن يكون أكمله، ولكن الناسخين أضافوا إليه أشياء ليست منه بدليل وجود عبارات مختلفة فيه مثل (قال غير الخليل)، أو (فرجعت من الحج وصرت إليه) أي إلى الخليل، أو (قلت للخليل)، كذلك في احتوائه على أسماء رجال لم يعاصروه بل تأخروا عنه.

يعدُّ كتاب العين رائد المعجمات العربية، وقد أثّر بشدة في المعجمات التي ألفت بعده ذلك أن علماء اللغة أفادوا منه كثيراً، كما ألفت حوله كتب عديدة، نذكر منها على سبيل المثال كتاب «المدخل إلى كتاب العين» للنضر بن شميل[2]، وكتاب «استدراك

---

(1) انظر العطار، المرجع السابق، ص. 61-70.
انظر أيضاً د. حسين نصار، المعجم العربي، المرجع السابق، ج 1، ص. 279-296.
انظر أيضاً د. عبد الحميد الشلقاني، المرجع السابق، ص. 126-132.

(2) النضر بن شميل (ت. 203 هـ).

على العين » للمفضَّل بن سلمة[1] ، وكتاب « مختصر الـعين » لأبي بكر الزبيدي[2] ، الذي حذف ما في الأصل من شواهد ، وصحَّح ما وجده مصحفاً ، حتى بدا في نظر بعض العلماء أحسن من الأصل[3] .

نشر العلامة العراقي أنستاس كرملي إبان الحرب العالمية الأولى صفحات من كتاب العين في أربع وأربعين ومئة صفحة ، ثم توقف عن النشر بسبب ظروف الحرب . كما عرَّف جرجي زيدان في الجزء الثاني من كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية » بالخليل وبكتابه العين . أما يوسف العش فقد درس الكتاب دراسة موسَّعه في مقالاته الأربع التي صدرت في مجلة المجمع العربي بعنوان « أولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب العين المروي عن الخليل بن أحمد » ، أشار فيها إلى تضارب الأقوال حول المؤلف والكتاب ، كذلك الدكتور حسين نصار في كتابه « المعجم العربي ، نشأته وتطوره »

---

(1) المفضَّل بن سلمة (ت . 250 هـ) .

(2) الزبيدي (317-379 هـ) أبو بكر محمد بن الحسن ، تلميذ القالي ، عالم كبير في اللغة والأدب ، وشاعر ذائع الصيت في الأندلس ، وصلنا بفضله جزء كبير من كتاب العين .

(3) المزهر ، ج 1 ، ص . 87 .

حيث بيَّن هدفه ومنهجه ونسبته إليه، والأستاذ عبد الغفور العطَّار في مقدمة الصحاح الذي أكَّد كون الكتاب للخليل.

وفي عام 1967 . أصدر الدكتور عبد الله درويش بمساعدة المجمع العلمي العراقي الجزء الأول من كتاب العين. وهي طبعة انتقدت لاحتوائها على بعض الأخطاء. وقد قدَّم الدكتور درويش لطبعته هذه بمقدمة لاتختلف كثيراً عمّا كتبه قبلاً في كتابه «المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد» حين عرَّف بالخليل، وطريقته في العين، مع عرض لآراء العلماء في نسبة الكتاب إليه، وانتهى فيها إلى أن الكتاب للخليل.

2.1 ــ كتاب البارع

ألفه أبو علي القالي البغدادي[1] وأهداه إلى الخليفة الحكم

(1) القالي (288-356 هـ) أبو علي، اسماعيل بن القاسم. ولد بأرمينيا، لقب بالقالي لانحداره من مدينة قاليقلا، دخل بغداد طلباً للعلم عام 305 هـ، وأقام فيها حتى عام 328 هـ حيث تتلمذ على يد ابن دريد، وابن الأنباري، ونفطويه، والزجَّاج، والأخفش، ثم رحل إلى الأندلس عام 330 هـ، توفي بقرطبة ودفن فيها عام 356هـ، أهم مؤلفاته «البارع» في اللغة، و «الأمالي» في الأدب واللغة.

بن الناصر الأموي، وهو أول معجم يظهر في الأندلس. اتَّبع القالي في كتابه طريقة الخليل ومنهجه فبنى معجمه على مخارج الحروف دون التزام دقيق بترتيبه، حيث بدأ بالهمزة ثم الهاء ثم العين ثم الغين، وهو أقرب إلى ترتيب سيبويه، كما وضعه في ستة أبواب هي أبواب الثنائي المضعَّف (ويسميه الثنائي في الخط، والثلاثي في الحقيقة) ثم أبواب الثلاثي الصحيح، فالثلاثي المعتل، فالحواشي[1]، فالرباعي، فالخماسي.

وقد اتبع القالي في كتابة أيضاً مبدأ التقاليب، وحرص على ذكر السند فيما أورده من مواد لغوية، مع ميل إلى الاستطراد في إيراد الشواهد الشعرية والنثرية، والتزم للمرَّة الأولى في المعجمات اللغوية بضبط الألفاظ التي يخاف عليها اللبس بالعبارة (ضبطها بالشكل).

تناثرت معارف القالي الأدبية الواسعة في معجمه، مثل

(1) يقول القالي عن أبواب الحواشي أو الأوشاب: «هذه أبواب تتصل بالثنائي المعتل مما جاء في حرفين أحدهما معتل، أو ثلاثة منها حرفان معتلان»، ثم شرح ذلك بقوله: «إنما سمَّيناه أو شاباً لأنا جمعنا فيه الحكايات والزجر والأصوات والمنقوصات، وما اعتل عينه ولامه، أوفاؤه ولامه، أوفاؤه وعينه، أو كان فاؤه ولامه، أو فاؤه وعينه، أو لامه وعينه، بلفظ واحد»، البارع ص. 26.

كثرة الشعر الذي يستشهد فيه أثناء شرح المفردات اللغوية، وطول مقطوعاته، فضلاً عن ذكره كثيراً من النوادر والأخبار التي يقوم عليها كتاب «الأمالي». كما وجَّه للغات عناية فائقة فأكثر منها، وبالغ في ذلك، مثل ذكره لغات الكلابيين، والطائيين، والقيسيين، والأسديين، والتميميين وغيرهم.

لم يصل إلينا من كتاب البارع سوى سبعة أحرف فقط هي: الهاء، والعين، والقاف، والحاء، والطاء، والدال، والتاء، أعطتنا فكرة عن حجم الكتاب ومزاياه ومنهجه وطبيعته. وطبيعي أن حجم هذا المعجم هو أضعاف ما وصل إلينا منه، ويذكر ابن خلكان أنه يشمل على خمسة آلاف ورقة. كما يتحدث ابن خير في فهرسه عن هذا الكتاب فيقول: «إنه في مائة وأربعة وستين جزءاً، عدد أوراقها أربعة آلاف ورقة وأربعمئة ورقة، وست وأربعون ورقة[1]». وربما كانت ضخامة حجمه أحد أسباب قلَّة إقبال الناس عليه، فضلاً عن ترتيبه الصعب، واعتماده مبدأ التقاليب.

لاتبدو شخصية القالي قوية، بل نراه يكثر من الاستشهاد

(1) ابن خير، الفهرس، ص. 354، انظر أيضاً: حسين نصار، المعجم العربي، المرجع السابق، 317/1.

بآراء الغير دون آرائه إلاَّ القليل منها، معتمداً الأمانة العلمية في النقل. ومن أمثلة ذلك قوله في شرح مادة هيغ: «قال أبو علي، قال يعقوب: يقال لمن أخصب وأثرى: وقع في الأهيغين بالغين المعجمة، أي الطعام والشراب، وقال الخليل: الأهيغ: أرغد العيش وأخصبه، قال رؤبة:

عنكـــم وأيديكـــم طوال المبلـــغ
يغـــمسن من غمسنـــه في الأهيـــغ[1]

ومن أمثلة ذلك قوله في شرح مادة سجج: «قال أبو علي، قال يعقوب: يقال: سجَّ بسلحه: إذا خزف به. وقال أبو زيد: تقول لا أفعل ذلك سجيس الليالي، ويقال سجس عطفه: إذا ظهرت رائحته.

قال الراجز:

ياليتـــــــــــــه بالخوذ قد تمرسا
وشمَّ عطفيـــــــــــــه إذا ماسجسا[2]

وصلت من البارع قطعتان، إحداهما في المكتبة الأهلية

(1) البارع، مادة هيغ.
(2) مادة سجج.

بباريس بخط أندلسي والثانية في المتحف البريطاني، وهو أيضاً بخط أندلسي، وهي أكبر من الأولى بثلاث مرّات ونصف[1]. وقد نشر المستشرق فلتون (Fulton) مخطوطة المتحف البريطاني عام 1933، وصدّرها بمقدمة تحدث فيها عن حياة القالي ومعجمه. كما قام هاشم الطعّان من العراق بتحقيق ما وصلنا من المعجم وأصدره في بيروت عام 1975 بعد أن ألحق به فهارس قيّمة.

3.1. تهذيب اللغة

صاحب هذا الكتاب هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري [2] وهو من أوثق معجمات اللغة العربية، وأكثرها استيعاباً، نظراً لاتساع الثقافة في القرن الرابع الهجري، واطلاع

---

(1) حسين نصار، المعجم العربي، المرجع السابق، م 1، ص. 313.

(2) الأزهري (282-370 هـ) ولد في مدينة هراة بخراسان، أسرّه القرامطة عند عودته من الحج إلى بلاده، وكان لفترة الأسر هذه أثر بالغ على ثقافته نظراً لكون آسريه القرامطة من العرب الخلّص، وقد جمع أثناء وجوده بينهم الكثير من ألفاظ اللغة ونوادرها. دخل بغداد، ولم يمكث بها طويلاً، ثم عاد إلى هراة، وتوفي فيها. له بعض المؤلفات في تفسير الألفاظ الفقهية، وتفسير المعلقات السبع، وشعر أبي تمّام. أشهر مؤلفاته كتاب «تهذيب اللغة».

المؤلف على الرسائل وكتب اللغة التي ألفت قبله طيلة قرنين من الزمن، فضلاً عن شغفه باللغة، وانشغاله بها، وفي هذا يقول: «وكنت ممن تعاطيت هذا الفن في حداثتي إلى أن بلغت السبعين مولعاً بالبحث عن المعاني، والاستقصاء فيها، وأخذها من مظانها، وإحكام الكتب التي تأتّي لي سماعها من أهل التثبت والأمانة، للأئمة المشهورين، وأهل العربية المعروفين[1]».

أراد الأزهري أن يهذّب اللغة العربية، وفي هذا يقول أيضاً: «وقد سمّيت كتابي هذا تهذيب اللغة، لأني قصدت بما جمعت فيه نفي ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغها، وغيّرها الغتم عن سننها، فهذّبت ماجمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله، والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب[2]». وهكذا، وتحقيقاً لهذا الغرض، فقد وضع الأزهري لنفسه خطة صارمة أثناء روايته وتدوينه اللغة تعتمد على السماع المباشر عن العرب، والرواية عن العلماء الأثبات، أو النقل

(1) تهذيب اللغة، م 1، ص. 7.

(2) المصدر نفسه، م 1، ص. 54.

عن الصحف المكتوبة بخطوط ذوي المعرفة الثاقبة شريطة أن توافق معرفته أيضاً، وهو ماصرَّح عنه بقوله: «ولم أودع كتابي هذا من كلام العرب إلاَّ ماصحَّ لي سماعاً منهم، أو رواية عن ثقة، أو حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة اقترنت إليها معرفتي، اللهم إلاَّ حروفاً وجدتها لابن دريد وابن المظَّفر في كتابيهما فبينت شكي فيها، وارتيابي بها»[1].

وبالرغم من طول كتاب التهذيب، وضخامة حجمه، فإن الأزهري لم يودع فيه كل ما سجَّله في دفاتره، واطَّلع عليه من ألفاظ اللغة وشروحها، ولو فعل ذلك لجاء كتابه بدون شك أكثر اتساعاً، وأضخم حجماً، لقوله: «ولو أني أودعت كتابي هذا ما حوته دفاتري، وقرأته من كتب غيري، ووجدته في الصحف التي كتبها الورَّاقون، وأفسدها المصحفون، لطال كتابي، ثم كنت أحد الجانين على لغة العرب ولسانها، ولقليل لايخزي صاحبه، خير من كثير يفضحه[2]».

---

(1) المصدر السابق، م. 1، ص. 40.

(2) المصدر نفسه، م. 1 ص. 40.

كان للفترة التي عاشها الأزهري خلال سنوات الاسر في البادية، ومخالطته العرب الخلَّص، إضافة إلى اطلاعه الواسع على كتب اللغة، أثر كبير في ثقافته، وتمكنه من قواعد اللغة العربية، ومعرفة خصائصها وأسرارها، وتملكه ناصيتها، إلاَّ أنها جعلته في الوقت نفسه يغالي في الاعتزاز بنفسه، وتركته يتطاول على عدد من أئمة اللغة والأدب بنقدهم نقداً جارحاً، كالليث بن المظفر صاحب الخليل، والجاحظ، وابن دريد وغيرهم.

اعتمد الأزهري طريقة الخليل الصوتية في ترتيب الحروف على مخارجها الصوتية، وهو في هذا يقول: «وعلمت أنه لا يتقدم أحد الخليل فيما أسَّسه ورسمه، فرأيت أن أحكيه بعينه، لتتأمله وتردِّدَ فكرك فيه، وتستفيد منه مابك الحاجة إليه، ثم اتبعته بما قاله بعض النحويين مما يزيد في بيانه وإيضاحه[1]».

كما اعتمد منهجه في التأليف، غير أنه فاقه بالزيادة والاكثار، فجاءت مادَّته اللغوية، ومعانيه، وشواهده، أكثر، وأغزر مما هي في كتاب العين.

---

(1) المصدر السابق، م، 1، ص. 7.

أما نظام الأبواب في تهذيب اللغة فتجري على غرار ما رأيناه في كتاب العين وفق الترتيب التالي.

1 ـــ **أبواب المضاعف**: تبدأ بالحرف الأول على الطريقة الصوتية وهو العين وما يليها في الترتيب مثل العين مع الحاء، ثم العين مع الهاء، ثم العين مع الخاء وهكذا إلى آخر الحروف، مع وضع تقاليبها بعين الاعتبار في حالة كون مقلوبها مستعملاً، كشرحه لمادة (عقّ)، و(قعّ) في هذا الباب. وفي مثل الحالة لا يعيد شرح الكلمة المقلوبة في حرفها الأول كما تكتب، لأنه سبق أن شرحها في هذا المكان ضمن التقاليب، وذلك تحاشياً لعدم تكرار شرح الكلمة الواحدة أكثر من مرة في أمكنة متعددة من المعجم.

2 ـــ **أبواب الثلاثي الصحيح**: تبدأ هذه الأبواب بحرف العين مع الخاء وما يثلثهما وفق الترتيب الصوتي للحروف، ثم العين مع الهاء ومايثلثهما، ثم العين مع الخاء ومايثلثهما، وهكذا إلى آخر الحروف، مع أخذ مبدأ التقاليب بعين الإعتبار بالنسبة لكل كلمة مقلوبة مستعملة دون تكرار. وتشغل أبواب الثلاثي الصحيح معظم صفحات الكتاب نظراً لأن معظم مفردات اللغة العربية تعود في أصلها إلى كلمات ثلاثية صحيحة.

3 ــ **أبواب الثلاثي المعتل**: تسير هذه الأبواب وفق الطريقة السابقة في تنظيم الحروف، وترتيب الكلمات مع الحاق المهموز بالمعتل الألف. ومّما جاء من المهموز مع المعتل في باب الحاء على سبيل المثال الكلمات التالية: حزأ، حطأ، حدأ، حلأ الخ... ومما يجدر ذكره قول الأزهري في باب العين مع الباء «أما عبأ فهو مهموز، لا أعرف في معتلات العين حرفاً مهموزاً غيره».

4 ــ **أبواب اللفيف**: واللفيف هو ما التف بحرفين من حروف العلة مثل عوى، حوى، ومن لفيف العين: عوى، عيي، وعى، وعوع، يتلوه لفيف الحاء، فالهاء، فالحاء إلى آخر الحروف.

5 ــ **أبواب الرباعي**: رتّبت هذه الأبواب أيضاً على النسق السابق بالنسبة للكلمات الرباعية، وتبدأ طبعاً بحرف العين مع مايليها من الحروف. ومن أمثلة العين مع الجيم ومايليها في الرباعي الكلمات التالية: علمج، مجرع، مجنع الخ... ومن أمثلة العين مع القاف ومايليها في الرباعي المقلوب: معضب، قعضم الخ...

6 ــ **الخماسي**: وهو بدون أبواب، لأنه أكثر أجزاء الكتاب اقتضاباً، لقلة مادته، وأكثرها من الغريب النادر، مثل: هينقع، عفنقس، عبنقس الخ...

يقول الأزهري في شرح كلمة عزَّ مايلي :

«عزَّ ـــ زعَّ مستعملات . العزيز من صفات الله جلّ وعزّ وأسمائه الحسنى . قال أبو اسحاق بن السري : العزيز في صفة الله تعالى : الممتنع، فلا يغلبه شيء . وقال غيره : هو القوي الغالب على كل شيء . وقيل : هو الذي ليس كمثله شيء . ويقال : ملك أعز وعزيز ، بمعنى واحد ، وقال الله جلّ وعز : (وعزّني في الخطاب) معناه غلبني . وقرأ بعضهم : وعازاني في الخطاب ، أي غالبني . وأخبرني المنذري عن ابن الحراني عن ابن السكيت قال : يقال عزَّه يعُزُّه ، إذا غلبه وقهره . وأنشد في صفة جمل :

يعُـــــزُّ على الطريـــــق بمنكبيـــــه
كما ابتـــرك الخليـــع على القـــــداحِ

يقول : يغلب هذا الجمل الإبل على لزوم الطريق ، فتشبه حرصه على لزوم الطريق والحاحه على السير ، بحرص هذا الخليع على الضرب بالقداح ، لعلّه أن يسترجع بعض ماذهب من ماله . والخليع : المخلوع المقمور ماله[1] » .

ومن أمثلة الكتاب في باب العين والهاء مع الجيم قوله

(1) المصدر السابق ، مادة عز .

« هجع: يقال أتيت فلاناً بعد هجعة أي بعد نومة خفيفة من أول الليل. وقد هجع يهجع هجوعاً: إذا نام. وقوم هجوع، ونسوة هجعٌ وهواجع. وروى ابن حبيب عن ابن الأعرابي: يقال للرجل الأحمق الغافل عما يُراد به هِجْع وهجعة وهُجعة ومُهجع، وأصله من الهجوع وهو النوم. وقال أبو تراب: معنى هجيع من الليل وهزيع، بمعنى واحد. قال: وقال ابن الأعرابي: هجع غرته وهجأ، إذا سكن. وقال ابن شميل: هجع جوع الرجل يهجع هجعاً، أي انكسر جوعه ولم يشبع بعد[1] ».

من خلال هذه النصوص وغيرها نلاحظ حرص الأزهري على إسناد الأقوال إلى أصحابها زيادة في التزام الأمانة العلمية، إلاّ أن هذا الحرص أوقعه بالمقابل في تكرار الأقوال لأنها وردت على ألسنة مختلفة، وقد وضع في كتابه معظم كتاب العين، ماصحَّ عنده أدخله دون حرج، مع نسبته إلى الليث، ومالم يصح أورده ونقده. قال مثلاً: « وقد جاء هذا الحرف في باب التاء والعين من كتاب الليث، وهو خطأ، وصوابه بالثاء[2] ». مثل هذا المثال في

(1) المصدر نفسه، مادة هجع.

(2) المصدر السابق، م. 1، ص. 87.

النقد يتردد كثيراً بين طيات الكتاب مما يؤكد قوة شخصية الأزهري ، من خلال قبوله ، أو ردِّه ، أو مناقشته أقوال الآخرين .

ومن الظواهر الأخرى في الكتاب عناية المؤلف بالشواهد القرآنية والحديثية عناية كبيرة ، فاق فيها غيره من اللغويين ، وذلك لانشغاله الكبير بربط القرآن والدين باللغة . كذلك اهتمامه بالنوادر ، وانتباهه إلى اللغات والأمثال والاساليب الخاصة وألفاظ الإتباع والأضداد وغيرها ، فضلاً عن عنايته الكبيرة بالبلدان ، والمواضع ، والأمكنة ، والمياه ، وهي أمور جعلت كتابه من أصح وأوثق المصادر في هذا السبيل ، لأنه وقف بنفسه على كثير منها ، ولو جرِّدت في كتاب خاص ، لكان من خير كتب البلدان والمواضع .

ولكن بالرغم من جميع هذه المزايا التي أسلفنا فيها القول ، يبقى الرجوع إلى هذا الكتاب صعباً عسيراً ، مثله مثل المراجعة في كتاب العين سواء بسواء ، وهو مايشير إليه ابن منظور بقوله : « ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي رحمهما الله ، وهما من أمهات كتب اللغة على

التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات الطريق، غير أن كلاً منهما مطلب عسر المهلك، ومنهل وعر المسلك، وكأن واضعه شرَّع للناس مورداً عذباً، وجلاهم عنه، وارتاد لهم مرعى مريعاً ومنعهم منه، قد أخَّر وقدَّم وقصد أن يعرب فأعجم. فرَّق الذهن بين الثنائي والمضاعف والمقلوب، وبدَّد الفكر باللفيف والمعتل الرباعي والخماسي، فضاع المطلوب: فأهمل الناس أمرهما، وانصرفوا عنهما[1]».

يوجد من كتاب تهذيب اللغة ثماني عشرة نسخة مخطوطة في مكتبات العالم، أقدمها وأفضلها نسخة موجودة في المدينة المنوَّرة[2].

صدر التهذيب في القاهرة بتحقيق لفيف من العلماء ضمن سلسلة تراثنا في 15 مجلداً، كما صدر في طبعة أخرى بتحقيق عبد الله درويش في 14 مجلداً.

---

(1) لسان العرب، م 1، ص. 2-3.

(2) العطَّار، المرجع السابق، ص. 86.

4.1 المحيط

وهو من تأليف الصاحب بن عبَّاد[1]، اتبع فيه منهج الخليل والأزهري في ترتيب الحروف والقلب، كما اتبع الأزهري في تقسيم الأبواب إلى الثنائي المضاعف، الثلاثي الصحيح، الثلاثي المعتل، اللفيف، الرباعي، الخماسي، إلاّ أنه لم يتقيد بمنهجهما كل التقيد لا سيِّما في إغفال الشواهد والمراجع، واهمال ذكر من أخذ عنهم من العلماء في الغريب والنوادر واللغة بغية الاختصار، ومع ذلك جاء معجمه كبير الحجم.

وجَّه الصاحب بن عبَّاد في كتابه عناية كبيرة للعبارات المجازية، وانفرد في ايراد مجموعة كبيرة من الألفاظ والصيغ والمعاني التي تسببت في كبر حجم الكتاب، كما كان يذكر المترادفات أحياناً دون شواهد.

---

(1) الصاحب بن عبَّاد (324-385 هـ) أبو القاسم اسماعيل، وزير غلب عليه العلم والأدب. استوزره مؤيد الدولة بن بويه، ثم أخوه فخر الدولة، ولقِّب بالصاحب لمصاحبته مؤيد الدولة منذ صباه، كانت خزانة كتبه تحوي ما يزيد عن (200,000) كتاب. ألف كتباً جليلة منها كتاب «الوزراء»، وكتاب «الكشف عن مساوىء المتنبي»، وكتاب «العروض»، وكتاب «المحيط»، وهو من أجل كتبه.

ومن بين عنايته بالعبارات المجازية قوله : « ناقة ذات أنيار : أي كثيفة اللحم متظاهرة . وحرب ذات نيرين : أي شديدة . وبين القوم مُنايرة ونائرة ونيرة : أي شر ومنافرة . وأنار فلان بفلان : بمعنى صات به ... وفلان رَنُوّ فلانة : إذا كان يديم النظر اليها ، ورنو الأماني أي صاحب أمنية يتوقعها ... وأرنأني حسنُ ما رأيت : اعجبني ... وتَرَنّى الرجل : إذا أدام النظر إلى من يحبه ... [1] » .

وفي مجال الألفاظ المترادفة قوله : « الزُّور : عسيب النحل بلغة اليمن ، الزير : حب الماء بلغة الشام ... [2] » . لم تصلنا عن القدماء أوصاف دقيقة لمعجم المحيط ، ولكن هناك من أخذ عليه قلّة حفوله بالشواهد ، وبالمراجع التي أخذ عنها اللغة سواء بالنسبة للكتب أو الأعلام ، علماً بأنه أتى بكثير من الألفاظ والمعاني التي لم ترد قبله في كتب اللغة ، كذلك الإضطراب الذي وقع به بالنسبة للألفاظ في الرباعي والخماسي ، وهناك أيضاً من اتهمه بالتصحيف .

ومن أمثلة الكتاب قوله في شرح كلمة بضّ : « امرأة بضّة :

---

(1) حسين نصار ، المعجم العربي ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص . 369 .

(2) المرجع نفسه ، ج 1 ، ص . 369 .

تارة مكتنزة اللحم في نصاعة لون، وبضيضة مثله، وأبيض بض: شديد البياض. وامرأة باضَّة وغاضَّة. وبَضِضْتِ وغضِضْتِ يا امرأة... وبضّ الحجر: إذا خرج منه ماء شبه العرق. ويقولون للبخيل: مايبض حَجَرُهُ: أي ما يندي بخير. وبضَّ له من المعروف بشيء. وابتضضت نفسي: أي استزدتها له... والبضَّة من الألبان: الحامضة الحارَّة. وما في البئر باضوض: أي مافيه بلله. والبضض: الماء القليل. والبضيضة: المطر القليل. وماعنده حضض ولا بضض: أي يسير. وبئر بضوض: يخرج ماؤها قليلاً قليلاً... ومافي السقاء بضاضة من الماء، أي شيء يسير، وكذلك بضيضة وجمعها بضائض، وأخرجت له بضيضتي: أي ملك يدي، وما علَّمك أهلك إلاَّ مضاً، وبضاً، وبيضاً وميضاً[1]».

يلاحظ من هذا النص أن المؤلف يستهل شرح الكلمة ببعض الصفات المشتركة في المعنى، ثم يذكر أفعالاً بمعنى آخر، وبعدها يذكر بعض الأسماء والصفات التي معظمها بمعنى واحد، ثم يختم شرحه ببعض العبارات المجازية على عادته لشدَّة تعلقه بالمجاز كما اسلفنا.

---

(1) المرجع السابق، ج 1، ص. 361-364.

امتاز المحيط بالسعة والحفول، فكان أوسع معجم معروف حتى عصره، إلاّ أنه لم يصل إلينا بكامله، وتقتني دار الكتب المصرية مجلداً منه يعتقد أنه المجلد الثالث.

5.1 المحكم والمحيط الأعظم

هذا المعجم من تأليف ابن سيده الأندلسي[1]، وقد سار فيه أيضاً على طريقة الخليل في كتاب العين من حيث ترتيب الحروف، وتسمية كل حرف منها كتاباً، مع تقسيم كل كتاب إلى أبواب حسب ابنية الألفاظ، والأخذ بمبدأ التقاليب، غير أنه رمى في تأليف كتابه هذا إلى أهداف تختلف عما وجدناه عند الخليل والأزهري، إذ أراد جمع المشتت من المواد اللغوية في الكتب والرسائل في كتاب واحد يغني عنها جميعاً، مع تصحيح ما ورد

(1) ابن سيده (398-458 هـ) أبو الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي، من أشهر علماء الاندلس في اللغة، عرف بسعة الحفظ وجودته، كان ضريراً. له كتاب «المخصص» وهو معجم في المعاني، وكتاب «المحكم» وهو أكبر معجم وضعه علماء الاندلس في اللغة، ولم يؤلف علماء الاندلس بعده معجماً في اللغة، بل تركوا هذا الميدان للمشارقة. لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار والمنطق وأيام العرب. رحل إلى المشرق ودخل مكة والمدينة ونهل من علومها الكثير.

فيها من أخطاء، ولكنه اتفق مع الأخير في ربط اللغة بالقرآن والحديث نظراً لانشغاله أيضاً في علوم الدين الاسلامي.

وضع ابن سيده لنفسه خطّة اعتمدها في تأليف كتابه هذا، تتلخص بقوله: «إن كتابنا هذا مشفوع المثل بالمثل، مقترن الشكل بالشكل، لايفصل بينهما غريب، ولا أجنبي بعيد ولا قريب، مهذّب الفصول، مرتّب الفروع بعد الأصول... هذا إلى ما تحلّى به من التهذيب والتقريب، والاشباع والاتساع، والايجاز والاختصار، مع السّلامة من التكرار، والمحافظة على جميع المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة[1]». وهو في خطته هذه يختلف عن الخليل والأزهري من حيث المنهج بالتنظيم والاختصار في ترتيب الألفاظ داخل المواد كتقديمه المجرّد على المزيد، والمفرد على الجمع، وتحاشي التكرار، كما يعطي اهتماماً بالغاً للنحو والصرف، وفي هذا يقول: «وليست الإحاطة في علم كتابنا هذا إلاّ لمن مهر بصناعة الإعراب»[2]، ولا غرابة في ذلك، فهو من أكبر أئمة عصره في

(1) المحكم، ج 1، ص. 7.

(2) المصدر السابق، م 1، ص. 14.

النحو، يقول السيوطي: «لم يكن في زمانه أعلم منه في النحو»[1] كما يقول ابن سيده عن نفسه بهذا الخصوص: «وذلك أني أجد علم اللغة أقلَّ بضائعي، وأيسر صنائعي، إذا أضفته إلى ما أنا به من علمِ حقيقِ النحو، وحوشي العروض، خفيِّ القافية، وتصوير الأشياء المنطقية، والنظر في سائر العلوم الجدلية[2]».

لم يلتزم المؤلف في الخطة التي وضعها لكتابه، وإنما كان كثيراً ما يخرج عنها عندما يدوِّن الألفاظ عفو الخاطر دون التزام بقاعدة، إسوة بمن سبقه من أعلام اللغة.

ولما كان غرض ابن سيده جمع ما تناثر في كتب اللغة من الألفاظ، فقد رجع إلى عدد كبير منها، واطلع عليها، كما ذكر عدداً منها في مقدمته بقوله: «وأمَّا ما ضمَّناه كتابنا هذا من كتب اللغة فمصنَّف أبي عبيد، والإصلاح، والألفاظ، والجمهرة، وتفاسير القرآن وشروح الحديث، والكتاب الموسوم بالعين ماصحَّ لدينا منه وأخذناه بالوثيقة عنه... وجميع ما اشتمل عليه كتاب

(1) البغية، ص. 327.

(2) المحكم، م 1، ص. 16.

سيبويه من اللغة المعلَّلة العجيبة، الملَّخصة الغريبة، المؤثرة لفضلها، والمستراد لمثلها... و أما ماأثَرتُ عليه من كتب النحويين المتأخرين المتضمنة لتعليل اللغة فكتب أبي علي الفارسي: الحلبيات والبغداديات والأهوازيات... وكتب أبي الحسن بن الرَّماني كالجامع والأغراض، وكتب أبي الفتح عثمان بن جني[1]».

ومن بين أهم صفات الكتاب الأخرى جمع الأقوال في تفسير اللفظ الواحد. قال في شرحه مادة حَقْل:

«الحقل: قراح طيب يزرع فيه... والحقل: الزرع إذا استجمع خروج نباته، وقيل: هو إذا ظهر ورقه واخضر، وقيل: هو إذا كثر ورقه من قبل أن تغلظ سوقه[2]» وتظهر في هذا النص عدم نسبة الأقوال إلى أصحابها، حيث كان يميل إلى إهمال ذكر المصادر التي استقى منها شروح الألفاظ، ميله إلى حذف الشواهد، والصيغ، والمعاني المتكررة من مقتبساته، وكان كثيراً ما يحذف الشواهد الشعرية التي وردت في العين والجمهرة، أو

(1) المصدر السابق، ج 1، ص. 15.

(2) المصدر نفسه، مادة حقل.

يستعيض عنها بشواهد أخرى من محفوظاته، أو يختصر الحشو الذي لايراه مناسباً فيها.

ونعرض فيما يلي نموذجاً من شرحه لمادة عقق في كتابه:

«عقَّه يعقه عقاً، فهو معقوق وعقيق: شَقَّه. والعقيق: وادٍ بالمدينة كأنه عُقَّ أي شُقَّ. غلبت الصفة عليه غلبة الإسم، ولزمته الألف واللام لأنه جعل الشيء بعينه على ماذهب إليه الخليل في الأسماء والأعلام التي أصلها الصفة، كالحارث والعَّباس. والعقيقان: بلدان في بلاد بني عامر من ناحية اليمن، فإذا رأيت هذه اللفظة مثناة، فإنما يعني بها ذانك البلدان، وإذا رأيتها مفردة فقد يكون أن يعنى بها العقيق الذي هو واد بالحجاز..

والعرب تقول لكل مسيل ماءٍ شقَّه ماء السيل في الأرض فأنهره ووسَّعه عقيق... والعَقّ: حفر في الأرض مستطيل سمي بالمصدر. والعقَّة: حفرة عميقة في الأرض. وأنعق الوادي: عمق... وسحابة عقَّاقة: منشقة بالماء، ومنه قول المعقر بن حمار لبنته وهي تقوده وقد كُفَّ، وسمع صوت رعد: أي بنية ماترين؟ قالت: أرى سحابة عقَّاقة، كأنها حولاء ناقة ذات هيدب دان

وسيروان . قال أي بنية وائلي إلى قفلة فإنها لاتنبت إلاَّ بمنجاة من السيل... عقَّ والده يعقه عقاً وعقوقاً : شقَّ عصا طاعته ، وقد يعم بلفظ العقوق جميع الرحم فالفعل كالفعل ، والمصدر كالمصدر ، ورجل عُقَق وعُقُق ، وعقٌّ : عاق . أنشد ابن الأعرابي :

أنــا أبـــو المقـــدام عقـــا

لمن أعـــادي ملكـــاً فظــــا

أكظـــه حتـــى يموت كظـــا

ثمتَ أعلى رأسِهِ الملَوظّـــــــــا [1]

صاعقة من لهب تلظّى

وفي المثل أعقّ من ضبٍ . قال ابن الأعرابي : إنما يريد به الأنثى ، وعقوقها أنها تأكل أولادها [2] » .

بدأ المؤلف في شرحه للكلمة بالفعل الثلاثي المجرد ، واستقصاه فذكر ماضيه ومضارعه ، فمصدره ، فصفتين منه ، وتلاه

---

(1) فظ : غليط الجانب ، سيء الخلق ، خشن الكلام ، ملظ : مُلحّ ،ملحاح ، وملظاظ أي ملحاح ،كظَّه : ملأه حتى لايطيق النفس .

(2) المصدر السابق ، مادة عقق .

بعلمين جغرافيين هما في الحقيقة من صفات الفعل، كما استنبط الألفاظ من غيره دون تصريح على عادته، ثم خرج من الأعلام إلى المصادر والأسماء، ثم ذكر الصفة وخبر معقر بن حمار، وانتقل بعدها إلى شرح معنى العقوق مقروناً بالشواهد الشعرية القصيرة.

لقد خطا ابن سيده بما وضعه من قواعد لمعجمه هذا، خطوة مفيدة إلى الأمام في منهج تأليف المعاجم العربية وتنظيمها، إلاّ أنه للأسف لم يتقيد بها التقيد كله كما وعد، لذلك غدت المراجعة في كتابه صعبة عسيرة أسوة بالعين والتهذيب، فضلاً عن وقوعه في التصحيف بالنسبة للألفاظ أو ضبطها بالشكل، أو بالنسبة لبعض ما أورده من شواهد قرآنية أو حديثية أو شعرية.

اهتمت جامعة الدول العربية بهذا الكتاب وأصدرت منه ثلاثة مجلدات بتحقيق مصطفى السقا والدكتور حسين نصار وعبد الستار أحمد فرّاج.

ولما كان كتاب المحكم آخر معجم درسناه في هذه المجموعة، لابد من الاشارة إلى أن الترتيب على المخارج الصوتية الذي ابتكرته هذه المدرسة، وطبقته على معاجمها اللغوية، إضافة

إلى اعتمادها نظام الأبنية والتقاليب، كانت من أبرز المآخذ التي أخذت عليها، والتي أوقعت المؤلفين والمستخدمين لها على حد سواء في متاعب كثيرة، جعلت المراجعة فيها صعبة شائكة.

2. مدرسة البرمكي

مرّت طريقة ترتيب الكلمات داخل المعجمات تبعاً لأوائل الأصول بمراحل متعددة قبل أن تصل شكلها المألوف اليوم في المعجمات الحديثة.

ويعد أبو عمر الشيباني[1] رائداً من رواد هذه المدرسة، غير أنه لم يلتزم في الترتيب على أوائل الأصول إلاّ بالحرف الأول، بينما أهمل ذلك بالنسبة لبقية حروف الكلمة، أما رائد هذه المدرسة الفعلي فهو الإمام البرمكي[2] علماً بأنه لم يؤلف معجماً، وإنما

---

(1) الشيباني (94-206 هـ) [illegible]سحاق بن مرار الشيباني، من أعظم علماء اللغة والشعر، أدّب أولاداً من بني [illegible] [illegible] إليهم. له مؤلفات عدة، من بينها «غريب الحديث»، وكتاب «[illegible]» وكتاب «الإبل»، وكتاب «خلق الإنسان» وكتاب «الجيم».

(2) البرمكي (ت. 411 هـ) أبو المعالي [illegible] بن تميم البرمكي، لغوي معروف، قدم مصهر. من آثاره: المنتهى في اللغة صنفه عام 397 هـ.

أعاد ترتيب كتاب الصحاح للجوهري وفق أوائل الأصول باعتبار حروف أصول الكلمات جميعها، فهو لذلك مبتكر طريق الترتيب الهجائي في المعجم على جميع الحروف أصول الكلمة بدءاً من الحرف الأول، وانتهاء بالحرف الأخير.

أما طريقته المبتكرة هذه فتتجلى في أخذه الفصول من أبواب كتاب الصحاح وجمعها مرتَّبة في مكان واحد، فقد أخذ مثلاً من باب الهمزة فصل الهمزة، ومن باب الباء فصل الهمزة، ومن باب التاء فصل الهمزة وهكذا جمع فصل الهمزة من جميع الأبواب، ورتَّبها ترتيباً ألفبائياً بالنسبة لحروف أصولها جميعاً أولاً بأول، ثم انتقل إلى حرف الباء فجمع فيه فصل الباء من باب الهمزة، وفصل الباء من باب الباء، ثم فصل الباء من أبواب التاء والثاء والجيم حتى الياء، ورتبها تماماً كما فعل في الحرف السابق، واستمر على هذا النحو حتى انتهى من حروف الهجاء جميعها، وبذلك أصبح معجم الصحاح مرتباً وفق أوائل الأصول بدلاً من أواخرها، مع بعض التعديل في المفردات والشروح، لأن البرمكي لم

(1) كتاب الصحاح للجوهري مرتب وفق الحرف الأخير من أصل الكلمة ثم وفق الحرف الأول، وهو من معجمات الباب والفصل التي سيأتي الحديث عنها فيما يلي من صفحات.

يتقيد تقيداً تاماً بمفردات وشروح الجوهري، بل أضاف إليها أشياء جديدة كثيرة.

ونورد فيما يلي نموذجاً لرؤوس المواد كما وردت في باب الهمزة عند البرمكي، وهو نموذج يوضح طريقته الدقيقة في الترتيب على جميع الحروف، وهي الطريقة نفسها المعتمدة اليوم في تأليف المعجمات الحديثة.

أ، آ، ابب، ابت، ابث، ابد، ابر، ابز، ابس، ابض، ابط، ابغ، ابق، ابل، ابن، ابه، ابو، ابي، اتب، اتت، اتل، اتم، اتن، اته، اتو، اتي، اثث، اثر، اثف، اثل، اثم، اثو، اجأ، اجج، اجر، اجص، اجل، اجم، اجن، احح، احد، احن، اخذ، اخر، اخو، اخ...

وهو ترتيب دقيق محكم ابتكره البرمكي، وسبق به الزمخشري وأصحاب المعجمات الحديثة كلها الذي رتبوا معاجمهم على أوائل الأصول، وكلهم ساروا على نهجه، ونسجوا على منواله.

ونتحدث فيما يلي من صفحات عن المعجمات التي الفت وفق هذه الطريقة من المعجمات القديمة وهي كتاب الجيم، وجمهرة اللغة، ومقاييس اللغة، وأساس البلاغة.

1.2 كتاب الجيم

ألفه الإمام الشيباني في الفترة نفسها التي ألف بها الفراهيدي كتاب العين[1]، إلا أن الفراهيدي فيما يعتقد هو السابق إلى تأليف المعجم، كما كان من أسبق العلماء إلى التأليف والتدوين.

ولكتاب الجيم إسمان آخران هما كتاب الحروف، وكتاب اللغات[2]، ويعتقد أن اسمه الحقيقي هو كتاب الحروف، ولكنه عرف بكتاب الجيم واشتهر به، وهو من أصغر المعجمات العربية إذ لايزيد حجمه عن 287 ورقة كما هو في نسخة مكتبة الإسكوريال بإسبانيا.

قسّم المؤلف كتابه إلى عشرة أجزاء ضمّنها المواد اللغوية المشروحة مرتّبه على الترتيب الهجائي تبعاً للحرف الأول فقط مع إهماله الترتيب بالنسبة لبقية الحروف، فهو يذكر مثلاً في باب

---

(1) ولد الشيباني عام (94 هـ)، والخليل عام (100 هـ)، وتوفي الخليل عام (175 هـ)، بيما توفي الشيباني عام (206 هـ).

(2) إنباه الرواة في أخبار اللغويين والنحاة، ج 1، ص. 224 و 227.

الهمزة المواد التالية بهذا الترتيب : الأوق ، الألب ، المألوف ، الأفق ، الأزوح ، المأموم حتى وصل في آخر هذا الكتاب إلى شرح كلمة الإدة ، في حين كان المفروض أن تُشرح هذه الكلمة في أول هذا الباب بدلاً من آخره . كما يشرح في باب الباء الكلمات المبدوءة بحرف الباء دون مراعاة للحرفين الثاني والثالث ، وهكذا الأمر بالنسبة لبقية الأبواب .

أما أجزاء الكتاب العشرة التي تحدَّثنا عنها فقد حوى بعضها حروفاً عدة ، وبعضها حرفاً واحداً فقط دون سبب معروف . فالجزء الأول عنده ، على سبيل المثال يحوي حروف الألف ، والباء ، والتاء ، والثاء ، والجيم ، بينما يحوي الجزء الثاني حرف الحاء فقط . أما الجزء الثالث فيحوي حروف الخاء والدال والذال ، والرابع حرف الراء فقط ، وهكذا بالنسبة لبقية الأجزاء ، وهو أمر سار عليه المؤلف دون أن يبين لنا أسباب ذلك . ثم سمَّى كل حرف من الحروف باباً ، كباب الألف ، وباب الباء ، وباب التاء ، حتى باب الياء .

يوجز الشيباني في شروح المواد في ذكر الشواهد ، كما يوجز في اختيار المواد اللغوية المشروحة .

نشر المجمع اللغوي المصري كتاب الجيم بتحقيق المستشرق الفرنسي شارل كونتس وإشراف ابراهيم مصطفى، معتمداً نسخة الإسكوريال ونسخة أخرى وجدت بمكتبة المستشرق الألماني فيشر.

2.2 جمهرة اللغة

هذا الكتاب من تأليف ابن دريد الأزدي[1]، وهو من أهم المعجمات القديمة في اللغة العربية، أسماه المؤلف كتاب الجمهرة لأنه اختار له الجمهور من كلام العرب، وأرجأ الحوشي والمستنكر، والغريب النادر، على عكس الخليل الذي كان يريد حصر اللغة وجمعها، المستعمل منها والمهجور.

استطاع ابن دريد في كتابه هذا أن يتخلص من بعض مظاهر منهج الخليل، ولكنه لم يستطع التخلص منه التخلص

---

(1) ابن دريد (223- 321 هـ) أبو بكر محمد بن الحسن، ولد بالبصرة، نشأ وتعلّم فيها، عالم من أكابر علماء اللغة العربية، شديد الذكاء، واسع الحفظ، كان أديباً وشاعراً، حتى قيل فيه: «أشعر العلماء وأعلم الشعراء». من أساتذته أبو حاتم السجستاني، والرياشي، ومن تلامذته الأصبهاني، والقالي، والسيرافي، وابن خالويه. له مؤلفات كثيرة من بينها «الملاحن»، و«الأنواء»، و«الاشتقاق» و«الجمهرة».

كله ، إذ كان شغله الشاغل ترتيب الحروف ، وقد أفلح في ذلك باعتماده الترتيب الألفبائي ، غير أنه لم يعتمده كأساس أولٍ له ، وإنما جعل الأساس الأول للأبنية ، وتصنيفه فيها هو تصنيف الخليل مع بعض الزيادات ، فالكتاب عنده مقسَّم إلى الثنائي المضعَّف وما يلحق به ، ثم الثلاثي الصحيح وما يلحق به ، فالرباعي وما يلحق به ، ثم الخماسي وما يلحق به ، وأخيراً باب اللفيف والنوادر ، وكأنه يربأ بنفسه أن يدخل النوادر في صلب الكتاب ، فأخَّرها إلى نهايته ، أما الملحقات فقد اضطرب فيها كثيراً .

شرح المؤلف منهجه في مقدمته بقوله : « ابتدأت فيه [كتاب الجمهرة] بذكر الحروف المعجمة التي هي أصل تفرع منها جميع كلام العرب وعليها مدار تأليف ، وإليها مآل أبنية ، وبها معرفة متقاربة ، ومن متباثنة ، ومنقادة ، ومن جامحة ، ولم أجر في إنشاء هذا الكتاب إلى الإزراء بعلمائنا ، ولا الطعن في أسلافنا ، وأنَّى يكون ذلك ، وإنما على مثالهم نهتدي ، وبسبيلهم نقتدي ، وعلى ما وصلوا نبني ، وقد ألَّف أبو عبد الرحمن الخليل بن الفراهيدي رضوان الله عليه كتاب العين ، فأتعب من تصدَّى لغايته ، وعنَّى من سما إلى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ،

والمعاند متكلِّف، وكل من بعد له تبع، أقر بذلك أم جحد، ولكنه رحمه الله في كتابه كان مشكلاً لثقوب فهمه، وذكاء فطنته[1] » .

كما قال عن منهجه في مكان آخر من المقدِّمة : « فمن نظر في كتابنا هذا فآثر التماس حرف [لفظ] ثنائي فليبدأ بالهمزة والباء، إن كان الثنائي باء ثقيلة [مشدَّده] أو الهمزة والتاء إلى آخر الحروف . أمَّا الثلاثي فإنا بدأنا بالسالم منه، فمن أحب أن يعرف حرفاً من ابنيته فليبلغ ذلك في جمهور أبواب الثلاثي السالم، ومن أراد بناءً يلحق بالثلاثي بحرف من حروف الزوائد، فإنا قد أفردنا له باباً من آخر الثلاثي، تقف عليه مع المعتل إنشاء الله، فأما الرباعي، فإن أبوابه مجمهرة على حدَّتها... ثم جعلنا للملحق بالرباعي بحرف من حروف الزوائد أبواباً ... فأمَّا الخماسي فنبوِّب له أبواباً لم نحوج فيه إلى طلب لقرب تناولها، وكذلك الملحق بالخماسي [السداسي] بحرف من حروف الزوائد. فإن عَسُر مطلب حرف من هذا، فليُطلب في اللفيف، فإنَّه يوجد إنشاء الله تعالى، وجمعنا النوادر في باب فسمَّيناه (النوادر) لقلَّة ما جاء على وزن ألفاظها[2]» .

---

(1) مقدّمة الجمهرة، م 1، ص. 3 .

(2) المصدر نفسه، م 1، ص. 3 .

وهكذا فقد خصَّص المؤلف الباب الأول من كتابه للثنائي المضعَّف مثل (أبَّ، أنَّ، أحَّ)، والباب الثاني للثلاثي الصحيح والملحق به كالثلاثي الذي يجتمع فيه حرفان متكرزان في موضع العين واللام مثل (بتت، بشث، بجج) أو الفاء والعين، أو الفاء واللام من الأسماء والمصادر، ثم ماكان عين الفعل منه أحد حروف اللين مثل (بيت، باب، سوس) ثم الثلاثي المعتل أي أن يكون حرف العلَّة في آخر الكلمة مثل (بتو، بجو، وعى).

أمَّا الباب الثالث فقد خصَّصه للرباعي مثل (بحتر، دحرج) وما يلحق به، ثم خصص الباب الرابع للخماسي مثل (غضنفر، سفرجل) وما يلحق به، وأخيراً باب النوادر الذي أدخل فيه الكلمات النادرة من الأبواب السابقة، وهي كثيرة وشاذَّة.

تبنَّى ابن دريد في كتابه فضلاً عن نظام الأبنية السابق الذكر، نظام التقاليب أيضاً، وهو نظام ابتدعه الخليل، ويتجلَّى بشرح جميع الكلمات المشتقَّة من مادة واحدة بتغيير مواضع حروفها، في مكان واحد، ثم لا يعود لشرحها في مكان آخر فكلمة شرب مثلاً تشرح هي وتقاليبها الخمسة في مكان واحد وهي

(برش، ربش، شبر، بشر، رشب). أما كلمة ضرب فنجدها وفق هذه الطريقة مشروحة أيضاً مع تقاليبها الخمسة في مكان واحد وهي (برض، ضبر، برض، ربض، بضر)، وهكذا يستكمل شرح كل مادة مع تقاليبها في مكان واحد مرّة واحدة.

حرص ابن دريد أيضاً أن يبدأ في كل باب بالكلمة التي تبدأ بالحرف المعقود له الباب، يليه مباشرة الحرف الذي يتبعه في الترتيب الألفبائي. فأبواب الباء مثلاً يصدِّرها بالباء مع التاء وأبواب التاء يصدِّرها بالتاء مع الثاء، وأبواب الراء يصدِّرها بالراء مع الزين، وأبواب الصَّاد يصدِّرها بالصاد مع الضاد، ثم الصاد مع الطاء، ثم الصاد مع الظاء، ثم الصاد مع العين الخ... أما الصاد مع الباء، والصاد مع التاء، والصاد مع الثاء والصاد مع الجيم، والصاد مع الحاء حتى الصاد مع الضاد فقد شرحها في الأبواب السابقة نظراً لاعتماده مبدأ التقاليب، وتحاشياً لشرح الكلمة الواحدة في أكثر من مكان. فإذا وصل باب العين مثلاً صدَّره بالعين مع الغين، ثم العين مع الفاء، ثم العين مع الكاف حتى العين مع الياء، وبذلك فهو لايذكر في هذا الباب كلمة (عبر) لأنه سبق أن شرحها في (برع)، وكلمة (عبد) لأنه سبق أن شرحها في (بدع)، ولا

كلمة (عصر) لأنه سبق أن شرحها في (رصع)، وعلى هذا فقس.

من خلال ماتقدَّم نقول أنه لو أردنا إخراج كلمة (حجَّة) من هذا المعجم، نجرِّدها أولاً من الزوائد فتصبح (حجَّ)، ثم نفك الإدغام فتصبح (حجج)، نرتِّبها هجائياً فتصبح (جحج)، ونجدها في باب الثنائي المضعَّف حرف الجيم.

أمَّا إذا كانت الكلمة ثلاثية أصلية مثل (قمع)، نرتبها هجائياً فتصبح (عقم) ونبحث عنها في باب الثلاثي الصحيح حرف العين، أي أننا تحت شروح مادة (عقم) نجد معنى كلمة قمع وتقاليبها، بينما نجد شرح مادة (وفق) في شروح مادة (فقو).

وفي حالة البحث عن كلمة رباعية أصيلة مثل (دحرج) نرتبها هجائياً فتصبح (جحدر) ونجدها في باب الرباعي حرف الجيم، وفي هذا المكان نجد شروح مادة دحرج وتقاليبها. بينما نجد شرح كلمة (كلكل) وهي مؤلفة من حرفين مضعَّفين في باب الثنائي الملحق بالرباعي.

لقد تأثَّر ابن دريد بالفراهيدي تأثراً كبيراً، حتى إن مقدِّمته

لم تخرج كثيراً عن الموضوعات التي عالجتها مقدِّمة كتاب العين إلَّا في الجزئيات وبعض الأمثلة، أما الخطوط العريضة فهي واحدة عندهما[1]. ولكن هذا لايعني أنه إنما نقل عن كتاب العين فقط كما ادَّعى نفطويّه[2]، وإنما رجع إلى مراجع أخرى غيره وهي مثبتة في المجلد الرابع من كتابه لتشير بجلاء إلى أنه اطلع على كتب كثيرة في اللغة والأدب والتفسير والتاريخ، وأفاد منها في تأليف كتابه.

---

(1) انظر د. حسين نُصَّار، المعجم العربي، المرجع السابق، ص. 407-410.

(2) قال نفطويه وهو يطعن في كتاب الجمهرة وصاحبه:

ابـــن دريـــد بقـــرة
وفيـــه عِـــيٌّ وشـــره
ويدَّعـــي من حمقـــه
وضع كتـــاب الجمهـــرة
وهـــو كتـــاب العـــين إلا
أنـــه قـــد غيَّـــره

وكان ابن دريد قد هجا نفطويه قبلها بقوله:

أُفٍ على النحـــوِ وأربابـــه
قد صار من أربابـــه نفطويـــهِ
أحـرقـــه الله بنصـــف اسـمـــه
وصيـــرَّ البـــاقي صراخـــاً عليـــهِ

ويتبين من هذا أنه كانت بين الاثنين منافرة عظيمة. (الجمهرة، ج 1، ص 15).

لم يلتزم ابن دريد بالمنهج الذي رسمه لنفسه التزاماً كاملاً، فقد اضطرب كثيراً اثناء التطبيق، عندما أورد مثلاً في باب الثنائي المعتل ألفاظاً ثلاثية فيها حرف واحد صحيح وحرفان معتلاّن، وعندما أورد ألفاظاً معتلة في أبواب الثلاثي الصحيح، وعندما جمع في أبواب الهمز عنده ما ورد في كتاب الهمز لأبي زيد الأنصاري وغيره من الرسائل اللغوية التي ألحقها بكتابه دون أي ترتيب، فسبب بذلك الاضطراب لكثير من الأبواب، هذا ناهيك عن الفوضى التي أصابت أبواب الخماسي جميعاً.

عني كتاب الجمهرة باللغات عناية كبيرة، فذكر لغات من الأزد، والأنصار، وتميم، وثقيف، وحمير، وبني حنيفة، وخزاعة، وطيء، وقيس، وغيرها من القبائل، كما ذكر لغات من البحرين، والحجاز، والشام، والعراق، والمدينة، ومكّة، ونجد، ووجّه عناية خاصة للغة اليمن لأنه كان متعصباً لأهله هناك، كذلك عني بالمعرَّب والدخيل من الحبشية، والرومية، والسريانية وغيرها وعقد لها فصلاً خاصاً من الأبواب الملحقة بالمعجم، إلى جانب ماتره فيه، وكانت هذه العناية بارزة إلى حد قال عنها ابن

منظور في لسانه : « كلمة دخيل أدخلت في كلام العرب وليست منه ، استعملها ابن دريد كثيراً في الجمهرة[1] » .

أخذ علماء اللغة على كتاب الجمهرة مآخذ كثيرة ، من بينها توليد الألفاظ التي ليس لها أصول في العربية ، قال الأزهري : « وممن ألف في عصرنا الكتب ، فوُسم بافتعال العربية ، وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول ، وإدخال ماليس في كلام العرب في كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب كتاب الجمهرة[2] » . كذلك اتهم بالإكثار من الألفاظ الغريبة والمولدة ، واضطراب الهدف ، والتصحيف ، وتفسيره كثيراً من الألفاظ بكلمة معروف ، ولكنه برغم ما وجه إليه من انتقادات فقد خطا بالمعجم العربي خطوة هامة نحو الأمام ، لاسيَّما في طرحه الترتيب على مخارج الحروف ، وأخذه بطريقة الترتيب الألفبائي السهلة .

وهاك نموذجاً من الكتاب في شرح كلمة (بخّ) من باب الباء في الثنائيّ الصحيح : « بخ : كلمة تقال عند ذكر الفخر ، وقد

(1) لسان العرب ، مادة دخل .

(2) تهذيب اللغة ، 1 : 31 .

خففت فألحقت بالرباعي (بخْ بخْ) قال الشاعر يمدح محمد بن الأشعث بن قيس:

بين الأشج وبين قيس بيتـــــه
بخْ بخْ لوالــــده وللمولــــود

البيت للأعشى همدان فأسر لما رآه الحجاج قال له: بين الأشج وبين قيس بيته بخ بخ لوالده وللمولود، والله لا بخبخت بعده، ثم قتلته.

الأشج ـ الأشعث بن قيس بن معد بن يكرب.

وقد قالوا (بخ بخ) فأخرجوها مخرج غاق غاق وأشباهها.

واستعمل من معكوسها (خب) الرجل خبا إذا كان غاشاً منكراً.

قال الشاعر:

ومـا أنـا بِخَب الخَتـور ولا الـــذي
إذا استـودع الأسرار يومـــاً ذاعهـــا

(وَخَبُّ البحر) هيجانُهُ، والخب: الغامض من الأرض، والجمع خبوب وأخباب[1]».

---

(1) الجمهرة 1: 25.

ويقول ابن دريد في باب الثلاثي ، مادة (تحف) :

« الحتف : والجمع حتوف وهو الموت والمنية ، وليس له فعل متصرف ، لايقال رجل محتوف ، ولاحتف به .

وأتحف الرجل بالشيء أتحفه إتحافاً ، وهو أن تطرّفه بالشيء أو تخصّصَهُ به والحفت : لغة في الحفت وهي القبّة .

والفتح : ضد الإغلال ، وكل فاتحة بدأت فقد استفتحه ، وبه سميت الحمد فاتحة الكتاب والله أعلم .

قال أبو الفتح ، قال أبو بكر ، قال ابن عباس : كنت لا أدري ما فاتحة الكتاب حتى قالت لي الكندية هلما فاتحتي أي حاكمتي . ويقال فتح فلان بين بني فلان إذا حكم بينهم . قال أبو عبيدة : من هنا قوله جلّ وعز (الفتاح العليم) والله أعلم . قال

الشاعر أعشى بن قيس :

ألا أبلـــغ بنـــي بكـــر بن عبـــد
بأني عن فتاحتكـــــم غنـــــي

وكل شيء انكشف عن شيء فقد انفتح عنه ، ومنه قولهم :

تفتح النور ، والمفتح : الكنز ، هكذا يقول بعض أهل اللغة[1] » . . .

حظيت الجمهرة باهتمام علماء اللغة ، وقامت حولها دراسات عدَّة ، نذكر منها (فائت الجمهرة) لأبي عمر الزاهد (ت . 345 هـ) ، و(جوهرة الجمهرة) للصاحب بن عبَّاد (ت . 385 هـ) ، وهو مختصر للجمهرة[2] ، كذلك (نشر شواهد الجمهرة) لأبي العلاء المعرِّي (ت . 449 هـ) وهو شرح للشواهد في ثلاثة أجزاء وكلها مفقود .

طبعت الجمهرة في حيدر آباد الدكن في الهند سنة 1314 هـ في ثلاثة مجلدات من القطع الكبير ، ثم أضيف إليها مجلد رابع ينطوي على فهارس الفبائية للمواد اللغوية ، وأسماء الشعراء ، والقوافي ، والبقاع ، وغير ذلك ، وهي فهارس مطوَّلة تصل في حجمها إلى حجم الكتاب الأصلي تقريباً ، سهَّلت أمر المراجعة

(1) الجمهرة ، مادة تحف (ت ، ح ، ف) .

(2) قال الصاحب بن عباد عند اتمام كتابه فخوراً :

لما فرغنا من كتاب الجمهرة
اعورَّت العين ومات الجمهرة
ووقف التصنيف عن القنطرة

فيه . وقد وضعت هذه الفهارس بعناية محمد السّورتي ، والمستشرق الألماني سالم كرنكو . ثم صدر كتاب الجمهرة في طبعة ثانية بطريقة التصوير عن الطبعة الهندية هذه .

3.2.مقاييس اللغة

سار ابن فارس[1] في مقاييسه على طريقة خاصة تختلف عمّا رأيناه عند من سبقه من اللغويين، وذلك بغية الكشف عن مزيد من خصائص اللغة العربية التي تتجلّى في استنباط المعنى المشترك، أو الأصل الواحد بين صيغ المادة اللغوية في الثنائي والثلاثي . ويعبّر المؤلف عن طريقته هذه في مقدّمة كتابه بقوله : « إن للغة العرب مقاييس صحيحة، وأصولاً تتفرع منها فروع . وقد ألّف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا، ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس، ولا أصل من تلك الأصول . والذي أومأنا إليه باب من العلم جليل، وله خطر عظيم، وقد صدّرنا كل فصل بأصله الذي تتفرع منه مسائله[2] » .

---

(1) ابن فارس (329-395 هـ) أبو الحسين أحمد بن فارس، إمام في علوم شتى وخصوصاً اللغة . له رسائل أنيقة، ومسائل في اللغة يعالي بها الفقهاء . كان مقيماً بهمزان . من تلاميذه بديع الزمان الهمزاني ، والصاحب بن عباد . له في اللغة كتاب « المقاييس » ، وكتاب « المجمل » ، وكتاب « الصاحبي في فقه اللغة » .

(2) المقاييس، المقدمة ، ص . 3 .

يفهم من خلال هذا القول أن فكرة المقاييس سيطرت عند ابن فارس، فقد اهتدى إلى أن هناك معنى أساسياً، أو أصلاً واحداً، أو أكثر أحياناً، مشتركاً في جميع معاني المادة الواحدة، وصيغها المختلفة، وقد تنبَّه لهذه الفكرة بعد اطلاعه على كتاب العين، لأنها موجودة فيه في حدود ضيِّقة، وسَّعها ابن فارس، وجعل منها نظرية عامة طبَّقها بنجاح على مواد كتابه، في الثنائي والثلاثي، غير أنه لم ينجح في تطبيقها على الرباعي والخماسي، فاستعاض عنها فيهما بنظرية النحت كما أشار إلى ذلك بقوله: «اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أنَّ أكثر ماتراه منه منحوت، ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان، وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ[1]». ونأخذ مثالاً على ذلك كلمة (حَيْعَلْ) فهي منحوتة من حيَّ على، أو كلمة (ضِبْطَرْ) وهي منحوتة من ضبط وضبر، أو كلمة (بُحتُر) وهي منحوتة من بتر وحتر[2].

---

(1) المقاييس 1: 328-329

(2) حيعل = حي على، ضبطر = الرحل الشديد، بُحْتُر = الرحل القصير المجتمع الخلق. وهناك أيضا المنحوت من ثلاث كلمات مثل (قَلْفَعْ) وهو مايبس من الطين على الأرض، وهي كلمة منحوتة من ثلاث كلمات هي: قفع، قلع، قلف. كذلك هناك المنحوت من كلمتين ودخلته زيادة حرف مثل (جنزقره) معناها الرحل القصير وهي ←

ألَّف ابن فارس كتابه في القرن الرابع الهجري، بعد أن كانت اللغة العربية قد دوِّنت وجمعت في رسائل وكتب مختلفة، مكَّنته من الإطلاع عليها، والإفادة منها من جهة، ومن تجاوز بعض تعقيداتها وهنَّاتها من جهة ثانية.

وكان كتاب العين أحد أهم كتب اللغة التي رجع إليها ابن فارس في تأليف كتابه، وهو يشير إليه بقوله: «وبناء الأمر في سائر ما ذكرناه على كتب مشتهرة عالية تحوي أكثر اللغة، فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد كتاب العين... ومنها كتابا أبي عبيد في غريب الحديث ومصنَّف الغريب... ومنها كتاب المنطق عن أبي السكيت. ومنها كتاب أبي بكر ابن دريد المسمَّى الجمهرة... فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيما استنبطناه من مقاييس اللغة[1]».

اعتمد ابن فارس الطريقة الألفبائية في ترتيب كتابه، قسَّم معجمه إلى كتب بعدد حروف الهجاء، فكتاب للألف،

منحوتة من كلمتين: خرق وحقر. وعنده أيضاً الكلمات المتأرجحة بين النحت والزيادة، وبين الزيادة والوضع.

(1) المقاييس، المقدمة، ص. 3-5.

وكتاب للباء وهكذا .. ثم قسَّم كل كتاب إلى ثلاثة أبواب فقط هي الثنائي المضاعف، والثلاثي، ومازاد عن الثلاثي، وهو تقسيم أبسط مما رأيناه عن الفراهيدي، وابن دريد، فقد حافظ ابن فارس على نظام الأبنية الصرفية الذي يعيق البحث عن الألفاظ، ولكنَّه سهَّله بعض الشيء في جعله يكتفي بثلاثة أبنية فقط، كما سهَّل أيضاً طريقة الرجوع إلى كتابه في الغائه مبدأ التقاليب، عندما ذكر كل مادة في كتاب الحرف الأول من حروفها الأصول، فكلمة شرب مثلاً نجدها عنده في كتاب الشين، وكلمة برش في كتاب الباء، بينما نجد هذه الكلمات مع تقاليبها الأخرى تجتمع في العين والجمهرة في مكان واحد لأخذها بمبدأ التقاليب، وهكذا فإن الكلمات التي تبدأ بحرف التاء مثلاً نجدها في «المقاييس» في كتاب التاء، والكلمات التي تبدأ بحرف الراء نجدها في كتاب الراء، والتي تبدأ بحرف السين نجدها في كتاب السين تبعاً لأبنيتها ثنائية كانت أم ثلاثية، أم أكثر من ثلاثية. ولكنه بعد هذا التسهيل عاد فوقع في مشكل آخر، ذلك أنه بدأ كل كتاب من كتب المقاييس بالحرف الذي يبدأ فيه مع الحرف الذي يليه مباشرة في الترتيب الهجائي، تاركاً ماقبله من حروف. ففي باب الدال مثلاً يترك ابن فارس الكلمات التي تبدأ بالدال مع الهمزة، والدال

مع الباء، والدال مع التاء، والدال مع الثاء، والدال مع الجيم، والدال مع الحاء، والدال مع الخاء، ويبدأ مباشرة بشرح الكلمات التي تبدأ بالدال مع الذال، ثم الدال مع الراء، ثم الدال مع الزين، وهكذا حتى إذا ما انتهى من جميع الحروف عاد إلى الأبواب المتروكة السابقة الذكر، فشرحها، وهي طريقة إذا كان لها ما يبرِّرها عند الفراهيدي وابن دريد لأخذهما بمبدأ التقاليب، فإنه ليس لها ما يبررها عند ابن فارس الذي طرح هذا المبدأ. ولمزيد من الإيضاح نورد بعضاً من أمثلة مواده التي وزَّعها على أبواب كتابه.

بدأ ابن فارس في باب القاف في الثنائي المضعَّف بشرح المواد التالية بهذا الترتيب:

قلَّ، قمَّ، قنَّ، قهَّ، ثم انعطف إلى البداية ليشرح الكلمات
ية: قبَّ، قتَّ، قدَّ، قرَّ، قصَّ، قعَّ، قفَّ الخ...

كما بدأ في باب القاف واللام وما يثلثهما أي في باب الثلاثي بشرح المواد التالية: قلم، قلة، قلو، ثم انعطف لشرح قلب، قلح، قلع، قلق. وفي باب القاف والميم وما يثلثهما بدأ بشرح المواد التالية:

قمن ، قمه ، قما ، قميء ، ثم انعطف لشرح قمح ، قمر ، قمط ، قمع ، قمل .

غير أن ابن فارس اعتمد هذا الترتيب بالنسبة للكلمات الثنائية والثلاثية ، أما بالنسبة للكلمات الرباعية والخماسية فقد جاء بالألفاظ المعقود لها الباب فقط دون مراعاة للحرف الثاني منها ، ولكونها رباعية أم خماسية .

اتَّصف «المقاييس» بالتركيز والإيجاز لميل المؤلف إلى الاختصار ، فترك بعض الصيغ حتى ظهرت المواد عنده صغيرة قصيرة ، أو تخلى كليَّة عن شرح بعضها الآخر ، كما كان يشرح بعض الكلمات دون ذكرها ، أو يختصر ما يقتبسه من نصوص اللغويين قبله ، مفضلاً عدم ذكر أسمائهم اكتفاء منه بما ذكره في المقدِّمة حول الكتب التي اعتمد عليها في تأليف كتابه ، وهي بحد ذاتها ميزة جعلت الكتاب لايزدحم بأسماء اللغويين ، وللمؤلف بعض الحق أيضاً في ذلك الطَّرح ، لأنه أصلاً لم يكن يهدف من خلال كتابه إلى جمع اللغة وتصنيفها في مواد مرتبة ، وإنما كان يهدف إلى استجلاء أصول المواد ، ومعرفة مشتقاتها اللغوية .

تحرَّى ابن فارس الألفاظ الصحيحة ، وتجنَّب المشوبة ، وكان

إذا ما انتقد غيره من اللغويين ، ينتقدهم بصراحة وأدب ، أما أقسى نقد وجهّه فكان لابن دريد حين اتّهمه بتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول . وقد وجّه عناية خاصّة للمجاز ، ولكنه وضعه متأخراً في موادّه ، فلم يذكر بعده إلاّ الشاذ عن أصوله ، كما اهتّم بالدخيل حين بيّن خروجه عن أقيسة العرب .

أفاد معجم المقاييس المعاجم العربية التي جاءت بعده ، في المادة والمنهج ، حين أتى بمواد كثيرة لم يذكرها غيره قبله ، وحين طرح مبدأ التقاليب جانباً ، ونظّم الأبواب تنظيماً جيداً ، وقدّم لها فكرتي الأصول والنحت ، إضافة إلى آرائه النقدية القيّمة .

يقول ابن فارس في شرح مادة (عقق) :

« العين والقاف أصل واحد يدل على الشق ، وإليه يرجع فروع الباب بلطف نظر . قال الخليل : أصل العق الشق . قال : وإليه يرجع العقوق . قال : وكذلك الشعر ينشق عنه الجلد . وهذا الذي أصّله الخليل رحمه الله[1] ... وبسط الباب بشرحه هو ما ذكره

(1) لاتوجد عبارة (الشعر ينشق عنه الجلد) في نسخة العين التي بين أيدينا ، وإنما فيه (الشعر الذي يولد به) ، ويتبين من هذا أن نسخة «العين» التي اعتمدها ابن فارس هي غير النسخة التي وصلتنا منه .

فقال: يقال عقَّ الرجل عن ابنه يعق عنه إذا حلق عقيقته، وذبح عنه شاة، قال: وتلك الشاة عقيقة. وفي الحديث (كل امريء مرتهن بعقيقته) والعقيقة الشعر الذي يولد به، وكذلك الوبر فإذا سقط عنه مرَّة ذهب عنه ذلك الاسم... قال ابن الاعرابي: الشعور والأصواف والأوبار كلها عقائق وعقق، واحدتها عقة، قال عدي:

صخب التعشير نوَّام الضحى
ناسل عقَّته مثل المسد

ويقال: أعقَّت الناقة إذا كثر صوفها، والاسم العقيقة، وعققت الشاة جززت عقيقتها، وكذلك الإبل. والعق: الجزء الأول. ويقال: عقوا نَهْمَكم فقد أعقَّ، أي جُزُّوه فقد آن له أن يجز. وعلى هذا القياس يسمَّى نبت الأرض الأول عقيقة... والعقوق: قطيعة الوالدين وكل ذي رحم محرم. يقال: عقَّ أباه فهو يعقه عقاً وعقوقاً. قال زهير:

فأصبحتما منها على غير موطن
بعيدين منها من عقوق ومأثم

والمعقَّة: العقوق، قال النابغة:

أحـــلام عاد، وأجسام مطهّـــرة
من المعقّــــــــــة والآفات والأثم

وعقيقة البرق: ما يبقى من السحاب من شعاعه، وبه تشبّه السيوف فتسمّى عقائق، قال عمر بن كلثوم:

بسمـــر من قنـــا الخطـــي لدن
وبـــيض كالعقائـــق يختلينـــا

والعقّاقة: السحابة تنعقّ بالبرق أي تنشق، وكان معقر ابن حمار كف بصره، فسمع صوت رعد فقال لابنته: أي شيء ترين؟ قالت: أرى سحابة عقّاقة، كأنها حولاء ناقة، ذات هيدب دانٍ وسيروان، فقال: يابنتاه وائلي بي إلى قفلة فإنها لاتنبت إلاّ بمنجاة من السيل... ويقال: أنعق الغبار إذا سطع وارتفع، قال العجّاج:

إذا العَجاج المستطار أنعقا

ويقال لفرند السيف عقيقة. فأمّا الأعقة فيقال إنها أودية في الرمال. والعقيق واد بالحجاز. قال جرير:

فهيهات هيهات العقيـــق ومـــن به
وهيهات خل بالعقيـــق نواصلـــه

وقال في الأعقّة :

دعــا قومــه لما استُحــلَّ حرامـــه
ومــن دونهم عرض الأعقــة فالرمــلُ

وقد قلنا إن الباب كله يرجع إلى أصل واحد[1] .

صدر كتاب مقاييس اللغة بتحقيق عبد السلام هارون في القاهرة في ستة أجزاء عام 1946 ، ثم صدر في طبعة ثانية عام 1969 . وقد ألّف ابن فارس أيضاً كتاب « مجمل اللغة » وهو معجم لغوي أيضاً ، إلاَّ أنه أوجز من المقاييس ، شرح فيه المؤلف الواضح والمشهور والصحيح من الألفاظ فقط ، وكان همه الأول يتجه نحو الجمع والترتيب والإيجاز ، لذلك اقتصر فيه على ذكر المشهور من الشواهد فقط ، واختصر في التفسير ، ولم يوجه عناية تذكر للعبارات المجازية والتعبيرات الخاصة ، والمعاني الفرعية ، ونقد الألفاظ ، ولاريب أن ابن فارس الف كتاب (المجمل) قبل (المقاييس) ، لأنه كان في كتابه الأخير أعمق نظراً ، وأنضج فكراً ، وأكثر استيعاباً للمواد اللغوية ، ومع ذلك فقد اشتهر المجمل أكثر من

(1) المقاييس ، مادة عقّ .

المقاييس، وحفل بعناية واهتمام الناس، بالرغم من الفروق الشاسعة بين الكتابين.

4.2 ـــ أساس البلاغة

ألّفه الزمخشري[1] وهو أول معجم مطبوع روعيت فيه طريقة ترتيب الألفاظ وفق الترتيب الهجائي المحكم لأوائل اصولها، وهي الطريقة التي انتهجتها المعاجم الحديثة في ترتيب الألفاظ.

صنّف الزمخشري معجمه في ثمانية وعشرين باباً، كل حرف في باب أسماه كتاباً، أولها كتاب الهمزة، يليه كتاب الباء، ثم التاء فالثاء الخ.. مراعياً في الترتيب أيضاً الحروف الثاني والثالث من الكلمة، وبذلك يكون قد طرح الكثير من تعقيدات التبويب التي شابت المعجمات العربية قبله، وهو يقول في هذا الصدد:

---

(1) الزمخشري (467-538 هـ) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ولد في زمخشر، قرية من قرى خوارزم، وإليها نسب، عالم فذ متعدد المواهب، له منزلة مرموقة في مجالات التفسير والأدب والبلاغة والاعتزال. له كتاب «الكشاف» في التفسير، و«المفصّل» في النحو، و«الفائق» في غريب الحديث، و«أساس البلاغة» في اللغة، وكلها مطبوع.

« وقد رتبت الكتاب على أشهر ترتيب متداولاً، وأسهله متناولاً، يهجم فيه الطالب على طلبته موضوعة على طرف الثمام وحبل الزراع، من غير أن يحتاج إلى التنقير عنها إلى الإيجاف والإيضاع، وإلى النظر فيما لايوصل إلاّ بأعمال الفكر إليه، وفيما دقق النظر فيه الخليل وسيبويه[1] ».

لم يكن غرض هذا المعجم جمع اللغة، واستيعاب ألفاظها، وإنما بيان بلاغة اللغة العربية، وإظهار جمالها، باحتوائه حشوداً من العبارات الفصيحة الجميلة التي استقاها من القرآن الكريم، أو اقتبسها من الحديث الشريف، وعلى كثير من عيون كلام الأدباء والفصحاء العرب، لأن البلاغة عند الزمخشري لاتعني مانفهمه منها اليوم من فنون البيان والمعاني والبديع، وإنما تعني الفصاحة والجودة. وفي هذا يقول: « ومن خصائص هذا الكتاب غير ماوقع من عبارات المبدعين، وانطوى تحت استعمالات المغلقين، أو ماجاز وقوعه فيها، وانطواؤه تحتها من التراكيب التي تملّح وتحسّن، ولاتنقبض عنها الألسنة لجريها رَسَلات على الأسلات، ومرورها عذْبات على العَذَبات، ومنها التوقيف على مناهج التركيب

(1) أساس البلاغ، المقدمة، ص. ج.

والتأليف، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف، بسوق الكلمة متناسقة لا مرسلة بددا، ومتناظمة لا طرائق قددا، مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية إلى مراشد حر المنطق[1]».

انطلق الزمخشري من منطلق تفهم القرآن وتدبره، ورمى إلى معرفة روعة بلاغته، واستكناه سر إعجازه، لأن الله تعالى «أنزل كتابه مختصاً من بين الكتب السماوية بصفة البلاغة التي تقطعت عليها أعناق العقاق السُّبَّق، وونت عنها خطا الجياد القرَّح[2]»، لذا لم يقف عند حدود الألفاظ المفردة في الشروح، بل تعدَّاها إلى التراكيب، والتعابير الجميلة المختارة، متبيناً مراسم البلاغة في أقوال العرب ليسمو منها إلى مراسمها في القرآن الكريم بغية تخريج الأدباء الفحول، وهو بذلك «يسمو فوق دلالة اللفظ على معناه ليكشف لنا عن عنصرين فيه يتصلان أوثق اتصال بفن القول وجوهر الآداب، وأول هذين العنصرين أثر الاستعمال في حياة الكلمة، وتعيين دلالتها، وتحديد معناها... والعنصر الثاني الذي تتسم به مادة الأساس هو الوقوف على شيء من ايحاء الكلمة في النفس،

---

(1) المصدر السابق، المقدمة، ص. د.

(2) المصدر نفسه، المقدمة، ص. د.

وظل فحواها في الذهن، ووقعها في المخيلة، وهذا مالا تقدِّمه لنا المعاجم اللغوية لأن الدلالة المعجمية المجرَّدة ليست هي كل دلالة الكلمة، فقد تنطوي على الدَّلالة الأدبية التي تحمل عنصر التأثير النفسي للكلمة، بما تثيره من أحاسيس، وما تلفت إليه من آفاق[1] ».

ومن خصائص هذا الكتاب أيضاً إفراد المجاز عن الحقيقة، وفصل الكناية عن التصريح في استعمال الألفاظ والعبارات، والتفريق بينهما، انسجاماً مع الخطَّة التي رسمها المؤلف لنفسه في مقدمة الكتاب بقوله: «ومن خصائص هذا الكتاب تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح، بإفراد المجاز عن الحقيقة، والكناية عن التصريح[2] ». وهي خطَّة تفرَّد بها بين معجمات العربية عندما فصل بين الاستعمال الحقيقي والاستعمال المجازي داخل المادة الواحدة، فكان يبدأ بذكر المعنى الحقيقي للمادة حتى يستكمله، ثم يذكر المعنى المجازي مشيراً إليه بقوله: «ومن المجاز» أو «ومن الكناية»، أو «ومن المستعار».

(1) د. عمر الدقاق، المرجع السابق، ص. 205.

(2) أساس البلاغة، المقدمة، ص. د.

يقول الزمخشري في شرح مادة « أبد » :

« لا أفعله أبدَ الآباد ، وأبد الآبيد ، وأبد الآبدين . وتقول : رزقك الله عمراً طويل الآباد ، بعيد الآماد . وأبّدت الدواب : توحّشت ، وهي أوابد ومتأبدات . وفرس قيد الأوابد ، وهي نفَّر الوحوش ، وقد تأبد المنزل ، سكنته الأوابد .

ومن المجاز : فلان مولع بأوابد الكلام وهي غرائبه ، وبأوابد الشعر وهي التي لاتشاكل جودة . قال الفرزدق :

لن تدركوا كرمي بلؤم أبيكم
وأوابدي بتنحّل الأشعار

وقال النابغة :

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها
يهدي إليَّ أوابد الأشعار

وقال : « جئنا بأبدة ما نعرفها »[1]

كما يقول في شرح مادة (بثث) :

« يقال : بثوا الخيل في الغارة ، وبث كلابه على الصيد ، وتقول

---

(1) المصدر السابق ، مادة : أبد .

أيضاً : خلق الله الخلق فبثَّهم في الأرض، وبثَّت البسط . قال تعالى : (وزرابي مبثوثة) .

ومن المجاز : باثثته سري وباطن أمري ، إذا أطلعته عليه .

قال ذو الرمَّة :

وأسقيـــه حتـــى كاد مما ابثـــهُ
تكلمنـــي أحجـــاره وملاعبـــه[1]

ويقول أيضاً في شرح مادة (سرف) :

« عود مسروفٌ ، وقد سُرِف إذا أكلته المسرفة . ومنه السرف الذي هو مجاوزة الحد في النفقة وغيرها ، وقد أسرف في كذا وهو مسروف . وتقول : يفعل السَّرَفُ بالنسب ما يفعل السُّرُفُ بالخشب .

ومن المجاز : شاة مسروفة : استؤصلت أذنها ، وسرفت المرأة ولدها أفسدته بكثير اللبن ، وذهب ماء البئر سرفاً : ضيعة ، ورجل سَرِفُ العقل فاسده[2] » .

---

(1) المصدر نفسه ، مادة : بثث .

(2) المصدر نفسه ، مادة : سرف .

وهكذا يحرص الزمخشري على رد الألفاظ إلى استعمالاتها العربية السليمة، فلا يعرضها عارية عن التركيب، كما يذكر تصاريف الكلمات ومشتقاتها، وجموعها، ومزيداتها، ومعاني كل منها مرتباً بعضها على بعض، وذلك داخل عبارات عدة تفصح عن معانيها، وتميز مجازاتها من حقائقها، مع اهتمامه بذكر الأفصح من اللغات، وبذلك ينفرد بخصائصه، فهو معجم أدبي بلاغي، نسيج وحده بين المعاجم العربية، برغم افتقاره إلى مزيد من التقصي والاستيعاب والشمول.

طبع أساس البلاغة منذ عام 1881 مرات عدة، وأفضل طبعاته هي طبعة دار الكتب المصرية الصادرة عام 1922 في مجلدين كبيرين، ثم أعيد إصداره تصويراً عام 1953 اعتماداً على طبعة دار الكتب هذه في حجم أقل ضمن مجلد واحد. كما صدر بعد ذلك أيضاً في طبعات أخرى في مصر وبيروت.

3. مدرسة الجوهري

رائد هذه المدرسة هو الامام الجوهري[1] الذي أوجد طريقة

---

(1) الجوهري (332-400 هـ) أبو النصر إسماعيل بن حمّاد، أصله من مدينة فاراب في

في التأليف تدل على عبقريته وذكائه، خالف فيها الطرائق الأخرى التي عرفت قبله، فأصبحت فيما بعد نبراساً اقتدى به من جاء بعده من مؤلفي أضخم معجماتنا العربية قاطبة. وإذا كان البعض قد اتهم الخليل باقتباس طريقته في ترتيب كتابه على مخارج الحروف الصوتية من اللغة السنسكريتية أو غيرها، «فإن الجوهري سابق متفرد، ولا شك في سبقه وتفرده، لأنه ابتدع نظاماً بكراً سَبَقَ عليه غيره، ولحق به من جاء بعده[1]»، ولا غرابة في ذلك، فهو عالم شديد الذكاء، ولوع بالابداع والابتكار، اكتسب ثقافة مرموقة عن طريق الاحتكاك بعلماء عصره من جهة، وعن طريق الرحلات المختلفة التي قام بها بين البدو إلى الحضر، وتطوافه في بلاد ربيعة ومضر، والحجاز والعراق، إضافة إلى ذكائه الفطري وفطنته[2].

بلاد الترك. تلقى علومه على أشهر علماء عصره كالسيرافي، والفارسي، وخاله الفارابي اللغوي وغيرهم. كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة، وهو إمام في اللغة والأدب. له خط جميل مثل في الجودة. ألَّف كتاب «الصحاح» في نيسابور، وهناك توفي بعد أن اعترته وسوسة عندما صعد إلى سطح جامعها القديم، وضمَّ إليه جناحي باب محاولاً الطيران، فألقى بنفسه من أعلى مكان فيه فمات. له مؤلفات أخرى منها كتاب (العروض)، وكتاب (المقدمة في النحو).

(1) العطَّار، مقدمة الصحاح، المرجع السابق، ص. 120.

(2) د. عبد السميع محمد أحمد، المعاجم العربية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1974. م1 ص. 80.

اعتمد **الجوهري** طريقة الترتيب على حروف الهجاء (الطريقة الالفبائية)، ولكن وفق أواخر الأصول بدلاً من أوائلها.

وتتميز هذه الطريقة بما يلي:

1 ــ تقسيم مواد المعجم إلى ثمانية وعشرين باباً بعدد حروف الهجاء، أولها باب الهمزة، وآخرها باب الياء.

2 ــ تسمية الحرف الأخير من أصل الكلمة باباً.

3 ــ تسمية الحرف الأول من أصل الكلمة فصلاً.

4 ــ تجزئة كل باب من الأبواب إلى ثمانية وعشرين فصلاً [1].

5 ــ دمج الواو والياء في باب واحد، لأن الألف المقصورة أصلها ياء أو واو، وذلك بغية تسهيل إرجاعها إلى أصلها، مع تأخير الألف اللينة غير المهموزة ولا المنقلبة عن واو أو ياء إلى مابعد باب الواو والياء.

6 ــ خالف في الفصول ما اتبعه في الأبواب بخصوص الواو، فلم

---

(1) هذا العدد من الفصول في كل باب من أبواب الكتاب هو عدد نظري فقط، لأن مادَّة اللغة لها طبيعتها الخاصة، إذ تكثر في باب وتقل في آخر، فالباب الأخير مثلاً وهو باب الألف اللينة لا مفصول فيه، بينما جاءت معظم الفصول في معجم الصحاح، وغيره ممن اتبع هذه الطريقة، أقل من ثماينة وعشرين فصلاً في كل باب، ومن ثم فإن مجموع مفعول الصحاح هي 632 فصلاً فقط في مجموع الكتاب.

يجمع بينها وبين الياء، ولكنه فصل بينهما فصلاً واضحاً عندما قدَّم الواو على الهاء ثم الياء.

7 ـــ راعى في ترتيب الألفاظ داخل الفصول جميع حروف الكلمة الواحدة، وذلك على ترتيب الالفباء.

وهكذا يكون الجوهري قد رتَّب الألفاظ تبعاً لأواخرها أي لحرفها الأخير، على عكس ما رأينا عند أصحاب المعجمات قبله، كما أهمل نظام التقاليب والأبنية التي اعتمدتها معظم تلك المعجمات، وظلَّت تتخبط بها سنين طويلة، وبذلك خلَّص المعجم العربي من تعقيداتها، وبلغ بها مرتبة أفضل بكثير من حيث التهذيب والتبويب، هداه إليها علمه الواسع بالصرف، وانشغاله به.

يقول الجوهري حول طريقته وترتيبه هذا في مقدمة كتابه الصحاح ما يلي: «أودعت كتابي هذا ما صحَّ عندي من هذه اللغة... على ترتيب لم أسبق إليه، وتهذيب لم أغلب عليه، في ثمانية وعشرين باباً، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلاً على عدد حروف المعجم وترتيبها، إلَّا أن يهمل من الأبواب جنس من الفصول[1]».

(1) معجم الصِّحاح للجوهري، مصر، دار الكتاب العربي، 1956، م 1، ص. 33.

ويذهب الرازي في مقدمة مختار الصحاح كما ذهب غيره إلى القول بأن الجوهري اعتمد الترتيب على أواخر الاصول لاضطرار الناسّ في الأغلب إليه، وليسهل على الشعراء والكتَّاب النظم والنثر، وفضلاً عن ذلك، «فإن أي ترتيب لابد أن يخضع لنظام الزوائد والأصول من الحروف في المفردات، ولقد أدَّى هذا إلى الارتباك أحياناً، خصوصاً في الرباعي والخماسي حيث يختلف موضع الكلمة في القاموس تبعاً لاعتبار أي الحروف يكون الزَّائد وما موضعه. وأنَّه قد يكون من الصعب تمييز ذلك في أول الكلمة ووسطها في بعض الأحيان، على حين أن الزوائد في الآخر تكاد تكون محصورة في علامتي التثنية والجمع، وعلامة التأنيث من تاء أو ألف[1]».

إن ما ذهب إليه الرازي وغيره من العلماء في آرائهم حول طريقة الجوهري تحمل جانباً من الصحَّة، ولكنها آراء ضعيفة، لأن هذا العالم الفذ لم يؤلف معجمه للشعراء والكتاب فقط، وهي فئة محدودة من الناس، وإنما ألَّفه للناس جميعاً، «دون أن ينظر إلى

(1) د. عبد الله درويش، المعاجم العربية، القاهرة، مطبعة الرسالة، 1956، ص. 94-93.

طائفة واحدة يؤثرها بعمله العظيم[1] » ، لذلك نميل إلى الرأي الثاني السابق الذكر ، والقائل بأن الدافع إلى إيثار هذه الطريقة في الترتيب على أواخر الأصول هو خصائص الكلمة العربية التي تتميز بالاشتقاق ، كما أن الحرف الأخير من أصول الكلمات العربية ، لا يتغير كتغير الحرف الأول منها على الأوزان الصَّرفية ، فالتغير يلحق (فعل) مثلاً قبل لام الكلمة مثل (فعل ، فاعل ، انفعل ، افتعل ، انفعل ، تفاعل ، افعوعل) فالحرف الأخير منها ثابت ، وإذا ضعِّف انتقل من باب إلى باب مثل كلمة (جلبب) انتقل من الثلاثي إلى الرباعي ، وبذلك تكون طريقة الجوهري في هذا السياق هادية مأمونة[2] .

التزم الجوهري التسلسل الهجائي الكامل داخل الفصول دون اعتبار لنظام الأبنية كما ذكرنا ، فهو يرتب الألفاظ داخل الفصول ترتيباً هجائياً كاملاً سواء كانت هذه الألفاظ ثنائية ، أم ثلاثية ، أم رباعية ، أم خماسية . فاللفظ الثلاثي عنده يرتب في بابه تبعاً لحرفه الأول ، ثم الثاني ، فالثالث ، فالرابع ، وهكذا بالنسبة

(1) العطّار ، المرجع السابق ، ص . 121 .

(2) المرجع السابق ، ص . 122-123 .

للخماسي، وهي طريقة سهلة متقنة، حقَّ للجوهري أن يفخر بها على من سبقه بقوله: «أما بعد، فإني أودعت هذا الكتاب ما صحَّ عندي من هذه اللغة التي شرَّف الله منزلتها، وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها، على ترتيب لم أُسبق إليه، وتهذيب لم أُغلب عليه... بعد تحصيلها بالعراق رواية، وإتقانها دراية، ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية، ولم آل في ذلك نصحاً، ولا ادَّخرت وسعاً[1]»، وكان الجوهري «قد دخل ديار ربيعة ومضر في طلب الأدب، وإتقان لغة العرب[2]».

انطلاقاً ممَّا تقدم نقول أنه إذا أردنا استخراج كلمة من أحد معجمات الباب والفصل نعمل أولاً على تجريدها من الزوائد، ثم ننظر إلى الباب أولاً، أي إلى حرفها الأخير وهو باب الكلمة، ثم ننظر إلى حرفها الأول وهو الفصل. فكلمة (يكتب) مثلاً نجردها من الزوائد فتصبح (كتب) نبحث عنها في حرف الباء (باب الكلمة)، ثم في حرف الكاف (فصل الكلمة).

وكلمة (عاقبة) المصدر (معاقبة)، وزنها مفاعلة، نخرج

---

(1) معجم الصّحاح 1:33.

(2) انباه الرواة 1:194.

الأحرف الزائدة على فعل في الميزان ، ثم نخرج ما يقابلها في الكلمة وهي (عقب) أي أننا نجد معنى (عاقبة) في مادة (عقب) ، وفي باب الباء فصل العين .

وكلمة (رتَّب) وزنها (فعَّل) وهي مزيدة بعين مضعَّفة ، أصلها (رتب) نبحث عنها في باب الباء فصل الراء .

أما كلمة (استعمار) فوزنها (استفعال) ، وهي مزيدة ، نجردها فتصبح (عمر) ، ونجدها في باب الراء فصل العين .

وهكذا فقد خطا الجوهري في طريقته المبتكرة هذه[1] بالمعجم العربي خطوة كبيرة نحو الأمام ، وخلّصه من كثير من التعقيدات ، وهي خطوة رائدة اقتدى بها عدد من علمائنا الأجلاء الذين قدَّموا لنا أضخم معجماتنا العربية قاطبة حتى الآن ، وستكون موضوع حديثنا فيما يلي من صفحات .

---

(1) نظم بعضهم بيتان من الشعر تسهيلاً لحفظ هذه الطريقة : —

إذا رمت كشفاً في الصِّحاح للفظة
فآخرها للباب والبدء للفصل
ولاتعتمد في بدئها وأخيرها
مزيداً ، ولكن اعتمادك للأصل

1.3 ـــ الصِّحاح

يعد معجم الصِّحاح نموذجاً حسناً لازدهار حركة التأليف المعجمي خلال القرن الرابع الهجري. ولئن كان همُّ أصحاب المعجمات قبله إحصاء مفردات اللغة وتجميعها كل قدر طاقته وعلمه، مع اهتمام بعضهم بالنادر الغريب، وبعضهم الآخر بالجمهور من كلام العرب، فإن همَّ الجوهري انحصر في جمع الصحيح منها، إذ رأى أن العربية دخلها مع الزمن ماليس منها بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الأمم، إلى درجة جعلت الصحيح يشتبه بغيره. وهكذا كان هم الجوهري يتجه نحو جمع ماصحَّ له سماعه من ألفاظ اللغة العربية، وهو مايشير إليه في مقدمة كتابه بقوله: «أودعت هذا الكتاب ما صحَّ عندي من هذه اللغة التي شرَّف الله منزلتها، وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بها[1]»، كما يقول السيوطي «وغالب هذه الكتب لم يلتزم مؤلفوها الصحيح، بل جمعوا فيها ماصحَّ وغيره، وينبهون على مالم يثبت غالباً، وأول من التزم الصحيح مقتصراً عليه الإمام أبو النصر

(1) الصحاح، 1: 33.

اسماعيل بن حمّاد الجوهري[1]»، لذلك سمّاه الصحاح، بفتح الصاد أو كسرها، إذ يقال: «كتاب الصِّحاح بالكسر وهو المشهور، وهو جمع صحيح كظريف وظِراف، ويقال الصَّحاح بالفتح، وهو مفرد نعت كصحيح. وقد جاء بفتح الفاء لغة من فعيل، كصحيح وصَحاح، وشحيح وشَحاح، وبريء وبَراء[2]». وكتاب الصحاح هو خير المعجمات التي سبقته أو عاصرته، لسهولة تناوله والبحث فيه من جهة، وحسن جمعه لألفاظ اللغة العربية من بين الصحيح الذي لا خلاف فيه، واختصاره في الشرح، وترك الفضول الذي لا فائدة فيه من جهة أخرى، فضلاً عن جمال أسلوبه، إضافة إلى بعض المزايا الأخرى التي سنأتي على ذكرها فيما بعد. يقول ابن منظور: «.. وإني لم أزل مشغوفاً بمطالعة كتب اللغة، والإطلاع على تصانيفها، وعلل تصاريفها، ورأيت علماءها ما بين رجلين، إما من أحسن جمعه فلم يحسن وضعه، وإما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه، فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادة الوضع، مع رداءة الجمع... ورأيت أبا النصر اسماعيل الجوهري قد أحسن ترتيب

(1) السيوطي، المزهر، 1: 49.
(2) المصدر نفسه 16: 49.

مختصره، وشهَّرة بسهولة وصفه... فخفَّ على النـاس أمـره، فتناولوه، وقرَّب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه...[1]».

اعتمد الإمام الجوهري في كتابه طريقة ترتيب الألفاظ التي ابتكرها على أواخر الحروف، فسهَّل بذلك وسيلة البحث عن الكلمات المقصودة دون جهد أو عناء، وخلَّص الناس من الطرق المعقَّدة التي سادت المعجمات قبله. وقد أشـار ياقوت الحموي في معجم الأدباء إلى ذلك بقوله: «كتاب الصحاح هو الذي بأيدي الناس اليوم، وعليه اعتمادهم، أحسن الجوهري تصنيعه، وجوَّد تأليفه، وقرَّب متناوله، يدل وضعه على قريحة سالمة، ونفس عالمة، فهو أحسن من الجمهرة، وأوقع من تهذيب اللغة وأقرب متناولاً من مجمل اللغة...[2]»، وماذلك إلاَّ لأنه تخلى عن الكثير من التعقيدات التي عرفتها المعجمات العربية، كالأبنية والتقاليب، وجاء بنظام دقيق بسيط، محكم في آن واحد.

(1) لسان العرب، 1:2-3.

(2) المزهر، 98-99.

التزم الجوهري في كتابه الصواب في النقل، وتحرى الضبط في التدوين حتى لايتسرب الخطأ إلى موادّه، وبيَّن نوع حركات الألفاظ كتابة توضيحاً للصحيح في لفظها، مثل قوله: « الكُداد: بالضم » و« حلَّاب: بالتشديد »، و« الجَحَد: بالتحريك »، وقوله: « حسبته أحسُبه بالضم: إذا عددته، وحسبته صالحاً أحسَبه بالفتح: إذا ظننته، ويقال: أحسِبه بالكسر وهو شاذ[1] ».

ومن أهم مزايا الكتاب أيضاً إشارته إلى الضعيف والمنكر والمتروك والرديء من اللغات، مثال ذلك قوله: « جرعت الماء بالفتح، لغة انكرها الأصمعي »، وقوله « أعقَّت الفرس فهي عقوق، ولايقال مُعِقّ إلاَّ في لغة رديئة[2] ». كذلك إشارته إلى العامي والمولد والمعرَّب، عندما ذكر كثيراً من الكلمات المولدة مثل الطرش، العجَّة، ومئات من الكلمات المعرَّبة مثل الدولاب، الدهليز، الصك وغيرها، إضافة إلى النوادر وألفاظ الأضداد، فضلاً عن توجيهه عناية خاصة لمسائل النحو والصرف وفقه اللغة حين عرض في أكثر من مكان للعلاقة بين الألفاظ ومعانيها، وللفوارق الدقيقة بين الكلمات، وعنايته أيضاً بإيراد الصيغ المختلفة

(1) انظر الصحاح، المواد التالية: كدد، حلب، جحد، حسب.

(2) انظر الصحاح، المواد التالية: جرع، عقق.

للفظ الواحد، كأن يقول مثلاً «**الرقاد النوم، وقد رقد يرقد رقداً ورقوداً ورقاداً**»، أو أن يقول: «الرشاد: خلاف الغي، وقد رشد يرشُد رشداً، ورشِد بالكسر يرشد رَشَداً[1]».

وقد استشهد الجوهري في شرح الألفاظ بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وبالشعر الرفيع، والمأثور من أقوال العرب، وجمع الأقوال المختلفة حول المفردات في نسق واحد دون إطالة، كما تجاوز طريقة إسناد الأقوال إلى أصحابها، وهي إن كان لها ما يبررها قبله، فلم تعد لها تلك الأهمية في عصره، بل أخذت تثقل على القاري الباحث، ولم ينس أن يوجّه عنايته لأعلام القبائل والأشخاص والأماكن.

يؤخذ على الكتاب اقتصاره على الصحيح وتركه ما لم يصحّ عنده، وهي ميزة ومأخذ في آن واحد، لأنه ترك ألفاظاً كثيرة صحيحة في العربية لم يذكرها، ويشير ابن منظور إلى ذلك بقوله: «غير أنه [كتاب الصحاح] في جوّ اللغة كالذرّة، وفي بحرها كالقطرة[2]»، كما يشير الفيروزابادي إلى نفس الموضوع بقوله:

(1) انظر الصحاح، المواد التالية: رقد، رشد.

(2) لسان العرب، 1: 3.

«فاته [أي الجوهري] ثلثا اللغة أو أكثر، إما بإهمال المادة، أو بترك المعاني، الغريبة النادرة[1]».

ويؤخذ عليه أيضاً وقوعه أحياناً في التصحيف والتحريف بالنسبة للمواد اللغوية والشواهد الشعرية على حد سواء، إضافة إلى بعض الأخطاء في الشرح والتفسير، أو نقل أقوال العلماء بغير دقة[2]».

ولكن بالرغم من هذه المآخذ، فقد كان أثر الكتاب كبيراً عند الناس من حيث التقدير والاعجاب[3]، أو من حيث إقبال

---

(1) القاموس المحيط، المقدمة.

(2) انظر العطار، مقدمة الصحاح، المرجع السابق، ص. 134-148.

(3) قال الكناني المقدسي أديب الشام في مجال الاعجاب بالكتاب:

من قال قد بطلت صحاح الجوهري ... لما اتى القاموس فهو المفتري

قلت اسمه القاموس وهو البحر إن ... يفخر، فمعظم فخره بالجوهري

وقال أبو محمد اسماعيل بن محمد النيسابوري أيضاً في هذا المجال:

هذا كتاب الصحاح سيد ما ... صنِّف قبل الصحاح في الأدب

يشمل أنواعه، ويجمع ما ... فرِّق في غيره من الكتب

كما قال غيرهم أبياتاً شعرية جميلة في مدح الكتاب، وذكر محاسنه.

الناس عليه، ودراسته ونقده، وتكملته وحفظه والتعليق عليه. فقد كتب عشرات الدراسين حوله، منهم محمود بن أحمد الزناجي (ت. 656هـ) الذي وضع حوله كتاباً أسماه «مختار الصِّحاح» بعد أن حذف منه الشواهد ماعدا القرآنية منها، كما حذف بعض المعاني مع بعض المواد، فضلاً عن التعليل الصرفي والنحوي، وبعض المشتقات مثل المضارع من الأفعال، كذلك حذف الاستطرادات وما إليها، بينما حافظ على أكثر عبارات الصحاح وعلى أسماء الأماكن في مواده.

ووضع محمد بن أبي بكر الرازي (ت. 760هـ) كتاباً أسماه أيضاً «مختار الصحاح» رمى فيه إلى اختيار الألفاظ الشائعة الاستعمال منه لتكون في متناول المحتاج إليها من الباحثين، كما أضاف إليه ألفاظاً ليست من أصل الكتاب بسبب الحاجة إليها في عصره. وقد حذف على سبيل الإختصار كثيراً من الصيغ وبخاصة ما يتعلق منها بالأعلام أو أقوال اللغويين أو الأخبار المختلفة حول الألفاظ، وكثيراً من الشواهد الشعرية، وبعض الشواهد القرآنية.

كما ألَّف محمود بن أحمد الزنجاني حوله كتاب «تهذيب الصحاح»، بينما قام الأستاذ محمود خاطر حديثاً بتحويل كتاب

«مختار الصحاح» للرازي على أوائل الأصول بدلاً من أواخرها تسهيلاً لاستخدامه، وكان عمله هذا مفيداً كل الفائدة.

ومن بين العلماء الذين ألَّفوا حول الصحاح، أو أكملوه، ونقدوه، وعلَّقوا عليه الإمام البرمكي، والهروي، وياقوت الموصلي، وابن برِّي، والصغاني، والقفطي، والسُّيوطي، والفيروزابادي، وابن منظور، وغيرهم، كما ترجم الكتاب إلى اللغتين الفارسية والتركية مع ترك الشواهد القرآنية والحديثية باللغة العربية، وهذا كله إن دلَّ على شيء، إنما يدل على مالقي الكتاب من المجد والشهرة والعناية.

وهذه بعض الأمثلة من الكتاب توضح طريقته في الشرح والتعليق، والضبط والشواهد. يقول الجوهري في شرح مادة (عجَّ) باب الجيم فصل العين ما يلي: «العج: رفع الصوت، وقد عجَّ، يعجّ عجيجاً. وفي الحديث: أفضل الحج العج والثج. وعجج أي صوت، ومضاعفته دليل على التكرار فيه.

والعُجَّة بالضم: هذا الطعام الذي يتخذ من البيض، أظنه مولداً، والعُجاج: الغبار والدخان أيضاً، والعجاجة أخص منه.

والعجاجة: الابل الكثيرة العظيمة، حكاه أبو عبيد عن

الفراء، وأعجت الريح وعجَّت : اشتدت وأثارت الغبار ، ويوم مُعج وعجاج، ورياح معاجيج ضد مهاوين. وعججَّت البيت دخاناً فتعجج... والعجعجة في قضاعة يحولون الياء جيماً مع العين : هذا راعج خرج معج ، أي هذا راعي خرج معي[1] » .

كما يقول في شرح مادة (مرس) باب السين فصل الميم مايلي :

مَرَسَ: المرسة : الحبل والجمع مرس، وجمع مرْس وأمراس والمرس أيضاً مصدر قولك مرست البَكَرَة بالكسر تمرِس مرساً وهي بكرة مروسٌ إذا كان ينتسب حبلِها بينها وبين القعر .

قال الشاعر :

درنـــــا ودارت بكـــــــرةٌ نخيس
لا ضيقـــــــــة المجرى ولا مروسُ[2]

ويقول أيضاً في شرح مادة (ليت) باب التاء فصل اللام :

«ليت : كلمة تمن، وهي حرف تنصب الاسم وترفع الخبر ، مثل

---

(1) انظر الصحاح ، مادة عجج .

(2) انظر الصحاح، مادة مرس .

كان وأخواتها، لأنها شابهت الأفعال بقوة ألفاظها، واتصال أكثر المضمرات بها. وبمعناها تقول: ليت زيداً ذاهب. وأما قول الشاعر[1]: ياليت أيام الصِّبا رواجعا فإنما أراد: ياليت أيام الصِّبا لنا رواجعَ، نصبه على الحال. وحكى النحويون أن بعض العرب يستعملها بمنزلة وجِدْتُ، فيعديها إلى مفعولين ويجريها مجرى الأفعال فيقول: ليت زيداً شاخصاً، فيكون البيت على هذه اللغة.

ويقال: ليتي وليتني، كما قالوا لعلّي ولعلّني، وإنّي وإنّني. قال الشاعر[2]:

كَمُنْيَةِ جابر إذا قال لَيْتي
أصادقُهُ وأُغْرَمُ جُلَّ مالي

واللِيتُ بالكسر: صفحة العنق. وهما ليتان، ولاته عن وجهه يلَوتُه ويِليتُه أي حسيه عن وجهه وصرفه. قال الراجز[3]:

وليلةٍ ذات دجى سرَيتُ
ولم يلتني عن سراها ليتُ

(1) الشاعر هو العجّاج.
(2) الشاعر هو ريد الخيل.
(3) الراجز هو الخدلمي.

أي كم يمنعني عن سراها مانع...

ويقال أيضاً: ماألاتَهُ من عمله شيئاً، أي مانقصه، مثل ألتهُ، قال الفِرَّاء وأنشد[1].

ويأكلــن ما أعنَــى الوَلــيُّ فلــم يُلِتْ
كأن بحافــات النِهــاء المزارعــا

وقوله تعالى (ولات حين مناص) قال الأخـفش: شبهوا لات بليت، وأضمروا فيها اسم الفاعل. قال: ولا تكون لات إلاَّ مع حين، وقد جاء حذف حين في الشعر...[2]».

صدر معجم الصِّحاح أول الأمر في مجلدين عن مطبعة بولاق المصرية، ثم نشر نشراً علمياً متقناً عام 1956م في ستة مجلدات بتحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور العطَّار الذي قدَّم له بمقدمة جيدة مطوَّلة. ثم صدرت هذه الطبعة الأخيرة ثانية عن دار العلم للملايين في بيروت عام 1979.

قام الأساتذة نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي في العصر

(1) البيت لعدي بن زيد.
(2) الصحاح، 1: 264.

الحديث بتجديد هذا الكتاب ، واصداره وفق أوائل الأصول ضمن مجلدين من القطع الضخم عام 1974 .

كما طبع مختار الصحاح للرازي أوّل مرة بمطبعة بولاق عام 1282 هـ ، ثم مرّة ثانية في المطبعة الخيرية بالقاهرة عام 1308 هـ . كذلك قامت وزراة المعارف المصرية بطبع مختار الصِّحاح المرتب على أوائل الأصول لمحمود خاطر . أما كتاب « تهذيب الصحاح » للزنجاني فقد صدر عن دار المعارف بالقاهرة بتحقيق عبد السلام هارون ، وأحمد عبد الغفور العطار عام 1952 .

نموذج من كتاب الصحاح

يقول الجوهري في شرح مادة (شرب) :

« شَرِبَ الماء وغيره شُرْباً وشَرْباً . وقرِيءَ : (فَشَارِبُون شُرْبِ الهيم) بالوجوه الثلاثة . قال أبو عبيدة : الشَرْبُ بالفتح مصدرٌ ، وبالخفض والرفع إسمان من شرِبت .

والتَشْرَابُ : الشُرْبُ .

والشَرْبَةُ من الماء : ما يُشْرَبُ مرةً . والشَرْبَةُ أيضاً : المرَّة الواحدة من الشرب .

والشِربُ بالكسر : الحظُّ من الماء . وفي المثل : (آخِرُها أقلُّها شِرْباً) ، وأصله في سَقْيِ الإبل ، لأنَّ آخرها يَرِدُ وقد نُزِف الحوضُ .

والشَرْبُ : جمع شارب ، مثل صاحب وصَحْبٍ ، ثم يجمع الشَرْبُ على شُروبٍ . وقال الأعشى :

هو الـــــواهب المُسْمِعَــــاتِ الشُرْ
ب بين الحريـــــر وبين الكَتَـــــنْ

والمِشْرَبَةُ بالكسر : إناء يُشْرَبُ فيه .

والمَشْرَبَةُ بالفتح: الغُرفَةُ، وكذلك المَشْرُبَةُ بضم الراء. والمشارب: العَلالي، وهو في شِعْرِ الأعشى[1].

والشِرِّيبُ: المولع بالشراب، مثل الخميِّر. والمَشْرَبَةُ، كالمَشْرَعَةُ. وفي الحديث: (ملعونٌ من أحاط على مَشْرَبَةٍ). والمَشْرَبُ: الوجه الذي يُشْرَبُ منه، ويكون موضعاً، ويكون مصدراً.

أبو عبيدة: يقال ماءٌ مشروبٌ وشَرِيب للذي بين المِلَح والعذب.

والشَرِيبَةُ: من الغنم: التي تصدرها إذا رَوِيَتْ فتتبعها الغَنَمُ.

وشَرِيبُكَ: الذي يُشَارِبُكَ ويورد إبلَهُ مع ابلك. قال الراجز:

إذا الشَرِيبُ أخَذَتْهُ أَكَّهْ
فَخَلِّهِ حتى يَبُكَّ بكَّهْ[1]

---

(1) بيت الأعشى الذي أراده هو:

له درمك في رأسه ومشارب
ومسك وريحان وراحٌ تصفن

(1) بكَّ: الرجل يبكُّ بكاً افتقر وخشن بدنه شجاعة، والثوب حرقه، والشيء فرقه. بكَّه: لغة في مكَّة أو اسم ما بين جبليها، أو للمطاف، قيل سميت بذلك لدقَّها أعناق الجبابرة، أو لازدحام الناس بها.

وهو فَعِيل بمعنى مفاعِل، مثل نديمٍ وأكيلٍ وتقول: شَرَّب مالي وأكَّله، أي أطعمه للناس. وظل مالي يُؤَكَّل ويُشَرَّبُ، أي يرعى كيف شاء.

وشرَّبتُ القِرْبَةَ، أي جَعَلْتُ فيها وهي جديدةٌ طيناً وماءً، ليطيبَ طعمها.

والشَرَبَةُ، بالتحريك: حوض يُتَّخَذُ حوله النخلة تَتَرَوَّى منه، والجمع شَرَبٌ وشَرَبَاتٌ. قال زهير:

يَخْرُجْـنَ من شَرَبَـاتٍ ماؤُهـا طحِـلٌ
على الجُـذُوعِ يَخَفْـنَ الغَـمَّ والغرقـا

والشوارب: مجاري الماء في الحَلْقِ. وحِمـارٌ صَخِبُ الشَوارب من هذا، أي شديد النَهيق. وقد طَرَّ شَاربُ الغلام، وهما شاربان، والجمع شوارب.

أبو عبيد: أَشْرَبْتُ الإبل حتّى شَرِبَتْ.

وتقول: أشرَبْتني مالم أشرْب، أي ادَّعيت عليَّ مالم أفعل.

والإشراب: لونٌ قد أُشْرِبَ من لون آخر.

يقال: أُشرِبَ الأبيضُ حمرةً، أي علاهُ ذلك. وفيه شُرْبَةٌ من حُمْرَةٍ، أي إشرابٌ.

ويقال أيضاً: عنده شُرْبَـةٌ من ماءٍ أي مقدار الرِيِّ، ومثله الـحُسْوَةُ والغُرْفة واللقمة.

وأُشرب في قلبه حُبَّهُ، أي خالطَه. ومنه قوله تبارك وتعالى: (وأُشْرِبُوا في قلوبهم العِجْلُ) أراد حُبَّ العِجْلِ، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه.
والشاربةُ: القومُ على ضفة النهر ولهم ماؤه. ورجل أُكَلَةٌ شُرْبَـةٌ، مثال هُمَزَةٍ: كثير الأكل والشُرْبِ، عن ابن السكيت.
وتَشَرَّبَ الثوبُ العَرَقَ، أي نَشِفَهُ.
واشرأبَّ للشيء اشرئباباً: مدَّ عنقه لينظر.
والشُرَأْبِيَةُ، بضم الشين: اسمٌ من اشرأبَّ، كالقُشَعْرِيـرَةِ من اقشعَرَّ.
وشَرَبَّةٌ، بتشديد الباء: موضعٌ.
ويقال: مازال فلانٌ على شَرَبَّةٍ واحدة، أي على أمر واحد.
وشُرْيُبٌ بالضم: موضعٌ، وهو في شعر لبيد بالهاء:
هل تَعرِفُ الدار بسَفْحِ الشُرْبُبَهْ[1]».

---

(1) الصحاح، بيروت، دار العلم للملايين، ص. 153-154.

2.3 ــ لسان العرب

وضعه ابن منظور [1]، وهو أضخم المعاجم العربية المعروفة حتى الآن، وأكثرها اسهاباً، ومن أغزرها مادة، حتى إنه يتجاوز حدود المعجم اللغوي ليصبح أشبه بموسوعة أدبية لغوية عامة، لما تضمَّنه من معارف شتى في فروع الثقافة العربية.

كانت غاية ابن منظور من تأليف كتابه هذا استيعاب أكبر قدر من ألفاظ اللغة، وشرحها على أفضل ترتيب معروف حتى عصره، وهو الترتيب الذي ابتكره الجوهري على الباب والفصل، فاعتمده بدقة، وحكاه بعينه دون تغيير في الترتيب، وهو في هذا الجانب مقلد لا مبتكر. وقد رأى أن المعجمات التي سبقته لاتجمع بين احسان الوضع، وإحسان الجمع، وفي هذا

---

(1) ابن منظور (630 - 711 هـ) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم، المعروف بابن منظور الأنصاري نسبة إلى أحد جدوده. ولد بمصر، وعاش معظم حياته فيها. خدم في ديوان الإنشاء عند المماليك، وولي قضاء طرابلس. له شعر جميل. ألّف عدداً كبيراً من الكتب يقال إنها بلغت (500) كتاب، من أهمها (لسان العرب)، و(مختار الأغاني) و(أخبار أبي نواس)، كما اختصر العقد الفريد والتواريخ الطوال. قال الصفدي عنه: «لا أعرف في الأدب وغيره كتاباً مطولاً! إلاَّ وقد اختصره».

يقول: «وإني مازلت شغوفاً بمطالعة كتب اللغة، والاطلاع على تصانيفها، وعلل تصاريفها، ورأيت علماءها بين رجلين: إما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، وإما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه فلم يفد حسن الجمع مع اساءة الوضع، ولا نفعت إجادة الوضع مع رادءة الجمع[1]»، وهكذا أراد المؤلف أن يجمع بين الحسنين، حسن الوضع، وحسن الجمع، أي سلامة العرض من حيث التبويب والتنظيم، والاستيعاب والاستقصاء. وقد وجد طريقة الجوهري أفضل طرق الوضع فاعتمدها، ونظر إلى كتب اللغة غزيرة المادة كتهذيب الأزهري، ومحكم ابن سيده وغيرها فاستقى منها، فهو لم يجد في كتب اللغة «أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن علي بن اسماعيل بين سيده الاندلسي رحمهما الله، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيّات الطريق. غير أن كلاً منهما مطلب عسر المهلك، ومنهل وعر المسلك، وكأن واضعه شرع للناس مورداً عذباً، وجلاهم عنه، وارتاد لهم مرعى مريعاً، ومنعهم منه. قد أخر وقدم،

(1) لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1968، المقدمة، ص. 7 .

وقصد أن يعرب فأعجم. فرّق الذهن بين الثنائي والمضاعف والمقلوب، وبدّد الفكر باللفيف والمعتل، والرباعي والخماسي، فضاع المطلوب... ورأيت أبا نصر اسماعيل بن حمّاد الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره، وشهّره بسهولة وضعه... فخفّ على الناس أمره فتناولوه، وقرّب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه[1]».

وفوق ذلك، فقد اعتمد المؤلف أيضاً على كتابين هامين هما حواشي ابن برّى، والنهاية في غريب الحديث لابن الاثير، وبذلك يصبح مجموع كتب اللغة التي اعتمدها أساساً في تأليف كتابه، وهي من أهم معجماتنا العربية، وأكثرها اتساعاً، أفرغها ابن منظور في كتابه وفق تنظيم محكم، وأورد جميع ما فيها تقريباً من صيغ ومعانٍ وشواهد، مع ميل لحذف الاسانيد، لا سيّما ما ورد ا في التهذيب والحواشي، وقد أشار المؤلف إلى ذلك بقوله: س لي في هذا الكتاب فضيلة أمت بها، ولا وسيلة أتمسك سوى أني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم، ـطت القول فيه، ولم أشبع باليسير، وطالب العلم منهوم. فمن ـ فيه على صواب أو زلل، أو صحّة أو خلل، فعهدته على

---

[1]) لسان العرب، 1:7-8.

المصنِّف الأول، وحمده وذمه لأصله الذي عليه المعوَّل، لأني نقلت من كل أصل مضمونه، ولم أبدل منه شيئاً ... فليعتد من ينقل عن كتابي هذا أنه ينقل عن هذه الاصول الخمسة، وليغن عن الاهتداء بنجومها، فقد غابت لما طلعت شمسه»[1]. ولكن لا ينبغي أن نفهم من هذا الكلام أنه اعتمد عملية النقل فقط، صحيح أنه نقل شروح المواد اللغوية كما وردت في هذه الكتب، ولكنه أضاف اليها أشياء كثيرة من شروح وشواهد قرآنية وحديثية وشعرية، ومن مأثور كلام العرب، وحوادثهم، وقد بذل في ذلك جهداً كبيراً، حتى أخرج لنا كتاباً من أكبر معجماتنا اللغوية قاطبة، وأكثرها جمعاً لألفاظ اللغة، وأوفاها شرحاً لمختلف المعاني التي تعبر عنها هذه الألفاظ[2]، لأن صاحبه عني بتفسير المفردات على أفصح اللغات، وأورد الوجوه واللغات والروايات المختلفة حولها، وأكثر من المترادفات والنوادر والشواهد من القرآن والحديث وغيرهما، ولعلَّ

---

(1) لسان العرب، 1:3-4 .

(2) قال أبو حيان إن ابن منظور أنشده عندما انتهى من تأليف كتابه :

ضَع كتـابي إذا أتـاك إلى الأر ض، وقبِّلـه في يديك لمامـا

فعلى ختمـه، وفي جانبيـه قبـل قد وضعتهن تؤامـا

السبب في ذلك يعود إلى شغفه بتدوين ما عثر عليه من كتب الأقدمين .

قال المرتضى الزبيدي في مقدمة كتابه : «إن اللسان يشتمل على ثمانين ألف مادة ، وتحت كل مادة كثير من المشتقات ، وهذه المشتقات من الصعب تعدادها في اللغة العربية لكثرتها[1]» .

صدَّر ابن منظور كتابه بمقدمة تقع في حوالي ثلاث صفحات افتتحها بحمد الله ، ثم تحدث فيها عن شرف اللغة العربية ، وارتباطها بالقرآن الكريم ، ثم نقد التهذيب والمحكم والصحاح ، ثم أوضح منهجه في تأليف كتابه ودوافع ذلك ، وبعدها مهَّد للكتاب بتفسير الحروف المقطعه في أوائل بعض سور القرآن الكريم ، وتحدث عن ألقاب المعجم ومعانيه وحروفه ، وطبائعها ، ودلالاتها ، وإعرابها ، وتذكيرها ، وتأنيثها ، وجمعها ، وذلك تبركاً بتفسير كلام الله عزَّ وجل قبل البدء في شرح المواد اللغوية ، ولأن الحروف المقطعة إنما ينطق بها مفرَّقة غير مؤلفة ولا منتظمة . وهو على عادته في التواضع العلمي يقول إنما نقل ذلك عن الأزهري الذي وضعها في نهاية كتاب التهذيب ، بينما وضعها

(1) تاج العروس ، 1:9 .

هو في البداية مع بعض الحذف والإضافة، فهو يرى أن وضعها بين المقدمة وصلب الكتاب هو تبرك بالقرآن الكريم، وارتباط اللغة العربية به من جهة، ويجعلها أقرب إلى المطالع وهي في البداية من جهة ثانية.

يؤخذ على اللسان اسهابه المفرط في شرح المواد اللغوية، وهو أمر أوقعه في كثير من الفوضى والاضطراب، كما يؤخذ عليه اهماله لعدد من أهم كتب اللغة كجمهرة ابن دريد، وبارع القالي، ومقاييس ابن فارس، ومحيط ابن عبَّاد، ففاته بذلك كثير من الصيغ والمعاني والشواهد والنقود التي وردت في هذه المعاجم[1]. ولكن بالرغم من هذه المآخذ يبقى كتاب اللسان أحد أهم معجماتنا العربية قاطبة، وأكثرها استيعاباً وتقصياً، وهو ماعبَّر عنه المؤلف بقوله: «فجاء هذه الكتاب بحمد الله واضح المنهج، سهل السلوك... عظُم نفعه بما اشتمل عليه، وغني بما فيه من غيره، وافتقر غيره إليه ، وجمع من اللغات والشواهد والأدلَّة ما لم يجمع مثله مثله[2]».

---

(1) انظر د. حسين نصار، المعجم العربي، المرجع السابق، ج 2، ص. 571-572.

(2) لسان العرب، 1: 3.

يقول ابن منظور في شرح مادة (شبَّ) :

« شب ، شبب ، الشباب : الفتوة والحداثة ، شبَّ ، يشب ، شباباً ، وشبيبة ، وفي حديث شريف : تجوز شهادة الصبيان على الكبار ... أي يستشهد بمن شبَّ منهم وكبر إذا بلغ ، كأنه يقول : إذا تحمَّلوها في الصبا ، وأدوها في الكبر . والأسم الشبيبة ، وخلاف الشيب والشباب جمع شاب وكذلك الشبان .

يقول الأصمعي : شبَّ الغلام يشب شباباً وشبوباً وشبيباً ... ورجل شاب ، والجمع شبان .

سيبويه يقول : أجرى ذلك مجرى الاسم نحو : حاجر وحجران . والشباب اسم للجمع ، قال :

ولقد غدوت بسابح مرح
ومعي شباب كلهم أخيل

وامرأة شابة من النسوة الشواب ، زعم الخليل أنه سمع أعرابياً يقول : إذا بلغ الرجل الستين ، فإياه وإيا الشواب ، وحكى ابن الاعرابي : رجل شب ، وامرأة شبَّه يعني من الشباب ، وقال أبو زيد يجوز نسوة شبائب في معنى شواب ، وأنشد :

عاجزاً يطلبن شيئاً ذاهبا
يخصبن بالحناء شيباً شائبا
يقلن مرَّة كنا شبائبا[1] .

هكذا تضطرب صيغ المادة عند ابن منظور، ويتفرق تفسيرها نتيجة نقله عن مصادر أخرى، وعن أقوال العلماء المتعددة حول هذه المادة. فصيغة الشباب تكررت عنده في هذا النص أربع مرَّات في أماكن مختلفة، وهو تشتيت لمعنى الكلمة الواحدة. وهكذا ينبغي على الباحث في هذا الكتاب أن يقرأ المادة بأكملها حتى يستوفي شرح الكلمة التي يبحث عنها.

صدرت أول طبعة من لسان العرب عن مطبعة بولاق في القاهرة عام 1892 في عشرين جزءاً، ثم صدرت هذه الطبعة مصورة في مصر عام 1965، وبعدها صدر اللسان في طبعة جديدة عن دار صادر ودار بيروت عام 1968 في 15 مجلداً، وهي طبعة مشوبة ببعض الأخطاء في الرسم والضبط.

وقد صدر اللسان في حلَّة عصرية جديدة عن دار لسان

(1) لسان العرب، مادة: شبب.

العرب في بيروت عام 1970 في ثلاثة مجلَّدات ضخمة تحت اسم «لسان العرب المحيط» بعد أن قلب يوسف خيَّاط ونديم مرعشلي ترتيبه ليصبح على أوائل الأصول بدلاً من أواخرها، مع الاحتفاظ بشروحه للمواد اللغوية وأصولها، وهو جهد كبير جعل أضخم معجماتنا العربية سهل الاستخدام. وتمتاز هذه الطبعة بإضافة المصطلحات العلمية والفنيَّة التي أقرَّتها المجامع العلمية واللغوية العربية، إليه فضلاً عن مجموعة من الخرائط والمصوَّرات التاريخية والجغرافية الحقت في آخر الجزء الثالث، فجعلت منه أشبه بالموسوعة الحديثة. وتقع هذه الطبعة فيما يزيد عن (4000) صفحة من القطع الكبير.

نموذج من لسان العرب

يقول ابن منظور في شرح مادة (شرب) :

« شرب : الشُّرب : مصدر شَرِبْتُ أشْرَبُ شَرْباً وشُرْباً .

ابن سيده : شَرِبَ الماء وغيره شَرْباً وشُرْباً وشِرباً ، ومنه قوله تعالى : فشاربون عليه من الحَميمِ فشاربون شُرب الهِيمِ ، بالوجوه الثلاثة ، قال سعيد بن يحيى الأُموي : سمعت ابن جريج يقرأ : فشاربون شَرْب الهيمِ فذكرت ذلك لجعفر بن محمد ، فقال : وليست كذلك ، وإنما هي شُربُ الهيمِ ؛ قال الفراء : وسائر القراء يرفعون الشين . وفي حديث أيام التَّشْريق : إنها أيَّام أَكل وشُربٍ ، يروى بالضم والفتح ، وهما بمعنى ، والفتح أقل اللغتين ، وبها قرأ أبو عمرو : شَرْب الهيمِ ، يريد أيام لا يجوز صَومُها ، وقال أبو عبيدة : الشَّربُ بالفتح ، مصدر ، وبالخفض والرفع ، إسمان من شَرِبْتُ . والتَّشرابُ : الشُّرْبُ ، فأما قول أبي ذؤيب :

شَرِبـــــنَ بماء البحــــر، ثم تَرَفَّـــعَتْ
مَتَـــى حَبَشيَّــــاتٍ، لَهُـــنَّ نئيـــجُ[1]

فإنه وصف سحاباً شَرِبنَ ماء البحر، ثم تَصَعَّدْن، فأَمْطَرْن ورَوَّين، والباء في قوله بماء البحر زائدة، إنما هو شَرِبْنَ ماء البحر، قال ابن جني: هذا هو الظاهر من الحالِ، والعُدُول عنه تَعَسُّفٌ، قال: وقال بعضهم شَربن من ماء البحر ، فأوقع الباء مَوْقِعَ من، قال، وعندي أنه لما كان شَرِبْنَ في معنى رَوِينَ، وكان روين مما يتعدَّى بالباء، عَدَّ شَربنَ بالباء، ومثله كثير، منه ما مضَىَ، ومنه ما سيأتي، فلا تَسْتَوْحِشْ منه.

والاسم: الشِّرْبَةُ، عن اللحياني، وقيل: الشَّرْب المصدر، والشِّرْبُ الاسم.

والشَّربة من الماء: ما يُشْرَبُ مرَّةً، والشَّرْبَةُ أيضاً: المرَّة الواحدة من الشّرْبِ.

والشِّرْبُ: الحظ من الماء، بالكسر، وفي المثل: آخرها

---

(1) نيئج: مصدر، يقال للريح نئيج أي مرٌّ سريع الصوت.

أَقَلَّها شِرْباً ، وأصله من سَقْي الابل ، لأن آخرها يرد ، وقد نُزِفَ الحوْضُ ، وقيل : الشِّرْبُ هو وقتُ الشُّرْبِ ، قال أبو زيد : الشِّرْبُ المَوْرِد ، وجمعه أشْرابٌ . قال : والمَشْرَبُ الماء نفسُه .

والشَّرابُ : ماشُرب من أي نوعٍ كان ، وعلى أي حال كان .

وقال أبو حنيفة : الشَّرابُ ، والشَّرُوبُ والشَّريبُ واحد .

يَرْفعَ ذلك إلى أبي زيد .

ورَجلٌ شاربٌ ، وشَروبٌ وشَّرابٌ وشرِّيبٌ : مولع بالشَّراب ، كخميرٍ .

التهذيب : الشَّريبُ المولعُ بالشَّراب ، والشَّرَّابُ : الكثير الشُّرْب ، ورجل شروبٌ : شديد الشُّرْب . وفي الحديث : من شرب الخمر في الدنيا ، لم يشربها في الآخرة ، قال ابن الأثير :

هذا من باب التعليق في البيان ، أراد : أنه لم يدخل الجنَّةَ ، لأن الجنة شراب أهلها الخمرُ ، فإذا لم يَشْرَبْها في الآخرة ، لم يكن قد دَخَلَ الجنةَ .

والشَّرْبُ والشُّرُوبُ: القـوم يَشرَبُــون، ويجتمعــون على الشَّراب، قال ابن سيده: فأما الشُّرْبُ، فاسم لجمع شاربْ، كرَكْبٍ، ورَجْلٍ، وقيل: هو جمع. وأما الشُّروب، عندي، فجمع شاربٍ، كشاهِدٍ وشهودٍ، وجعله ابن الاعرابي جمع شَرْبٍ، قال: وهو خطأ، قال: وهذا ممَّا يضيقُ عنه عِلْمهُ لجهله بالنحو. قال الأعشى:

هو الـــواهب المُسْمِعـــات الشُّرو
ب، بين الحَريـــرِ وبين الكتـــن

وقوله أنشده ثعلب:

يَحْسَبُ أطْمـــاري علـــيَّ جُلُبـــا
مِثْـلَ المناديـــلِ، تُعاطَـــى الأشْرُبـــا

يكون جمع شَرْبٍ، يقول الأعشى:

لها أرجٌ، في البَـــيْتِ، عال كأنما
ألـــمَّ به، من تَجْـــرِ داريـــنَ، أَرْكُبُ

فأرْكُبٌ: جمع رَكْبٍ، ويكون جمع شَاربٍ وراكبٍ، وكلاهما نادر، لأن سيبويه لم يذكر أن فاعلاً قد يكسَّر على أفْعُلٍ.

وفي حديث علي وحمزة، رضي الله عنهما: وهو في هذا البيت في شَرْبٍ من الأنصار، الشَّرْبُ، بفتح الشين وسكون الراء: الجماعة يشربون الخمر.

التهذيب، ابن السكيت: الشِّرْبُ: الماء بعَينِهِ يُشْرَبُ.

والشِّرْبُ: النَّصبُ من الماء.

والشَّريبةُ من الغنم: التي تُصْدرُها إذا رَوِيَتْ، فتَتْبَعُها الغَنَمُ، هذا في الصحاح، وفي بعض النسخ حاشيةٌ: الصواب السَّريبةُ بالسين المهملة. وشارب الرَّجُل مُشارَبَةً وشِراباً: شرب معه، وهو شريبي، قال:

رُبَّ شريب لك ذي حُساسِ
شِرابُه كالحَزِّ بالمواسي

والشَّريبُ: صاحبك الذي يشاربك، ويورد إبلَه معَكَ، وهو شريبَك، قال الراجز:

إذا الشَّريبُ أخذته أكَّهْ
فَخلِّه حتى يَبُكَّ بكَّهْ

وبه فسّر ابن الأعرابي قوله:

رُبَّ شريب لك ذي حُساس

قال: الشَّريبُ هنا الذي يُسقى معك، والحُساسُ: الشؤم والقَتْلُ، يقول: انتِطارُك إيَّاه على الحوضِ، قَتْلٌ لك ولإبلك، قال: وأمَّا نحن فَفَسَّرْنا الحُساسَ هنا، بأنّه الأذي والسَّوْرَةُ في الشراب، وهو شَرِيبٌ، فعِيلٌ بمعنى مُفاعِل، مثل نديم وأكيل. وأَشْـرَبَ الإبل فَشَرِبَتْ، وأَشْرَبَ الإبل حتى شَرِبَتْ، وأَشْرَبْنـا نحن: رويت أبلُنا، وأشرَبْنا، عَطِشْنا أو عَطِشَتْ إبلنا، وقوله:

اسقِني، فإنني مُشْرِب.

رواه ابن الاعرابي، وفسَّره بأنه معناه عطشان، يعني نفسه، أو إبله، قال ويروي: فإنَّكَ مُشْرِب أي قد وجَدْتَ من يَشْرَبُ.

التهذيب: المُشْرِبُ العَطْشان، يقال: اسقِنـي، فإننـي مُشْرِب والمُشْرِبُ: الرجل الذي قد عطشت إبلُه أيضاً. قال: وهذا قول ابن الاعرابي، قال وقال غيره: رَجل مُشربٌ قد شَرِبَت إبله. ورجل مُشْرِبٌ: حان لإبله أن تشرب قال: وهذا عنده من الأضداد.

والمَشْرَبُ : الماء الذي يشرب .

والمَشْرَبَةُ : كالمَشْرَعَةُ ، وفي الحديث : مَلْعُونٌ ملعونٌ من أحاط على مَشْرَبةٍ . المَشْرَبة ، بفتح الراء من غير ضم : الموضع الذي يُشْرَبُ منه كالمَشْرَعَةِ ، ويريد بالإحاطة تملُّكهَ ، ومنعَ غيره منه .

والمَشْرَبُ : الوجه الذي يشرب منه ، ويكون موضعاً ، ويكون مصدراً ، وأنشد :

ويُدْعَى ابنُ مَنْجُوفٍ أمامي ، كأنه
خصيٌّ ، أتى للماء من غَيْرِ مَشْرَبِ

أي من غير وجه الشُّرب ، والمَشْرَبُ : شَرِيعَةُ النَّهر ، والمَشْرَبُ : المشروب .

والشَّرب : اسم لما يُشْرَبُ : شَرِيعَةُ النَّهر ، والمَشْرَبُ : المشروب .

والشَّرب : اسم لما يُشْرَبُ ، وكل شيء لا يُمْضَغُ ، فإنه يقال فيه يُشْرَبُ .

والشَّرُوبُ : ما شُرِبَ . والماء الشَّرُوب والشَّرِيبُ : الذي بين العَذْب والمِلْح ، وقيل الشَّرُوب الذي فيه شيء من عُذوبةٍ ، وقد يشربه الناس ، على مافيه ، والشَّرِيبُ : دونه في العُذوبةِ .

وليس يَشْرَبُهُ الناس إلاَّ عند ضرورة ، وقد تَشْرَبُه البهائم ، وقيل : الشَّرِيب العَذْبُ ، وقيل الماء الشَّرُوب الذي يُشْرَبُ ، والمأْجُ : المِلْحُ ، قال ابن هرمة :

فإنك ، بالقـــــريحة ، عام تمهـــــــي
شروب الماء ، ثم تَعُـــــودُ مأْجـــــا[1]

قال : هكـذا أنشده أبـو عبيـدة بالقــريحة ، والصواب كالقريحة . التهذيب أبو زيد : الماء الشَّرِيب الذي ليس فيه عذوبةٌ ، وقد يشربه الناس على ما فيه . والشَّرُوب : دُونُه في العُذوبةِ ، وليس يَشْرَبُه الناس إلاَّ عند الضَّرُورة . وقال الليث : ماءٌ شَرِيبٌ وشَرُوب فيه مرارة وملوحة ولم يمتنع من الشرب ، وماء شَرُوبٌ ، وماء طعيم بمعنى واحد .

وفي الحديث الشورى : جُرعةٌ شروبٌ أَنْفَـع من عَذْبٍ

(1) مأج : الأحمق المضطرب ، والاضطراب ، والماء الأجاج .

مُوبٍ ، الشَّرُوبُ من الماء الذي لا يشرب إلاَّ عند الضرورة ، يستوي فيه المذكر والمؤنث ، ولهذا وصف به الجُرْعَةَ ، ضرب الحديث مثلاً لرجلين : أحدهما أدوَنُ وأَنْفَعُ ، والآخر أَرفَعُ وأَضرُّ . وماء مُشْرِبٌ : كشروبٍ .

ويقال في صفة بَعير : نِعْم مُعَلَّقُ الشَّربةِ هذا ، يقول : يكتفي إلى منزله الذي يريد بشَرْبةٍ واحدة ، لا يحتاج إلى أخرى .

وتقول شَرَّبَ مالي وأَكَّلَهُ ، أي أَطْعَمه الناس وسقاهم به ، وظَلَّ مالي يُؤَكَّلُ ويُشَرَّب أي يرعى كيف شاءَ .

ورجل أُكَلةٌ وشُرَبةٌ : مثال هُمَزةٍ : كثير الأَكل والشُّرب . عن ابن السكيت .

ورجل شَرُوبٌ : شديد الشُّرْب ، وقومٌ شُرْب وشُرُّبٌ ويومٌ ذو شَرَبةٍ : شديد الحَرِّ ، يشرب فيه الماء أكثر مما يشرب على هذا الآخر . وقال اللحياني : لم تَزَلْ به شَرَبةٌ هذا اليوم أي عَطَشٌ ...[1] » .

(1) لسان العرب، ط . دار صادر ودار بيروت، م 1 ، ص 487—490 .
ملاحظة : لم يكتمل شرح مادة شرب في كتاب اللسان عند هذا الحد ، وقد أكتفينا بهذا القدر .

3.3 القاموس المحيط

ألَّف الفيروزابادي[1] معجمه هذا في بلـدة زبيـد في اليمن، وهو مختصر لمعجم آخر كان ينوي تأليفه اسماه (اللامع المعلم العجاب، الجامع بين المحكـم والعبـاب[2])، غير أنـه عدل عن تأليفه، لأنه خشي أن توافيه المنيَّة قبل اكماله، بسبب اتساعه، لذلك استعاض عنه بتأليف كتابه (القاموس المحيـط[3])، ودليـل

(1) الفيروزابادي (729-817 هـ) أبو طاهر، محمد بن يعقوب، ولد في قرية كرزين في بلاد فارس، تلقى العلم في شيراز، ثم انتقل إلى بغداد. كان كثير التنقل في البلاد الإسلامية، فرحل إلى مصر وسوريا والهند وتركيا، ثم قضى بقية حياته في اليمن. كان على علم كبير بالعلوم الإسلامية إلى جانب علمه باللغة العربية. كان قوي الحافظة، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنوات عاصر تيمورلنك ونال عطاياه. له مصنفات كثيرة تبلغ الأربعين أو الستين، لم يصلنا منها إلاّ القليل، مثل كتاب «سفر السعادة في الحديث والسيرة» وكتاب في تفسير القرآن. أشهر مؤلفاته التي وصلتنا كتاب «القاموس المحيط».

(2) العباب للصغاني (577-650 هـ) ينتمي الكتاب إلى مدرسة البرمكي (الترتيب على أوائل الأصول). المحكم لابن سيده (398-458 هـ) ينتمي الكتاب إلى مدرسة الخليل (الترتيب على مخارج الحروف).

أما سبب اعتماده على هذين الكتابين فلسعتهما واستيعابهما لأكبر مجموعة من ألفاظ اللغة العربية المشروحة.

(3) كلمة «قاموس» تعني البحر الأعظم. وقد استعار المؤلف هذه الكلمة لقاموسه ←

ذلك قوله: «شرعت في كتابي الموسوم باللامع المعلم العجاب، الجامع بين المحكم والعباب، فهما غُرَّتا الكتب المصنَّفة في هذا الباب... وضممت إليهما زيادات امتلأ بها الوطاب... غير أني ضمنته في ستين سفراً يُعْجزُ تحصيله الطلاب، وسُئِلتُ تقديم كتاب وجيز على ذلك النظام، وعمل مفرغ في قالب الإيجاز والإحكام مع التزام إتمام المعاني وابرام المباني، فصرفت صوب هذا القصد عناني، وألفت هذا الكتاب[1]».

اعتمد الفيروزابادي طريقة الجوهري في ترتيب كتابه على الباب والفصل، مع تقديم أبواب الواو والياء على باب الهاء تسهيلاً لاستخراج الكلمات منهما، وذلك لأن الهمزة أو الألف في آخر الكلمة تكون مبدلة عن واو أو ياء مثل (سماء) فالهمزة فيها أصلها واو (سمو)، ومثل (سعى) والألف فيها مبدلة عن ياء (سعي)، مثل (غزا) من (غزو). أما في الفصول فقد قدَّم فصل الواو على

ليدل بها على سعة كتابه، وكثرة استيعابه لألفاظ اللغة المشروحة، وبالنظر للشهرة الكبيرة التي لقيها «القاموس المحيط» فقد اطلقت كلمة قاموس على المعجم اللغوي كلفظة مرادفة لكلمة معجم.

(1) القاموس المحيط، طبعة بولاق، 1: 3.

فصل الهاء أسوة بالجوهري ،. وكان المؤلف كثير الإعجاب بطريقته في التبويب ، وبكتابه في الصحة والاختصار ، فقصد محاكاته في جودة التبويب ، واحسان التأليف ، بالرغم من الملاحظات التي وجهها إلى كتابه الصحاح ، والمآخذ التي أخذها عليه ، والتي ألمح إليها بقوله : « ولما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهري ، وهو جدير بذلك ، غير أنه فاته نصف اللغة أو أكثر ، أما بإهمال المادة ، أو بترك المعاني الغريبة النادرة ، أردت أن يظهر للناظر باديء بدءٍ فضلِ كتابي هذا عليه ، فكتبت بالحمرة المادة المهملة لديه ، وفي سائر التراكيب تتضح المزية بالتوجه إليه[1] » .

أراد صاحب القاموس أن يجمع في كتابه الفصيح والغريب من ألفاظ اللغة ، ويضم شوارد الكلم ، مع تبسيط في العرض ، واختصار في الشرح ، دون أن يخلّ ذلك بالمعنى أو المبنى ، لذلك دوَّن كل ما وقع تحت علمه من فصيح وغريب اللغة العربية ، كما اهتم بذكر أسماء أعلام الفقهاء والمحدثين والمفسرين والصحابة وأعلام العرب ، يستوي في ذلك عنده الرجال والنساء ، وأولى عناية خاصة للنباتات والأشجار والأعشاب ، فذكر خواصها الطبيَّة ، ولم يهمل

(1) المصدر نفسه ، 1: 3 .

الألفاظ الاصطلاحية الطارئة على العلوم والفنون المختلفة، والألفاظ الأعجمية والمولدة والحوشية الغريبة والمماتة التي لمن يحيها الاستعمال، إضافة إلى ذكره أسماء البلدان والأماكن. وقد حذف الشواهد أثناء شروحه ما أمكن ذلك توخياً للإختصار، وفي هذا يقول: «... وألفتُ هذا الكتاب محذوف الشواهد، مطروح الزوائد، معرباً عن الفصح والشوارد، وجعلته بتوفيق الله زُفَراً في زِفْر، ولخَّصت كل ثلاثين سفراً في سفر، وضمنته خلاصة مافي العباب والمحكم، وأضفت إليه زيادات مَنَّ الله تعالى بها وأنعم، ورزقنيها عند غوصي عليها في بطون الكتب الفاخرة...[1]». لذلك جاء كتابه غزير المادة، فهي تفوق ما جاء في الصحاح، ولا تقل كثيراً عما هي عليه في لسان العرب، مع العلم أن حجمه أقل بكثير من اللسان، لأنه كان يميل إلى الاختصار في الشروح، وحذف الشواهد، وطرح الأسانيد كما أسلفنا، فضلاً عن اعتماده الرموز والمصطلحات الخاصة التي وضع رموزاً لها في مقدمته[2].

---

(1) المصدر نفسه، 1:3.

(2) الرموز عنده هي: (م) تعني معروف، (ع) تعني موضع، (ج) تعني جمع، (جج) تعني جمع الجمع، (د) بلدة، (ة) قرية. وقد استخدم هذه الرموز الستة في مواضع كثيرة من كتابه. وقد جمعها بعضهم بقوله:

←

أمّا عدد المواد المشروحة في كتاب «القاموس المحيط» فتصل إلى ستين ألف مادة، بينما تقدر في الصحاح بأربعين ألفاً، وفي اللسان بثمانين ألفاً، لذلك قيل فيه عند ظهوره:

مذ مدَّ مجد الديـــــن في أيامـــــه
من بعض أبحر علمـــه القامـــوسا
ذهـــبت صحـــاح الجوهـــري كأنها
سحـــر المدائـــن حين ألقـــى موسى

وضع المؤلف لنفسه قواعد معينة في ترتيب الصيغ التي تحويها كل مادة، فقد بدأ في كل مادة بشرح الثنائي والثلاثي والرباعي مراعياً الحروف الثاني والثالث من الكلمة، كما قدّم الصيغ

وما جاء في القامـوس رمـز فستـة
لموضعهـم عين، ومعـروف الميم
وجـج لجمـع الجمـع، دال لبلـدة
وقـريتهم هاء، وجمع له الجيم

بينما جمعها بعضهم في خمسة أخرى بقوله:

ومـا فيـه من رمـز فخـمسة أحـرف
فميم لمعـروف، وعين لموضع
وجيم لجمـع، ثم هاء لقريـة
وللبلـد الـدال التـي أهملت، فع

المجردة على المزيدة، والفصيح المشهور على النوادر والشوارد، وأخّر أسماء الأعلام والقبائل. فإذا كانت الصيغة فعلاً ذكر الماضي فالمضارع فالمصدر، أما إذا كانت إسماً، ذكر الجمع، وجمع الجمع أحياناً، ولكنه لم يكن يلتزم بهذه القواعد دائماً، وهو مايظهربوضوح ـ على سبيل المثال ـ في شرحه لمادة (ذم) حين يقول:

«ذَمَّه ذماً ومذمة فهو مذموم وذميم وذَمَّه ضد مَدَحَه، وأذمَّه وجده ذميماً، وأذمَّ بهم تركهم مذمومين في الناس، وتذاموا ذمَّ بعضهم بعضاً، وقضى مذمَّته بكسر الذال وفتحها أحسن إليه لئلا يُذَمْ ... والذُمُوم العيوب، وبئر ذَمَّة وذميم وذميمةٌ قليلة الماء، وغزيره ضدٌّ (ج) ذِمامٌ وبه ذميمةٌ أي ذمامة تمنعه الخروج. وأذمَّت ركابهم أُعيت وتخلفت، وفلان أتى بما يذمُّ عليه، ورجل ذو مَذَمَّة تحلّ على الناس. والذمام والمَذَمَّة الحق والحرقة (ج) أذِمَّة، والذمة بالكسر العهد والكفالة كالذمامة ويكسر. والذِمّ بالكسر مأدبة الطعام أو العرس والقوم المعاهدون. وأذمَّ له عليه أخذ له الذِمَّة ... وقد ذمَّ أنفه وذنَّ إذا سال ... والذِّم بالكسر المفرط المزال الهالك، وذمذم قلَّل عطيته ... ورجل مذمَّم كمعظم مذموم جداً[1]».

(1) القاموس المحيط، مادة ذم.

وهكذا نراه يقدم في شرحه لفظ (المذمة) في أوائل المادة، ويأتي بعدها بألفاظ (ذميم) و (ذمام) ثم يعود إلى لفظ (المذمة) بمعنى آخر، وينتقل إلى لفظ (الذمة) و (الذمامة) و (الذِم) بالكسر، والذميم والذمامة بفتح الذال، ثم يعود ثالثة إلى صيغة (المذمة) بمعان أخرى غير ما جاءٍ في المرتين السابقتين، وهكذا خلط المعاني المتعددة للكلمة في أسرة البناء الواحد، دون مراعاة أي تسلسل، ودون التزام في المنهج الذي وعد، ولو فعل ذلك لشرح معاني (المذمة) كلها في مكان واحد بدون هذه الفواصل، ولكان ذلك أفضل، لأن هذا العرض المشوش يرغم الباحث على قراءة المادة كلها حتى يستوفي معنى الكلمة التي يسعى إليها، فضلاً عن ضرورة تحلّيه بالأناة والصبر والدراية، والالمام ببعض الأسس اللغوية.

حرصَ المؤلف على ضبط الألفاظ الغريبة والنادرة، وكان يضبطها بذكر لفظ مشهور أو يعتمد على الأوزان الصرفية في ذلك، سعياً منه إلى مزيد من الدقّة والاتقان. وهو بالرغم من حذفه الكثير من الشواهد بغية الاختصار، إلا أنه كان حريصاً على الاحاطة. بمعاني اللفظ المشروح ومشتقاته ولكن شدّة تمسكه

بالتركيز والايجاز ، إلى جانب الشمول والاستيعاب معاً ، أوقعته في عدد من العيوب مثل الإخلال بالمعنى ، أو عدم وضوح الشروح بسبب حذف الشواهد اللازمة من القرآن والحديث والشعر وغيرها ، التي قلّت عنده إلى حدٍّ كبير بحيث لم تتجاوز في كتابه كله « مئتين وخمسين شاهداً[1] » . وإذا كان غيره من أعلام اللغة قد أكثروا من ذكر مثل هذه الشواهد حتى أصبحت معجماتهم أقرب إلى الموسوعات الأدبية منها إلى المعجمات اللغوية ، فإن الفيروزابادي قلّل منها إلى حد معيب ، هذا فضلاً عن الهنّات الأخرى التي وقع فيها مثل غموض العبارة أثناء الشرح نتيجة ميله للإيجاز ، ومثل عدم إشارته إلى الضعيف من اللغات ، والرديء ، والمذموم ، ومثل وقوعه في بعض الأخطاء اللغوية ، الصرفية ، والنحوية ، والاكثار من الأمور التي لاتتصل باللغة اتصالاً مباشراً كالأعلام والمعلومات الطبية .

ولكن بالرغم من هذه الهنّات والمآخذ ، فقد أثار كتاب « القاموس المحيط » اهتمام اللغويين ، بل سرعان ما طارت شهرته في الآفاق العربية ، وزاع صيته بين الناس ، وكثر استخدامه ،

(1) د . عمر الدقاق ، المرجع السابق ، ص . 200 .

ومدحه[1]. ويقول المرتضى الزبيدي في هذا الخصوص: «لعمري إن

---

(1) قال الفقيه جمال الدين محمد الصباحي في وصف القاموس:

من رام في اللغـة العلـو على السهـا
فعليـه منها ما حوى قاموسهـا
مغـنٍ عن الكـتب النفـيسة كلهـا
جمّـاع شمل شتـيتها قاموسهـا
فإذا دواويـن العلـوم تجمـعت
في محفـل للـدرس فهـو عروسهـا
للـه مجد الديـن خير مؤلـف
ملك الأئمـة، وافتـدتـه نفوسهـا

وقيل فيه أيضاً:

ألا ليس من كتب اللغـات محققـاً
يشابـه هذا في الإحاطـة والجمـع
لقـد ضم ما يحوي سواه وفاقـه
بما اخـتص من وضع جميـل ومـن جمع

وقيل أيضاً:

كالبحـر يمطـره السحـاب ومالـه - -
فضل عليـه لأنـه من مائـه

كما قيل أيضاً في طريقته:

إذا رمت في القامـوس كشفـاً للفظـة
فآخرهـا للبـاب، والبـدء للـفصل
ولا تعـتبر في بدئهـا وأخيرهـا
مزيـداً، ولكـن اعتبـارك للأصل

هذا الكتاب إذا حوضر به في المحافل فهو بها ، وللأفاضل أبهة ، قد اخترق الآفاق مشرقاً ومغرباً ، وتدارك سيره في البلاد مصعداً ومصوباً ، وانتظم في سلك التذاكر ، وأفاضه أزلام التناظر ، ومد بحره الكامل البسيط ، وفاض عبابه الزاخر المحيط ، وجلت متنه عند أهل الفن ، وبسطت أياديه ، واشتهر في المدارس اشتهار أبي دلف بين مختصره وباديه ، وخفَّ على المدرسين أمره إذا تناولوه ، وقرب عليهم مأخذه فتناولوه وتناقلوه[1] » .

قامت حول هذا الكتاب دراسات ، واستدراكات ، وشروح ، وتعليقات ، واختصارات كثيرة تزيد على الستين كتاباً ، منها كتاب (القول المأنوس في صفات القاموس) لمحمد سعد الله المفتي ، وهو مطبوع في الهند عام 1287 هـ وكتاب (الجاسوس على القاموس) لأحمد فارس الشدياق المطبوع عام 1299 هـ ، وكتاب (تصحيح القاموس المحيط) لأحمد تيمور المطبوع عام 1343 هـ ، كذلك كتاب (مختار القاموس) للطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي الذي جعل ترتيبه على أوائل الأصول بدلاً من أواخرها ، وهو مطبوع عام 1959 ، وأخيراً كتاب (تاج العروس من جواهر

(1) تاج العروس من جواهر القاموس ، المقدمة .

القاموس) للمرتضى الزبيدي وسنتحدث عنه فيما يلي من صفحات . كما ترجم كتاب (القاموس المحيط) إلى اللغة اللاتينية في ايطاليا عام 1632 م .

صدرت الطبعة الأولى من القاموس المحيط عن مطبعة بولاق في القاهرة عام 1872 م وهي في أربعة أجزاء بإشراف الشيخ نصر الهوريني ، كما صدرت منه طبعة حديثة مصورة عن المؤسسة العربية للطباعة والنشر في لبنان في أربعة أجزاء أيضاً .

نموذج من القاموس المحيط

يقول الفيروزابادي في شرح مادة (شرب):

«شرب: كسَمع شَرْباً ويثلث ومشرَباً وتشراباً جرع، وأشْرَبْته أنا، أو الشّربُ مصدر وبالضمِ والكسر إسمان وبالفتح القوم يشربون كالشروب، وبالكسر الماءُ كالمَشْرَبِ والحظُّ منه والموردُ وقت الشرب والشراب ما يشرب كالشريب والشرَّوبِ أوهما الماء دون العذب وأشْرَبَ سقى وعطش ورَوِيَتْ إبلُهُ وعطِشَتْ ضدٌّ وحان أن تَشرَبَ واللون أشبَعَهُ والشريب من يَستقي أو يسقى مَعَكَ ومن يشاربك وكسكِّيتٍ المولع بالشرابِ والشاربةُ القوم يسكنونَ على ضفَّة النهرِ والشَّربَةُ النخلة تنبُتُ من النوى وبالضم حمرة في الوجه و ع ويفتح مقدار الري في الماء كالحُسْوةُ وكَهُمْزَةٍ الكثير الشرب كالشروب والشراب وبالتحريك كثرة الشرِب والحُوَيْضُ حول النخلةِ يسع ريَّها وكرُد الدبرةِ والعَطَشُ وشدَّة الحر والشوارب عروق في الحلق ومجاري الماء في العنق وما سال على الفم

من الشعر وما طال من ناحية السَّبَلَةِ أو السَّبَلَةُ كلها شاربٌ وأُشرِبَ فلان حبَّ فلانٍ خالـط قلبه وتشرَّب سرى والثوبُ العرقَ نشِفَهُ واستشرب لونُهُ اشتَّد والمشربة وتُضَمُّ الراء أرضٌ ليِّنَةٌ دائمة النبات والغرفَةُ والعلِّية والصُّفَّةُ والمَشْرَعَةُ وكَمِكْنَسَةٍ الإناء يُشَرَبُ فيه والشروب التي تشتهي الفَحْلَ وتشريب القِرْبَةِ تطيـيبها بالـطين وشَرِبَ به كَسَمِعَ وأشرب به كذب عليه وأشْرَبَ إبلهُ جعلَ لكلِ حمل قريناً والخَيْلَ جَعَلَ الحبال في أعناقها وفلاناً الحَبْلَ جعله في عنقه واشرأبَّ إليه مدَّ عنقه لينظر أو ارتفع والاسم الشُّرابِيْبَةُ كالطمأنينةِ والشَّربة كَجَرْبَةٍ ولا ثالث لهما الأرضِ المعشبة لا شجر بها و ع والطريقةُ وشَرَبَ كنصر فَهِمَ وكفَرِحَ عِطِشَ وشَرِبَ أيضاً ضعف بعيره أو عطشت إبلُهُ ورويَتْ ضد وشِرْبٌ بالكسر ع وبالفتح ع بقرب مكة حرسها لله تعالى وشريب د بين مكّة والبحرينِ وجبَل نجديّ وشَوْرَبانٌ ة بِكِشٍّ وشَرِبٌ ككتفٍ وشُرَيْبٌ وشُرَبُبٌ (وشُرُبَّةٌ) وشربوبٌ وشربةٌ بضَمِّهنَّ مواضع والشاربُ الخور والضعف في الحيوانِ والشاربان أنفان طويلان في أسفلِ قائِمِ السيف وأشربتني مالم أشْرَبَ ادَّعَيْتَ عليَّ مالم أفْعَلُ وذو الشويرب شاعر والشُرُبُبُ كقنفذ الغملي في النبات[1]».

(1) القاموس المحيط، ط. بولان ، م. 1 ص. 89 .

4.3. تاج العروس

لمّا كان القاموس المحيط للفيروزابادي معجماً موجزاً في الشرح، قليل الشواهد، فيه رموز واصطلاحات تعيق عملية الرجوع إليه، وبما أنه في الوقت نفسه من أشمل معجماتنا العربية وأكثرها غزارة في المادة اللغوية، فقد وجد المرتضى الزبيدي[1] ضرورة شرحه وتفسيره، والكشف عن معانيه، ورفده بالشواهد اللازمة زيادة في توضيحه؛ وذلك من خلال جمع الدراسات التي قامت حوله وتنظيمها، واضافة ما يجب إضافته إليها من علمه ومعرفته الواسعة. وقد أشار الزبيدي إلى ذلك في مقدمته بقوله: «وكان في كتاب القاموس المحيط للإمام مجد الدين الشيرازي أجل ما ألف في هذا الفن، لاشتماله على كل مستحسن من قصارى فصاحة العرب

(1) المرتضى الزبيدي (1145-1205 هـ) أبو الفيض، محب الدين محمد بن المرتضى بن محمد الزبيدي، ولد بالهند ونشأ فيها، تتلمذ على عدد كبير من العلماء، ثم رحل إلى اليمن، وأقام في بلدة زُبيد وإليها نسب. كانت حلقاته العلمية تغص بالدارسين وطالبي العلم، رحل إلى القاهرة، وفيها وضع كتابه «تاج العروس» وهناك توفي بمرض الطاعون عام 1790 م. له مؤلفات عدة هامة من بينها كتاب «إحياء العلوم للغزالي» مطبوع في عشرة مجلدات، وكتاب «إتحاف السادة المتقنين» مطبوع أيضاً. وكتاب «تاج العروس» وله غيرها كتب كثيرة مخطوطة.

القدماء، وبيضة منطقها، وزبدة حوارها، والركن البديع إلى ذرابة اللسان وغرابة اللَّسَنِ، حيث أوجز لفظه، وأشبع معناه، وقصر عبارته، وأطال مغزاه... وقرَّب عليهم مأخذه، فتداولوه وتناقلوه، ولما كان إبرازه في غاية الإيجاز، وإيجازه إلى حد الإعجاز، تصدَّى لكشف غوامضه ودقائقه رجال من أهل العلم شكر الله سعيهم، وأدام نفعهم، فمنهم من اقتصر على شرح خطبته... ومنهم من تقيَّد بسائر الكتاب... ومنهم كالمستدرك لما فات والمعترض عليه بالتعرف لما لم يأت... قرعت ظنوب اجتهادي، واستسعيت يعبوب اعتنائي، في وضع شرح عليه ممزوج العبارة، جامع لموارده بالتصريح في بعض وفي البعض بالإشارة، وافٍ ببيان ما اختلف من نسخه، والتصويب لما صحَّ منها من صحيح الأصول، حاوٍ لذكر نكته ونوادره، والكشف عن معانيه، وإلا بناه عن مضاربه ومآخذه بصريح القول، والتقاط أبيات الشواهد له مستمداً ذلك من الكتب التي يسَّر الله تعالى بفضله وقوفي عليها، وحصل الاستمداد عليه منها[1]». وهكذا كان مقصد الزبيدي جمع ما في القاموس من مواد لغوية، إضافة إلى الاستدراكات التي وجدها عليه، فضلاً عن

(1) تاج العروس، المقدمة، م. 1 ص. 2.

مزيد من الشرح والتفسير وإضافة الشواهد اللازمة. وقد رجع في عمله هذا إلى عدد كبير من كتب اللغة والنحو، والثقافة العربية الأدبية والتاريخية والجغرافية والدينية، وكتب الحيوان والنبات والطب والسياسة وغيرها[1].

اختار المؤلف لكتابه اسم «تاج العروس من جواهر القاموس» لأنه اعتمد في الأصل على كتاب القاموس المحيط للفيروزابادي، ورمى إلى شرحه وتوسيعه، بعد أن وجده درّة بين كتب اللغة التي اطلع عليها، وهو ما يبدو واضحاً بقوله: «وكأنّي بالعالم المصنف قد اطلع عليه [كتاب القاموس] فارتضاه، وأجال فيه نظرة ذي علق فاحتباه ولم يلتفت إلى حدوث عهده وقرب ميلاده، لأنه إنما يستجاد الشيء ويسترذل لجودته ورداءته في ذاته لا لقدمه وحدوثه... والذي نحرّه منه أنه عمل محدث ولا عمل قديم، فحسبك أن الأشياء تنتقد أو تبهرج لأنها تليدة أو طارفة[2]».

ولما كان المؤلف قد اتّخذ من القاموس أساساً ومرتكزاً، فقد نسج على منواله في التبويب والتصنيف، أما كتب اللغة

(1) ذكر المؤلف أسماء هذه الكتب في مقدمته، م 1 ص. 5-9.
(2) المصدر السابق، 1: 5.

وغيرها التي رجع إليها فقد زاد عددها عن 120 كتاباً، تعرَّف عليها بفضل تأخره في الزمان، حيث أفاد منها الفائدة كلها، وعبَّر عن ذلك بقوله: «لقد جمعت ما تفرق في تلك الكتب من منطوق ومفهوم، وبسطت القول فيه، ولم أشبع باليسير، وطالب العلم منهوم، فعهدته على المصنف الأول، وأديت الأمانة في شرح العبارة بالفصل، وأوردت مازدت على المؤلف بالنص ولم أقصد سوى حفظ هذه اللغة الشريفة إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنَّة النبوية، وقد جمعت في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يستهزؤون ويسخرون[1]».

شغلت مقدمة التاج حوالي 42 صفحة من القطع الكبير تحدث فيها عن سبب تأليفه هذا الكتاب، ومنهجه فيه، ثم ذكر خصائص القاموس المحيط وما قام حوله من دراسات، وبعدها أورد مقاصده العشر وهي:

1 ـــ في بيان اللغة هل هي توقيفية أو اصطلاحية، وعرض آراء العلماء في ذلك.

2 ـــ في سعة لغة العرب.

---

(1) المصدر نفسه، 1: 5.

3 ـــ في عدة أبنية العرب .

4 ـــ في المتواتر في اللغة والآحاد .

5 ـــ في بيان الأفصح ، من فصاحة الرسول ، وفصاحة قريش ، ولغات القبائل .

6 ـــ في المطّرد والشاذ ، والحقيقة والمجاز والمشترك ، والأضداد والمترادف .

7 ـــ في معرفة آداب اللغوي .

8 ـــ في مراتب اللغويين والمصنفين في اللغة .

9 ـــ في ترجمة حياة الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط .

10 ـــ في الأسانيد والطرق التي يروي عنها كتاب القاموس .

والجدير بالذكر أن معظم ما جاء في هذه المقاصد منقول عن المزهر للسيوطي مع بعض الاضافات القليلة للمؤلف الذي ختم مقدمته بشرح مقدمة القاموس المحيط للفيروزابادي .

التزم تاج العروس كما ذكرنا بطريقة ترتيب الألفاظ على أواخر الأصول (طريقة الباب والفصل) ، ولكنّه صدّر كل باب من أبواب كتابه بكلمة قصيرة تحدَّث فيها عن الحرف الذي عقد له الباب ، فبيَّن مخرجه وصفاته وابدالاته وغيرها ، معتمداً في ذلك

كلّه على شروح أستاذه ابن الطيِّب. وكان يبدأ بعد كل تصدير بشرح المواد اللغوية، وقد حافظ أثناء ذلك محافظة شديدة على عبارات القاموس المحيط التي كان يضعها بين أقواس، ثم يضع شروحه المضافة إليها خارج هذه الأقواس، وفيها وضع الاضافات الكثيرة نقلاً عن كتب اللغة التي اطلع عليها من تعريفات، وتعليقات، ونقد، وتفصيل، واستدراكات، وشواهد، مع حرصه على ذكر أسماء اللغويين الذي أخذ عنهم ذلك. وقد ألغى في كتابه الرموز والاصطلاحات التي أخذ بها صاحب القاموس، كما نهج نهج اللغويين القدامى في الشروح وبيان المعاني.

يقول المؤلف في شرح مادة (زأب)، في فصل الزاي من باب الباء: «فصل الزاي، ويقال الزاي كما سيأتي فيقيد بالمعجمة (زأب القِربة كمنع) يزأ بها زأباً (حملها ثم أقبل بها سريعاً كازدأبها) والإزدئاب الاحتمال وكل ما حملته بمرَّة فقد زأبته، وزأب الرجل وازدأب: إذا حمل ما يطيق وأسرع في المشي. قال: وازدأب القربة ثم شمرا، ورأبت القربة وزأبتها: وهو حملتها محتضناً، والزأب أن تحمل شيئاً بمرَّة واحدة، وزأب الرجل إذا (شرب شرباً لذيذاً) وزأب (الابل ساقها) وقال الأصمعي: زأبت وقأبت أي شربت،

وزأبت به زأباً وازوأبته وزأب بحمله، وقولهم (الدهر ذو زوائب كغراب أي انقلاب وقد زأبته) وهو تصحيف وصوابه زوآت بفتح وسكون جمع زوءة، وقد (زاءبه) الدهر (يزوء) انقلب. وقد مرَّ في فصل الهمزة (الزآنب القوارير) عن ابن الاعرابي، وأنشد:

ونحن بنـــــــو عم على ذاك بيننـــــــا
زآبت فيها بغضة وتنـــــــــــــــــافس[1]

نلاحظ من خلال هذا النص طريقة المؤلف في الشرح من إتيان بالكلمة مجرَّدة من الزوائد واستعمالها في جملَ بحيث تفيد معنى من المعاني المتعدِّدة التي قد يعبِّر عنها بالكلمة الواحدة نفسها وبيان استعمالاتها عند العرب، بعد اعتماد مادة الكلمة مصدراً ثم المجيء، بمشتقاتها كالفعل والفاعل والمفعول، مع ذكر شروح غيره لهذه الكلمة، وتصحيح الأخطاء التي قد يجدها في القاموس المحيط وذكر الصواب فيها.

كما يقول الزبيدي في شرح مادة (هقع) فصل العين باب الهاء: «هقع، قال: (الهقعة دائرة تكون بعرض زور الفرس)

---

(1) تاج العروس، مادة زأب.

وتكره، قال الجوهري، أو في وسطه وهي دائرة الحزام تستحب، (أو) هي دائرة تكون (بحيث تصيب رجل الفارس) في مركله، قال الليث (يتشاءم بها) وتكره (أو لمعه بياض في جنبه الأيسر) نقله ابن دريد... والهقع (ثلاثة كواكب) نيرة قريب بعضها من بعض (فوق منكبي الجوزاء) كأنها (الأثافيّ) وهي من منازل القمر (إذا طلعت مع الفجر اشتد حر الصيف)، وقال ساجع العرب : إذا طلعت الهقعة ، تقوض الناس للقلعة ، ورجعوا إلى النجعة، وأورست الفقعة وأردفتها الهنعة، وهي رأس شبهت بهقعة الفرس... (و) قال الفراء: (هَقَعَهُ) بين أذنيه هقعاً (كواه، و) قال ابن دريد: الهقاع (كغراب: الغفلة) تصيب الإنسان (من هم أو مرض و) قال غيره: الهقعة (كهمزة المكثر من الاتكاء والاضطجاع بين القوم وحكى ذلك الأموي فيمن حكاه، ونقله الجوهري، وأنكره شمر، وصححه الأزهري واستدل له من كلام العرب بما جاء بالقاف والكاف بما هو مذكور في التهذيب[1]».

هكذا يرجع الزبيدي إلى أهم كتب اللغة المعروفة كالجمهرة والصحاح والتهذيب وغيرها ليستنبط منها شروح المادة إضافة إلى

(1) تاج العروس، مادة هقع.

شروح القاموس المحيط التي حرص دائماً على وضعها بين أقواس، وهو يترسم في ذلك كله خطا أستاذه ابن الطبيب «في جميع مراحل منهجه عدا أمراً واحداً هو حملته الشديدة على الفيروزابادي فقد ضعَّف من حدَّتها ولطَّفها كثيراً، ولذلك حين نحاول التعرف على ما أجراه على القاموس نراه يتفق إلى حدٍ كبير مع ما أجراه شيخه، فجميع أعماله تجري في نهرين كبيرين، نهر الاضافات ونهر النقد[1]».

اهتم مؤلف التاج فوق ذلك بذكر المعاني المجازية، فقد وجَّه لها عناية كبيرة، بعد أن أفاد في هذا المجال من كتاب أساس البلاغة أيما فائدة، كما اهتم بإيراد العامي من الألفاظ، وبخاصة من اللهجة المصرية.

أما أهم المآخذ التي أخذت عليه فهي تقيده بعبارات القاموس المحيط ومحافظته على نصها الأصلي، إضافة إلى بعض التصحيف والتحريف، والتكرار والاضطراب في ترتيب بعض المواد، مع قلَّة الترابط، وعدم الدِّقة في التعبير والتصرف أثناء

---

(1) د. حسين نصار، المعجم العربي، نشأته وتطوره، المرجع السابق، ج. 2، ص. 664.

الاقتباس. كما أخذ عليه الإكثار من الحديث عن موضوعات أقرب إلى الموسوعات العلمية منها إلى المعجمات اللغوية كالفوائد الطبية والأعلام والمصطلحات، وهي الأخطاء نفسها التي وقع فيها القاموس المحيط قبله، إلاّ أنه يبقى ـــ بالرغم من هذه المآخذ ـــ أضخم وأشمل معجماتنا العربية قاطبة حتى الآن، إذ يحوي 120 ألف مادة مشروحة مستقصاة من المعاجم الأمهات كالمحكم والعباب واللسان، وهذه مدَّته بدورها بما في المعجمات العربية الأخرى من مواد وشروح كالعين والتهذيب والصحاح والجمهرة والمقاييس والحواشي وغيرها.

وقد ألف المستشرق البريطاني إدوارد لين (ت. 1876 م) معجماً لغوياً اعتمد فيه على كتاب «تاج العروس»، أسماه «مد القاموس» طبع منه في حياته خمسة مجلدات، ثم أكمل حفيده ستانلي بول لين (ت. 1941) بقية الأجزاء من مسوّداته وهي ثلاثة، وأصبح المجموع ثمانية.

طبع تاج العروس أول مرّة في المطبعة الخيرية بمصر عام 1890 في عشرة أجزاء، ثم أعيد نشره تصويراً عن مكتبة دار الحياة في بيروت في الستينات من هذا القرن، كما صدر عن وزارة الارشاد

والأنباء الكويتية منذ عام 1965 ضمن سلسلة التراث العربي بتحقيق عدد من العلماء العرب، وقد صدر منه في هذه الطبعة واحد وعشرون مجلداً تنتهي في حرف العين، ويؤخذ على هذه الطبعة سماكة الصفحات وكبر حجم الحروف مما زاد في حجم الكتاب وعدد مجلداته.

نموذج من تاج العروس

يقول المرتضى الزبيدي في شرح مادة (شرب) :

« (شرب) الماء وغيره (كسمع) يشرب (شرباً) مضبوط عندنا بالرفع وضبطه شيخنا بالفتح وقال أنه على القياس ونقل أيضاً أن الفتح أفصح وأقيس ★ قلت وسيأتي ما ينافيه (ويثلث) ومنه قوله تعالى فشاربون شرب الهيم بالوجوه الثلاثة ، قال يحيى بن سعيد الأموي سمعت ابن جريج يقرأ فشاربون شرب اليهم فذكرت ذلك لجعفر بن محمد فقال : وليست كذلك إنما هي شرب الهيم قال الفرَّاء وسائر القراء يرفعون الشين وفي حديث أيام التشريق أنها أيام أكل وشرب يروى بالضم وبالفتح وهما بمعنى والفتح أقل اللغتين وبها قرأ أبو عمر كذا في لسان العرب (ومشربا) بالفتح يكون موضعاً ويكون مصدراً وأنشد :

ويدعــى ابــن منجــوف أمامــي كأنــــه
خصيء أتى للمـــــــــــاء من غير مشرب

أي من غير وجه الشرب وسيأتي (وتشرابا) بالفتح على تفعال يبنى عند إرادة التكثير (جرع) ومثله في الأساس وفي قول أبي ذوئيب في وصف سحاب ★ شربن بماء البحر ثم ترفعت ★ الباء زائدة وقيل أنه لما كان شربن بمعنى روين وكان روين مما يتعدى بالباء عدّى شربن بالباء (و) في حديث الأفُل لقد سمعتموه وأشربته قلوبكم أي سقيته كما يسقى العطشان الماء يقال شربت الماء (وأشربته أنا) إذا سقيته (أو الشرب) بالفتح بأو المنوعة للخلاف على الصواب وسقط من نسخة شيخنا (مصدر) كالأكل والضرب (وبالضم والكسر إسمان) من شربت لامصدران نص عليه أبو عبيدة والإسم الشربة بالكسر عن اللحياني (و) الشرب (بالفتح القوم يشربون) ويجمعون على الشراب قال ابن سيده فأمّا الشرب فاسم لجمع شارب كركب ورجل وقيل هو جمع (كالشروب) وبالضم قال ابن سيده أما الشروب عندي فجمع شارب كشاهد وشهود، وجعله ابن الاعرابي جمع شرب قال وهو خطأ قال وهذا مما يضيق عنه علمه لجهله بالنحو قال الأعشى:

هو الـــــواهب المسمعـــــــــات الشرو
ب بين الحريـــــــر وبين الكتـــــــن

وقوله أنشده ثعلب :

يحسب أطمـــاري علـــيَّ جلبـــا
مثـــل المناديـــل تعاطـــى الأشربـــا

يكون جمع شرب وشرب جمع شارب وهو نادر لأن سيبويه لم يذكر أن فاعلاً قد يكسر على أفعل كذا في لسان العرب ونقله شيخنا فأجحف في نقله وفيه في حديث علي وحمزة رضي الله عنهما وهو في هذا البيت في شرب من الأنصار (و) قيل الشرب بالفتح المصدر والشرب (بالكسر) الأسم وقيل هو (الماء) بعينه يشرب والجمع أشراب (كالمشروب) بالكسر وهو الماء الذي يشرب قاله أبو زيد (و) المشرب بالكسر أيضاً (الحظ منه) أي الماء يقال له شرب من ماء أي نصيب منه ذكرهما ابن السكيت كذا في التهذيب (و) الشرب بالكسر (المورد) قاله أبو زيد جمعه أشراب (و) قيل الشرب هو (وقت الشرب) وقال شيخنا قالوا إنما يدل على الوقت بضرب من المجاز واختلفوا في علاقته فتأمل (والشراب ما شرب) وفي نسخة ما يشرب من أي نوع كان وعلى أي حال كان وجمعه أشربة وقيل الشراب والعذب لا يجتمعان كما يأتي للمصنف في ن ه ر وقال أبو حنيفة الشراب (كالشريب والشروب) يرفع

ذلك إلى أبي زيد وفي لسان العرب الشراب اسم لما يشرب في كل شيء لا مضغ فيه فإنه يقال فيه يشرب والشروب ما شرب (أو هما) أي الشروب والشريب (الماء) بين العذب والملح وقيل الشروب الذي فيه شيء من العذوبة وقد يشربه الناس على ما فيه والشريب (دون العذوب) وليس يشربه الناس إلاَّ عند ضرورةٍ وقد تشربه البهائم ثم ذكر هذا الفرق بين ابن قتيبة ونسبة الصاغاني إلى أبي زيد * قلت فله قولان فيه وقيل الشريب العذب وقيل الماء الشروب الذي يشرب والمأج الملح.

قال ابن هرمة:

فإنك بالقـــــريحة عام تمهـــــى
شروب الماء ثم يعـــــود مأجـــــا

هكذا أنشده أبو عبيد بالقريحة والصواب كالقريحة، وفي التهذيب عن أبي زيد الماء الشريب الذي ليس فيه عذوبة وقد يشربه الناس على ما فيه والشروب دونه في العذوبة وليس يشربه الناس إلاَّ عند الضرورة ومثله حكاه صاحب كتاب المعالم وابن سيده في المخصص والمحكم وقال الليث: ماء شريب وشريب فيه مرارة وملوحة

ولم يمتنع من الشرب ومثله قال صاحب الواعي وماء شروب وطعيم بمعنى واحد وفي حديث الشورى جرعة شروب أنفع من عذب موب يستوي فيه المذكر والمؤنث ولهذا وصف به الجرعة ضرب الحديث مثلاً لرجلين أحدهما أدون وأنفع والآخر أضر وأرفع كذا في لسان العرب . وعن ابن دريد ماء شروب ومياه شروب وماء مشرب كشروب عند الأصمعي (وأشرب) الرجل (سقى) إبله (و) أشرب (عطش) بنفسه يقال أشربنا أي عطشنا .

قال اسقني فإنني مشرب

رواه ابن الأعرابي وفسره بأن معناه عطشان يعني نفسه أو إبله (و) قال غيره أشرب (رويت إبله وعطشت) رجل مشرب قد شربت إبله ومشرب عطشت إبله وهما عنده (ضد) ونسبه الصاغاني إلى الليث وأشرب الإبل فشربت وأشرب الإبل حتى شربت وأشربنا نحن رويت إبلنا وأشربنا عطشت إبلنا (و) أشرب الرجل (حان) لإبله (أن تشرب و) من المجاز أشرب (اللون أشبعه) وكل لون خالط لوناً آخر فقد أشربه وقد أشرأبَّ على مثال اشهأبَّ والاشراب لون قد أشرب من لون يقال أشرب الأبيض حمرة أي علاه بذلك وفيه شربة من حمرة أي أشراب ورجل مشرب حمرة

مخففاً وإذا شدِّد كان للتكثير والمبالغة (والشريب من يستقي أو يسقى معك) وبه فسرَّ ابن الأعرابي قول الراجز :

رب شـــريـــب لـــك ذي حســـاس
شـــرابـــه كـالحـــــز بـالمـــواســـي

الحساس الشؤوم والقتل يقول انتظارك إياه على الحوض قتل لك ولإبلك (و) الشريب (من يشاربك) ويورد إبله معك شارب الرجل مشاربة وشراباً شرب معه وهو شريبي قال الراجز :

إذا الشريب أخذتــــه أكَّـــــه
فخلِّـــه حتـــى يبك بكَّـــه

(و) الشّريب (كسكيت المولع بالشراب) ومثله في التهذيب ورجل شارب وشروب وشرّيب وشرّاب مولع بالشراب ورجل شروب شديد الشرب (والشاربة قوم يسكنون على ضفة) وفي نسخة ضفة بفتح الضاد المعجمة (النهر) وهم الذين لهم ماء ذلك النهر (والشربة النخلة) التي (تنبت من النوى) جمعه شربات والشرائب والشرابيب (و) الشربة (بالضم حمرة في الوجه) يقال اشرأب الأبيض حمرة علاه ذلك وفيه شربة من حمرة ورجل مشرب

حمرة وأنه لمسقى الدم مثله وفي صفته ﷺ أبيض مشرب حمرة وسيأتي بيانه (و) الشربة (ع ويفتح) في الموضع وجاء ذلك في شعر امريء القيس والصحيح أنه الشربة بتشديد الموحدة وإنما غيرها للضرورة (و) الشربة (مقدار الري في الماء كالحسوة) والغرقة واللقمة (و) الشربة (كهمزة الكثير الشرب) يقال رجل أكلة شربة كثير الأكل والشرب عن ابن السكيت (كالشروب والشراب) ورجل شروب شديد الشرب كما تقدم (و) الشربة (بالتحريك كثرة الشرب) وجمع شارب ككتبة جمع كاتب نقله الفيومي في المصباح ال أبو حنيفة قال أبو عمرو أنه لذ وشربة إذا كان كثير الشراب (و) الشربة مثل (الحويض) يحفر (حول النخلة) والشجر يملأ ماء (يوريها) فتتروّى منه والجمع شرب وشربات قال زهير:

يخرجـــن من شربـــات ماؤهـــا طحـــل

على الجذوع يخفـــن الغـــم والغرقـــا

وأنشد ابن الاعرابي ★ مثل النخيل يروّى فرعها الشرب ★

وفي حديث عمر رضي الله عنه إذهب إلى شربة من الشربات فادلك رأسك حتى تنقيه. وفي حديث جابر أتانا رسول الله ﷺ فعدل، إلى الربيع فتطهر وأقبل إلى الشربة الربيع النهر (و) الشربة

(كرد الدبرة) وهي المسقاة والجمع من ذلك كله شربات وشرب (و) الشربة (العطش) ولم تزل به شربة اليوم أي عطش قال اللحياني وفي التهذيب جاءت الابل وبها شربة أي عطش وقد اشتدت شربتها وطعام مشربة يشرب عليه الماء كثيراً وطعام ذو شربة إذا كان لا يروى فيه من الماء، وفي لسان العرب الشربة عطش الماعز بعد الجز لأن ذلك يدعوها إلى الشرب (و) الشربة (شدة الحر) يقال يوم ذو شربة أي شديد الحر يشرب فيه الماء أكثر مما يشرب في غيره ...[1] » .

4 ــ مدرسة أبي عبيد

عني اللغويون العرب منذ بداية عهد التدوين بتصنيف كتب اللغة تبعاً لموضوعاتها ، أي جمع ألفاظ اللغة وتدوينها على معانيها ، وليس على حروفها الهجائية ، لأن غرض هذا النوع من التأليف لم يكن يتجه نحو جمع اللغة واستيعاب مفرداتها ، بقدر ماكان يتجه نحو تصنيفها داخل مجموعات أو زمر وفق معانيها المتشابهة ، ومدلولاتها المتقاربة ، بحيث تنضوي كل مجموعة منها

(1) تاج العروس ، 1:312-313 .

تحت موضوع واحد، وتساعد هذه الطريقة في التبويب الكتّاب على معرفة اللفظة التي يريدون استخدامها للتعبير عن معنى يجول في خاطرهم ولايدرون كيف يعبِّرون عنه بدقّة، كأن يريد أحدهم مثلاً التعبير عن ابتهاجه بلفظة تعني الفرح الشديد، أو عن حزنه بلفظة تعني الألم الشديد، وفي مثل هذه الحالة ما عليه إلاّ الرجوع إلى أحد معجمات المعاني المناسبة للبحث عن الكلمة التي يريدها، ويكشف عنها في بابها، لأن هذه المعجمات ترتّب ترتيباً موضوعياً، فهو يعثر في باب الفرح على الألفاظ العربية التي تؤدي معنى الفرح بأنواعه ودرجاته، وفي باب الحزن على الألفاظ العربية التي تؤدي معنى الحزن أيضاً. وهذه المعجمات تفيد على وجه الخصوص الكتّاب الذين يعتمدون الصنعة الكلامية، والشعراء في قوافيهم الشعرية، وغيرهم ممن ينشدون المرادفات اللفظية.

وقد قام علماؤنا الأجلاّء في هذا المجال بتأليف الرسائل المختصرة أولاً، ومنها انتقلوا تدريجياً إلى تأليف المعجمات الكبيرة، وهو تطور يشبه إلى حد بعيد ما رأيناه أثناء دراستنا لمعجمات الألفاظ. وهكذا يمكن القول أن جمع ألفاظ اللغة العربية وترتيبها على طريقة المعاني مرّت أيضاً بثلاث مراحل تاريخية متداخلة شأنها

في ذلك شأن مراحل ظهور معجمات الألفاظ. فقد ظهرت في المرحلة الأولى رسائل صغيرة متفرقة يستقل كل منها بموضوع واحد من موضوعات الإنسان أو الطبيعة أو الحيوان أو النبات، فيجمع حوله كل مايتعلق به من ألفاظ وصفات وأفعال وأمثال وأشعار، ومن أمثلة هذه الكتب كتاب الخيل للأصمعي، وكتاب المطر لأبي زيد الأنصاري. ثم ألف العلماء في المرحلة الثانية كتباً أكبر حجماً، وأكثر شمولاً واستيعاباً من الرسائل السابقة الذكر. ومن أمثلة كتب المرحلة الثانية كتاب الألفاظ لابن السكيت، وكتاب الألفاظ الكتابية للهمزاني، وكتاب جواهر الألفاظ لابن جعفر[1]. أما في المرحلة الثالثة فقد نضجت حركة التأليف في هذا الباب، بعد أن تكاملت عناصرها، وتحدّدت طرائقها بشكل أفضل، وبرزت فيها معالم التنظيم والاتساع والشمول. ومن أشهر كتب هذه المرحلة كتاب فقه اللغة للثعالبي، وكتاب المخصص لابن سيده الأندلسي[2].

وقد نسبت هذه الطريقة في التأليف لأبي عبيد[3] لأن كتابه

(1)، (2) سنعرف بهم فيما يلي من صفحات اثناء الحديث عن كتبهم.

(3) أبو عبيد (000-224 هـ) القاسم بن سلام الهروي، كان أبوه عبداً رومياً، رحل في طلب العلم فسمع الحديث، ودرس الأدب، ونظر الفقه. أخذ اللغة عن رجال الكوفة ←

« الغريب المصنف » هو أقدم كتاب وصلنا في ترتيبه على طريقة الموضوعات ، ولأنه كتاب كبير الحجم يضم أكثر من ثلاثين باباً ، جمع شمل الرسائل الصغيرة التي الفت قبله ، وابتكر لها طريقة بديعة جميلة في الترتيب على الموضوعات ، وهو ما سنتعرض له بشكل أكثر تفصيلاً عند حديثنا عن كتابه « الغريب المصنف » هذا داخل هذه المجموعة من المؤلفات اللغوية ، التي سنبدأ حديثنا فيها عن رسائل المعاني لأنها مهّدت الطريق لقيام هذه المدرسة ، ثم نتابع الحديث عن المؤلفات التي تضمها هذه المدرسة .

1.4 رسائل المعاني

هذه الرسائل هي شكل آخر من أشكال جمع اللغة ، صنِّفت فيها المفردات تصنيفاً موضوعياً على معنى واحد من المعاني ، تناول بعضها أعضاء الانسان ، وبعضها ألفاظاً تتعلق بحياته الاجتماعية كالأخبية ، والدارات ، والأثواب ، والرحل ، والسلاح وغيرها ، مثل: كتاب « خلق الإنسان » للأصمعي ،

والبصرة ، خرج الى مكة عام 219 هـ وفيها توفي . له مؤلفات عدة من بينها « غريب القرآن » ، و« غريب الحديث » ، و« الغريب المصنف » .

وكتاب « الرحل والمنزل » المنسوب لابن قتيبة[1]، بينما تناول الآخر الطبيعة والحيوانات والنباتات إذ وضعت فيها رسائل مختصرة مثل كتاب « الإبل » وكتاب « الخيل »، وكتاب « النبات والشجر » وكلها للأصمعي[2]، ومثل كتاب « المطر » وكتاب « اللبأ واللبن » لأبي زيد الانصاري[3] أو كتاب « الخيل » لأبي عبيدة[4]، وهو كتاب مصدَّر بمقدمة طويلة عن محبة العرب واهتمامهم بالخيل، وعن أهميته في الجهاد، مع شواهد مناسبة من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر. وبعد هذه المقدمة يبدأ في الحديث عن أعضاء رأس الفرس، ثم عن فحول الخيل وأناثها وأولادها، وعن

---

(1) سبق التعريف به اثناء الحديث عن كتب الغريبين.

(2) الأصمعي (122 216 هـ) أبو سعيد، عبد الملك بن قريب... بن أصمع، عالم بصري فذ في اللغة، وراوية قوي الحافظة لأنساب العرب وأيامها وأخبارها وأرجازها. وقد نشرت كتبه السابقة الذكر مع كتاب « الرحل والمنزل » المنسوب لابن قتيبة في مجموعة (البَلْغَة في شذور اللغة) وصدرت بتحقيق المستشرق أوغست هغنر والأب لويس شيخو في بيروت عام 1809. كما نشر كتاب « الإبل » وكتاب « خلق الإنسان » ضمن مجموعة أخرى عنوانها (الكنز اللغوي في اللسان العربي) في بيروت عام 1322 هـ.

(3) سبق التعريف به اثناء الحديث عن كتب النوادر.

(4) سبق التعريف به أثناء الحديث عن كتب الغريبين.

عيوبها وألوانها ومشيتها، مقرونة بشواهد من الشعر والرجز، وينتهي بعرض مجموعة من القصائد الشعرية في وصف الخيل.

ونعرض فيما نماذج من بعض هذه الرسائل لنتعرف طريقة التأليف فيها:

قال الأصمعي في كتاب النبات والشجر:

«والمرخ والعفار شجر كثير النار، يتخذ منه الزناد، ومثل من الأمثال: في كل شجر نار، واستمجد المرخ العفار، والأثل، يقال: ما نبت منه في الجبال فهو نضار. والأثاب شجر يشبه الأثل، والطرفاء واحدتها طرفة. والحلفاء واحدتها حلفة...[1]».

وقال أبو زيد في كتاب «المطر» لأبي زيد الأنصاري:

«أسماء الرعد: الرعد والرعود. ويقال رعدت السماء فهي ترعد رعداً وأرعد القوم إرعاداً إذا أصابهم الرعد. وفي الرعد الإرزام وهو صوت الرعد غير الشديد منه. ويقال أرزم الرعد إرزاماً، وفيه

---

(1) كتاب النبات والشحر (مجموعة البُلْغَه في شذور اللغة) منشورات بيروت عام 1809. ص. 56.

التهزم وهو أشد صوت الرعد شديده وضعيفه، وهو الهزيم. ويقال: تهزَّم الرعد تهزماً وانهزم انهزاماً، وفيه القعقعة: وهو تتابع صوت الرعد في شدَّة، وجمعها القعاقع. وفيه الرَّجس والرجسان. وهو صوت الرعد الثقيل، رجس الرعد ورجست السماء ترجس رجساناً ورجساً. وفيه الصاعقة وهي نار تسقط من السماء في رعد شديد، ويقال أصعقت علينا السماء إصعاقاً...[1]».

وقد ذابت هذه الرسائل اللغوية في معجمات المعاني التي ألفت فيما بعد.

2.4. كتاب الغريب المصنَّف

اعتمد أبو عبيد في تأليف كتابه هذا على الرسائل اللغوية التي ألفت قبله على الموضوعات المفردة وبخاصة كتب الأصمعي وأبي زيد وأبي عبيد وغيرهم وأدخلها بكاملها في أبواب كتابه ملتزماً الاسناد في الرواية. وقد نسبت إليه طريقة الترتيب على الموضوعات التي سبق الحديث عنها، لأن كتابه أقدم كتاب وصلنا في موضوعاته، ولأنه كتاب كبير الحجم جمع فيه المؤلف ألفاظ اللغة

(1) المصدر السابق، كتاب «المطر»، ص. 106.

مبوبة تبويباً موضوعياً، وضمَّ أكثر من ثلاثين كتاباً، هذا فضلاً عن حسن تنظيمه وشموله، فقد كتب في خلق الإنسان، واللباس، والطعام، والشراب، والسماء، والأرض، والرحل، والنخيل، والسلاح، وغيرها، وعقد بابين للنوادر أحدهما لنوادر الأسماء وآخر لنوادر الأفعال.

أما عن طريقة المؤلف في الشرح فهي كسابقيه، يفسر اللفظ، ويستشهد له بالقرآن أو الحديث والشعر، ويبقى له فضل الجمع عن الآثار البصرية والكوفية. قال المسعودي: « سمعت أبا عبيد يقول هذا الكتاب أحب إليَّ من عشرة آلاف دينار ـــ يعني الغريب المصنَّف ـــ وعدد أبوابه على ما ذكر ألف باب، ومن شواهد الشعر ألف ومئتا بيت[1] ».

وتعد طريقة الترتيب على المعاني في هذا الاطار الشامل المنظَّم من ابتكار أبي عبيد، علماً بأنها كانت معروفة عند اليونان قبله، فقد ألف يوليوس بولوكس (Yolius Pollux) في هذا الاطار

---

(1) د. حسين نصَّار، المعجم العربي، المرجع السابق، 1:207 نقلاً عن كتاب الفهرست لابن النديم ص. 72.

معجماً مرتباً على المعاني والموضوعات في القرن الرابع الميلادي، إلاَّ أن أبا عبيد لم يكن مقلداً لهذا الكتاب، بل ابتدع هذه الطريقة «لأنه جمع أشتات الكتب الصغيرة المؤلفة بحسب المعاني والموضوعات، وجمعها في غريبه، وقسمها أبواباً سمَّاها كتباً، ثم أفرد كل كتاب بموضوع حشد فيه من الكلمات ما يتفق مع العنوان، فمثلاً حشد في باب النساء الكلمات الخاصة بهذا الجنس كلها، وهداه إلى هذه الطريقة أنه وجد كتباً كثيرة ألفها أعلام اللغة وعلماء العربية الذين وقفوا كل كتاب منها على موضوع خاص. وجاء أبو عبيد ولمَّ شمل هذه الكتب وجمعها، وأطلق عليها «الغريب المصنَّف[1]».

قدَّم المؤلف كتابه إلى عبد الله بن الطاهر فأمر له بجائزة، وقد تناول علماء عصره هذا الكتاب بالبحث والدراسة، فقيل لأبي عبيد: «إن إسحق الموصلي يزعم أنك صحفت في المصنَّف نيفاً وعشرين حرفاً، فقال ما هذا بكثير... لعلي لو ناظرت فيه لاحتججت عنها[2]»، كما دارت حوله دراسات نقدية عديدة.

---

(1) مقدمة الصحاح، المرجع السابق، ص. 99-100.

(2) معجم الأدباء، 16: 258.

ومن أبواب الكتاب على سبيل المثال: باب في خلق الإنسان، وباب في نعوت دمع العين وغؤورها، وباب في أسماء النفس، وآخر في الثياب، ومثله في أنواع الطعام الخ...

فتح المؤلف الطريق أمام غيره من العلماء للتأليف في هذا الباب، فاتبعوا طريقته، وحذوا حذوه كابن السكيت، والهمزاني وابن جعفر، وابن سيده الأندلسي.

يؤخذ على الكتاب وجود بعض التصحيف فيه، ولكن هذا لايقلل من شأنه، وأهميته، ومركزه بين كتب اللغة المؤلفة في موضوعه.

تقتني دار الكتب المصرية نسختين من هذا الكتاب، كما يقتني مجمع اللغة العربية بالقاهرة نسخة أخرى مصورة عن نسخة مكتبة الفاتح بتركيا، وتقع هذه الأخيرة في حوالي 670 صفحة[1].

3.4. كتاب الألفاظ

يمثِّل كتاب الألفاظ لابن السكِّيت[2] خطوة جديدة من

(1) د. حسين نصار. المعجم العربي، المرجع السابق، 1: 207.

(2) سبق التعريف به عند الحديث عن كتابه (إصلاح المنطق).

خطوات الجمع والتأليف اللغوي ابّان القرن الثالث الهجري، لأنه لم يكتف بمهمة الجمع أو تفسير اللفظة بلفظة أخرى والاحتجاج لها، بل تجاوز ذلك إلى بيان وجوه الاستعمال في المفردات والعبارات المختلفة.

جمع ابن السكيت مجموعة من الألفاظ العربية في صفات الناس والأشياء والطبيعة والعبارات الأخرى وبوّبها تبويباً موضوعياً في مائة وخمسين باباً صغيراً.

بدأ المؤلف كتابه في الحديث عن صفات الناس الجسيمة كالطول والقصر والقامة وغيرها، ثم الخليقة من ذكاء ونشاط وشجاعة وقوة، ثم الاجتماعية كالغنى، والخصب، والفقر، والجدب، والسفر، والزواج، والهزال، والشجاعة، والجماعة، والتفرق الخ... ثم تحدّث عن الأشياء كالآنية، وصفة الشمس وأسمائها، وصفة الليل، والرياح، والأنواء الجوية، وأسماء الطريق إلى غير ذلك، وفي العبارات الأخرى تحدث عن الطعام والحيوانات والنباتات، ولكن من الملاحظ على هذه الأبواب أنها جاءت متباعدة عن بعضها دوت تبويب محكم للموضوعات الصغيرة

التي تجتمع حول موضوع رئيسي واحد، ولكنه يبقى محاولة جادة من قبل المؤلف لتنظيم أفكاره تنظيماً سليماً بقدر المستطاع.

يقول ابن السكيت في صفات الناس: «يقال أقفر الرجل إقفاراً إذا بات في القفر، فلم يأو إلى منزل ولم يكن معه زاد. الأصمعي يقول: بات فلان القواء[1]».

ويقول في صفات الأشياء: «الظلام أول الليل وإن كان مقمراً، وأتيته ظلاماً أي ليلاً. ومع الظلام أي عند الليل، يقال أتيته أول الليل وهو عند غيوب الشمس إلى العتمة، وأتيته ظلاماً أي عند غيوب الشمس إلى صلاة المغرب وهو دخول أول الليل، وأتيته ممسياً إذا أتيته بعد العصر إلى غيوب الشمس[2]».

كما يقول في أبواب للعبارات المختلفة: «يقال: ماله سعنة ولا معنة أي ماله قليل ولا كثير. قال أبو عمر: سعنته للقليل، ومعنته للكثير والقليل. قال النمر بن تولب:

ولا ضيعتـــــــــــــه فألام فيـــــــــــــه

فإن ضيـــــــــاع مالك غير معـــــــــن

(1) ابن السكيت، كتاب مختصر تهذيب الألفاظ، ط. بيروت، 1897، ص. 13.

(2) المصدر نفسه، ص. 242.

ويقال: ماله سبد ولا لبد في معناه. فالسيد: كل ذي شعر. ويقال: قد سبَّد الشعر بعد الحلق خرج. وقد سبَّد ريش الفرخ إذا خرج ولم يطل. واللبد: كل ذي صوف ووبر[1] ».

وكان ابن السكيت يبين أحياناً الفروق بين ألفاظ مختلفة، كأن يقول: « رهكت أرهك رهكاً، وجششت أجش جشاً، وهو سواء. والرهك ماجشَّ بين حجرين، والجش ماجُشَّ بالرحيين[2] ».

وعندما تتغير صورة اللفظ فيتغير معناه، يبين ذلك أيضاً بقوله: « طحنت أطحن طحناً، والطحن (بكسر الطاء) الدقيق نفسه، والطحن (بالفتح) فعلك، ومثله الذِّبح، فالذبح (بالكسر) الكبش بعينه، والذبح فعلك[3] ».

ويفسِّر المؤلف أحياناً إطلاق الأسماء على بعض الأشياء، ويذكر اختلاف العلماء فيها كقوله في صفة الخمر: « هي الخمر

(1) المصدر نفسه، ص. 292.
(2) المصدر السابق، ص. 337.
(3) المصدر السابق، ص. 337.

والشمول والقرقف والعقار والقهوة إلى غير هذا[1]، وفي الشمول يقول: «قال الأصمعي سُميت شمولاً لأن لها عصفة كعصفة الريح الشمال، وقال أبو عمرو: سميت شمولاً لأنها شملت القوم بريحها أي عمتهم، يقال: شملهم الأمر يشملهم إذا عمهم[2]».

وكان ابن السكيت يروي عن علماء البصرة كما يروى عن علماء الكوفة، مع العلم أنه كوفي المذهب، وهذا إن دلَّ على شيء، إنما يدل على روحه العلمية العالية، وموضوعيته.

من خلال ما تقدَّم من نصوص مختارة تتجلى خصائص طريقة ابن السكِّيت في استقصاء جميع الألفاظ التي تستعمل في كل من معنى من المعاني. فيفسرها تفسيراً واضحاً، ويأتي على كثير من الألفاظ المأنوسة، كما يذكر الغريب المهجور، لأن عمله قائم على الاستقصاء والاستيعاب، دون إغفال المصادر التي استقى منها، أو إهمال لأسماء العلماء الذين أخذ عنهم، مستشهداً لشروحه بالشعر الجيد. يؤخذ عليه أن شروحه لم تكن كافية لبيان الفروق بين المترادفات التي يذكرها، وأن أبواب كتابه

---

(1) المصدر السابق. ص. 130.

(2) المصدر السابق. ص. 130.

تتابعت بدون انتظام أو نسق محدد، فاختلطت بعضها ببعض، مما أدّى إلى صعوبة البحث، ومشقة النظر فيه.

صدر هذا الكتاب عن المطبعة الكاثوليكية في بيروت عام 1895 بتحقيق الأب لويس شيخو تحت عنوان: «كنز الحفاظ في كتابَ تهذيب الألفاظ»، وهي طبيعة جيدة مزودة بالشروح القيمة للخطيب التبريزي، وملحقة بالفهارس المفيدة التي تساعد على استخراج الألفاظ منه.

4.4 الألفاظ الكتابية

هذا الكتاب هو كتاب في المعاني والصفات، ألّفه عبد الرحمن الهمذاني[1] وسمّاه كتاب الألفاظ الكتابية نسبة إلى الكُتّاب جمع كاتب، أو الألفاظ الكِتابية بكسر الكاف نسبة إلى الكِتاب، وهو كتاب صغير الحجم، مختصر لطيف، حذا فيه المؤلف حِذو كتاب الألفاظ السابق الذكر من حيث توزيع موضوعاته على أبواب كثيرة جاوز عددها الثلاثمائة باب، اختص

(1) الهمذاني (ت. 320 هـ) عبد الرحمن بن عيسى، أديب وشاعر ولغوي، كان كاتباً لأبي دلف العجلي.

كل منها بموضوع معين، جمعت فيه المفردات التي تندرج في إطاره ، دون استقصاء ، مع ذكر بعض المترادفات فقط ، وبعض الشواهد عليها من قرآنية وحديثية وأشعار وأمثال ، دون إطالة ، وهو في هذه النقطة يختلف عن كتاب ابن السكّيت الذي أكثر من الشواهد الموضحة للمعاني .

اختار المؤلف الفاظه في جل مادته من العبارات الجميلة ، والازدواجات البارعة التي كثيراً ما تتردد على ألسنة مشاهير الأدباء ، قاصداً في ذلك « خدمة الكتّاب الناشئين ، وتزويدهم بما يحتاجون إليه في صناعتهم من مختارات جيدة تتصل بمعظم أغراض الكلام ، ومن هنا كان عنوان الكتاب : الألفاظ الكتابية ، إذ أنه من الكتّاب واليهم[1] » ، لذلك جمع فيه الألفاظ الصحيحة ، والعبارات الجميلة التي جرت فيها أقلامهم ، ليضعها أمامهم كنماذج ، أو كأمثلة يقتفون أثرها ، وينهجون نهجها في كتاباتهم . وقد أشار الهمذاني إلى ذلك بقوله : « والكتابة من أعلى الصناعات وأكرمها وأسمقها بأصحابها إلى معالي الأمور وشرائف الرتب ... والمتصرفون فيها في الحظ منها بين متعلق بالسّماك مضاءً ونفاذاً ، وبين متنكس

(1) د . أمجد الطرابلسي ، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب ، ط 3 ، دمشق ، مكتبة دار الفتح ، 1971 ، ص . 60 .

في الحضيض نقصاً وتخلفاً... فجمعت في كتابي هذا لجميع الطبقات أجناساً من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة من الاشتباه والالتباس، السليمة من التعقير، المحمولة على الاستعارة والتلويح، على مذاهب الكتّاب وأهل الخطابة، دون مذاهب المتشدقين والمتفاصحين من المتأدبين والمؤدبين المتعلفين، البعيدة المرام على قربها من الافهام، في كل فن من فنون المخاطبات، ملتقطةً من كتب الرسائل، وأفواه الرجال، وعَرَصات الدواوين، ومحافل الرؤوساء، ومتخيرة من بطون الدفاتر، ومصنفات العلماء، فليست لفظة منها إلاّ وهي تنوب عن أختها في موضعها من المكاتبة، أو تقوم مقامها في المحاورة إما بمشاكلة أو بمجانسة أو بمجاورة، فإذا عرفها العارف بها وبأماكنها التي توضع فيها كانت له مادة قوية، وعوناً وظهيراً[1] ».

هكذا كانت غاية المؤلف كتابية فنيّة خالصة، وهي تختلف بطبيعة الحال عن غاية علماء اللغة من مؤلفي معاجم الألفاظ من حيث الجمع والاستقصاء والشرح والاشتقاق وتفسير المعاني.

---

(1) المرجع السابق، ص. 62.

لقد حقق الهمذاني الغرض الذي كان يسعى إليه في تقديم اللغة داخل إطارات جميلة، وعبارات رفيعة، جعلت الكتّاب الناشئين يسعون إليه، ويدرسونه بشوق، ويفيدون منه في صناعتهم، مما جعل الأديب الوزير الصاحب بن عبّاد يقول بعد اطلاعه على الكتاب: «لو أدركت عبد الرحمن بن عيسى مصنِّف كتاب الألفاظ لأمرت بقطع يده[1]»، ولما سُئل عن السبب أجاب: «جمع شذور العربية الجزلة في أوراق يسيرة فأضاعها في أفواه صبيان المكاتب ورفع عن المتأدبين تعب الدرس والحفظ الكثير والمطالعة الكثيرة الدائمة[2]».

يقول المؤلف في الباب الأول من كتابه بمعنى أصلح الفاسد:

«تقول: لمَّ فلان الشَّعث، وضم النشْر، ورمَّ الرث، وسدَّ الثغر، ورَقَع الخَرْق، ورتق الفتق، وأصلح الفاسد، وأصلح الخلل، وجمع الشتات، وجبر الوهن والوهي جميعاً... ويقال: أسا الكلْم يأسوه أسواً، وأسى على مصيبته أي حزن يأسى أَسًى، ويقال شَعَب الصَّدْع، ورأب الثأي رأباً[3]».

(1) المرجع السابق، ص. 62.
(2) المرجع السابق، ص. 62.
(3) المرجع السابق، ص. 62.

وقال أيضاً في باب الجهاد والسعي :

« جدَّ فلان في الأمر ، واجتهد ، ودأب ، ولم يأتلِ ، وصرف في الأمر عنايته ، واستنفذ وسعه ، وأفرغ مجهوده ، وحاول جهد استطاعته ، ولم يأل ، ولم ينِ ، وبذل وسعه وطاقته . ويقال لم يأل في الأمر جهداً[1] » .

من خلال هذه النماذج المختارة تبدو طريقة المؤلف في اصطفاء العبارات التي استخدمها الكتّاب ، وتقديمها للطلبة الناشئين ، وهو في عمله هذا أديب حسن الذوق في اختيار الألفاظ المأنوسة ، والبعد عن الألفاظ المفردة المهجورة أو الغريبة .

طبع كتاب « الألفاظ الكتابية » مرات عدة أفضلها طبعة المطبعة الكاثوليكية في بيروت عام 1885 م بتحقيق الأب لويس شيخو .

5.4 جواهر الألفاظ

قام قدامة بن جعفر[2] بتأليف كتابه هذا بعد أن اطلع على

(1) د . عزة الحسن ، المرجع السابق ، ص . 216 .

(2) ابن جعفر (ت . 320 هـ) أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي ، كاتب وناقد وأديب مشهور ، من كتبه كتاب « الخراج » ، وكتاب « نقد الشعر » وكتاب « جواهر الألفاظ » .

كتاب الهمذاني، فلم يشبع نهمه، ويشفي غليله، لأنه كان مغرماً بالسجع، ولوعاً بالبديع، لذلك وجد تراكيب كتاب الألفاظ الكتابية وعباراته غير كافية، فسعى إلى أبعد من ذلك، إلى مزيد من التوازن في العبارة، وهو ما أشار إليه بقوله: «هذا كتاب يشتمل على ألفاظ مختلفة تدل على معان متفقة مؤتلفة، وأبواب موضونة، بحروف مسجعة مكنونة، متقاربة الأوزان والمباني، متناسبة الوجوه والمعاني، تونق أبصار الناظرين، وتروق بصائر المتوسمين، وتتسع بها مذاهب الخطاب، وتنفسح معها بلاغة الكتاب... وقد ألف للألفاظ غير كتاب، فقيل: أصلح الفاسد، وضم النشر، وسد الثلم، وأسا الكلم [إشارة واضحة لكتاب الهمذاني] فوزن (أصلح الفاسد) مخالف لوزن (ضم النشر)... ولو قيل: أصلح الفاسد، وألف الشارد، وسدد العائد، وأصلح ما فسد، وقوَّم الأود، أو قيل: صلح فاسده، ورجع شارده، لكان في استقامة الوزن، واتِّساق السجع عوض من تباين اللفظ[1]».

هكذا يريد المؤلف أن يبني كتابه على السجع والتوازن

(1) قدامة بن جعفر، جواهر الألفاظ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1932 ص. 2-3.

اللفظي، وهو ما شغف به كتّاب القرن الرابع الهجري وما بعده، لأن التكلف والصنعة كانا من أركان الكتابة الفنية آنذاك.

ونعرض فيما يلي نموذجاً من الكتاب في معنى إصلاح الفاسد:

«أصلح الفاسد، وحصد المعاند، وأقام المائد، وقوّم الحائد، وردَّ الشارد، ولمَّ الشعث، وكفَّ الحدث، ورم ماشذَّ وانتكث، وضم النشر، وجانب الشر والأشر، ورم الرث، ووصل ما قطع واجتث، وجمع الشتات، وهجر الظلم والأعنات. وأعاد المنهدم، وداوى السقم، وأسا الكلْم، ورتق الفتق، ورقع الوهي والخرق، وشعب الصدع، ورأب القطع[1]».

هكذا يكون ابن جعفر قد ابتعد بمحسناته اللفظية هذه أكثر من الهمذاني عن طبيعة المعجم اللغوي، حيث لا نجد عنده مجالاً للشروح أو الشواهد، ولا توضيحاً للفروق بين معاني الألفاظ المترادفة.

---

(1) المصدر السابق، ص. 8.

طبع كتاب «جواهر الألفاظ» في القاهرة عام 1932 م بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

6.4 كتاب التلخيص

صاحب هذا الكتاب هو أبو هلال العسكري[1] وهو من بين أهم الكتب التي ألفت في هذا الباب تنظيماً واتساعاً، لأنه يرقى إلى مستوى المعجم بالرغم من ايجازه واختصاره.

عرَّف المؤلف كتابه بقوله: «هذا كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ونعوتها، وشرح أنواعها وفنونها، التي تفتقر أهل الأدب عامة إلى علمها، وتحتاج إلى اتقانها وحفظها. وقد هذَّبته، وشذَّبته، ونقَّحته، وأوضحته، ونفيت الشواغل عنه بإسقاط الشواهد والتصاريف منه إلاَّ نبذاً يسيراً متفرقاً منه، لا يشغل خاطراً، ولا يمل ناظراً... فضمنته من أسماء خلق الانسان وأوصافها. وذكر أخلاقه وأصنافها، ومن أسامي الآلات

(1) العسكري (ت. 394 هـ) أبو هلال، الحسن بن عبد الله، عالم في الأدب والنقد والبلاغة والشعر واللغة، له كتاب «سر الصناعتين»، وكتاب «جمهرة الأمثال»، وكتاب «التلخيص».

والأدوات ، وألوان المطعومات والملبوسات ، وجل أنواع المشروبات والمشمومات ، وأجناس البهائم والطيور والحشرات ، وغير ذلك من أسماء السحاب والأمطار ، وأوصاف النبات والشجر ، وذكر المياه والأنهار ، ونعوت الأحساء والآبار ، وتسمية الأبنية والدور ، والمنازل والقصور ، ما عجزت جميع كتب الأسماء والصفات عن بلوغ غايته فيها[1] » .

من خلال ما تقدَّم يبدو بوضوح تعرض الكتاب إلى موضوعات كثيرة في الطبيعة والانسان والحيوان والنبات والجماد ، وهو في هذه الشمولية أوسع من جميع المعجمات التي سبقته في هذا المجال .

جعل المؤلف كتابه في أربعين باباً كبيراً ، وقسَّم كل باب إلى فصول صغيرة تتفرع عن الأبواب . وقد خصص أبوابه الأولى للانسان ، فذكر خلقه وصفاته ، وما يتعلق بحياته الاجتماعية ، وعددها سبعة عشر باباً . كما خصص الأبواب الخمسة اللاحقة

(1) أبو هلال العسكري ، كتاب التلخيص ، تحقيق د . عزة الحسن ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، 1970 ، ج 1 ، ص . 1-3 .

للسماء والنجوم والأزمنة، والظواهر الطبيعية، أما الأبواب الأربعة الأخرى التي تلتها فقد خصصها لأسماء النبات والشجر والثمار، وذكر الزراعة وأدوات الزراعيين.

بعد ذلك انتقل إلى الجماد، فذكر أسماء الأرضين، وما فيها من فلوات وجبال ورمال فذكرها في باب واحد، انتقل إثرها إلى موضوع الحرب والسلاح وصفات الجيوش والكتائب فذكرها في باب واحد أيضاً.

أما الباب التاسع والعشرون والأبواب التي تلته فقد خصصها لعالم الحيوان فذكر الخيل والابل والوحوش والسباع والطيور وغيرها في سبعة أبواب، انتقل بعدها إلى موضوع الصناعات، فذكر فيها الأدوية والكتب وأدوات الكتابة، والملاعب والملاهي وذلك في أربعة أبواب، ثم اختتم كتابه بباب ذكر فيه أشياء مختلفة لا تدخل في الأبواب السابقة.

اتبع المؤلف في كتابه هذا طريقة ذكر الألفاظ التي تعبِّر عن معنى من المعاني، ثم شرحها، وذكر الألفاظ المترادفة، مع بيان ما بينها من فروق وتباين في المعنى، وهو يؤيد ذلك بقليل من

الشواهد القرآنية والحديثية والشعرية والأقوال المأثورة، وهي نفس الطريقة التي اعتمدها علماء اللغة قبله كابن السكيت في كتاب الألفاظ، وبالرغم من كونه لم يكثر من الشواهد بغية الاختصار.

وهاك نموذجاً من الكتاب يوضح طريقة المؤلف في العرض والشرح، يقول أبو هلال العسكري في ذكر الآنية والآلات وما يستعمل في البيوت:

«والابريق مذكر، فارسي معرب، وأصله آبريز. ويقال للابريق التامورة. وقال بعضهم: الملطاس عروة الطست. والمعروف أن الملطاس المعول الغليظ الذي يكسر الحجارة، والجمع ملاطس وملاطيس، وللابريق والطست العروة، وهي مقبضها، وتجمع عرى. فإذا لم يكن للابريق عروة سمي الكوب، والجمع أكواب. وفي القرآن: بأكواب وأباريق، وقال أبو عمر الشيباني: الكوب إناء مدوَّر فوق الكوز، ودون الجرَّة، لا عروة له[1]».

يؤخذ على المؤلف عدم التزامه التزاماً كاملاً في الخطة التي وضعها لنفسه، حيث ذكر على سبيل المثال أصناف السلاح

---

(1) المصدر السابق، ص. 289.

والحرب في أبواب النبات أو أبواب الحيوان، بينما مكانها الطبيعي أبواب الانسان. صدر الكتاب عن مجمع اللغة العربية في دمشق بتحقيق الدكتور عزة الحسن عام 1970، ويقع في جزأين.

7.4 فقه اللغة

يعد كتاب فقه اللغة للثعالبي[1] من أشهر معجمات المعاني المطبوعة في العربية. وقد أفاد المؤلف كثيراً من معجمات الألفاظ وكتب الألفاظ وكتب المعاني التي سبقته، ونقل عنها أشياء كثيرة، أفادته أيما فائدة في تأليف كتابه، وفي هذا يقول: «وتُرِكْتُ والأدب والكتب أنتقي منها وانتخب، وأفصِّل وأبوِّب، وأقسِّم وأرتِّب، وانتجع من الأئمة مثل الخليل والأصمعي وأبي عمرو الشيباني والكسائي والفراء وأبي زيد وأبي عبيدة وأبي عبيد وابن الاعرابي والنضر بن شميل... ومن سواهم من ظرفاء الأدباء الذين جمعوا فصاحة العرب البلغاء إلى اتقان العلماء[2]». ومن الملاحظ أنه لم

(1) الثعالبي (350-429 هـ) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري. من كبار علماء الأدب واللغة في عصره، له مؤلفات عدة أشهرها كتاب «يتيمة الدهر» الذي أرخ لشعراء عصره، وجمع فيه نخبة صالحة من أشعارهم. وكتاب «فقه اللغة وسر العربية».

(2) أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة، طبعة بيروت، ص. 9.

يذكر في مقدمته هذه كتاب « الألفاظ » لابن السكِّيت، مع أنه أفضل الكتب التي ألفت قبله في هذا الباب، كما لم يشر إلى كتب المعاني الأخرى التي سبقته مثل كتب الهمذاني وابن جعفر، علماً بأن هناك تشابهاً واضحاً بين كتابه وكتاب الهمذاني السابق الذكر، فضلاً عن أنه يروي بين حين وآخر عن ابن السكيت فيما يروى عنهم من العلماء.

يمتاز « فقه اللغة » بحسن الترتيب، وجمال التبويب، فقد وزَّع مادته على ثلاثين باباً كبيراً تناول كل باب منها معنى من المعاني الأساسية، أي موضوعاً رئيسياً واحداً، وتحت كل باب جملة من الفصول، وصل عددها في الكتاب برمته إلى ستمئة فصل شملت الموضوعات المتفرعة عن هذه المعاني الأساسية الأصلية، فالباب الثالث عشر مثلاً وموضوعه الألوان والآثار فيه تسعة وعشرون فصلاً صغيراً يحوي كل منها الألفاظ المستعملة في هذا المضمار، والباب العشرون وموضوعه الأصوات وحكايتها فيه ثلاثة وعشرون فصلاً يحوي كل منها الألفاظ المستخدمة في الأصوات كالأصوات الخفية، والأصوات الشديدة، وأصوات الابل والخيل، والسباع، والطيور، والحشرات، والماء وغيرها... أما الباب الرابع

والعشرون وموضوعه أعمار الناس والدواب فيضم سبعة عشر فصلاً يحوي كل فصل منها فرعاً من فروع الموضوع الرئيسي مثل أعمار الصغار، أعمار الشيوخ، أعمار النساء، أعمار الحيوانات من بعير وخيول وغيرها، وهو ترتيب يجعل استخدام الكتاب سهلاً، بالرغم من كونه لم يحذ فيه حذو كتاب التلخيص لأبي هلال العسكري في التدرج المنطقي من الانسان، إلى الطبيعة، إلى النبات فالحيوان، وإنما يجعل الباب الأول في الكليات (العموميات) ثم في التنزيل والتمثيل، ثم الطول والقصر الخ...

يبدأ المؤلف باب الكليات بقوله: «كل ما علاك فأظلك فهو سماء، كل أرض مستوية فهي صعيد، كل حاجز بين الشيئين فهو موبق، كل بناء مربع فهو كعبة، كل بناء عال فهو صرح، كل شيء دب على وجه الأرض فهو دابّة، كل ما غاب عن العيون وكان محصلاً في القلوب فهو غيب، كل ما يستحيا كشفه من أعضاء الانسان فهو عورة... كل بستان عليه حائط فهو حديقة والجمع حدائق[1]».

---

(1) المصدر السابق، باب الكليات.

كما يقول في فصل آخر من هذا الباب: «كل دابة في جوفها روح فهي نسمة. كل كريمة من النساء والابل والخيل وغيرها فهي عقيلة، كل ماله ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترسها فهو سبع[1]».

يمتاز الكتاب بكونه يوجِّه العناية للألفاظ المفردة دون التراكيب المعتمدة على التكلف والصنعة، ويتداول أكثر المعاني المعروفة التي شرحها مستعيناً بالقليل من الشواهد القرآنية والحديثية والشعرية، كما يوضح الفروق الدقيقة بين المترادفات، شأنه في ذلك شأن كتابي ابن السكّيت وأبي هلال العسكري، ويذكر العلماء الذين أخذ عنهم. وقد كشف في كتابه هذا عن غنى اللغة العربية في الألفاظ، واتساعها، وشمولها لأدق الفروق بين المترادفات، وهو ما جعله على ما يبدو يطلق على كتابه اسم «فقه اللغة وسر العربية».

ولم يكن الكتاب برمته من صنع الثعالبي، فقد نقل فصولاً كاملة عن أمثال ابن دريد والخوارزمي والجرجاني، وهو

---

(1) المصدر السابق، باب الكليات.

مختصر في موضوعه، قليل الشواهد، ولو أنه ضرب الأمثال من الشعر والنثر لتحديد المعاني لأصبح كتابه كتاب أدب ولغة، ولأصبح متعة لا تملُّها النفس، وأساساً لدراسة تطور المعاني والألفاظ والتعابير في اللغة العربية.

جاء في الفصل الخامس والعشرين من الباب التاسع عشر في تفصيل الطيران وأشكاله وهيئاته ما يلي:

«... وإذا حرَّك الطائر جناحيه ورجلاه في الأرض قيل: رفَّ، فإذا طار قريباً على وجه الأرض قيل: أسفَّ. فإذا كان مقصوصاً وطار كأنه يرد جناحيه إلى ما خلفه قيل: جذف (وفيه سمي مجذاف السفينة)، فإذا حرَّك جناحيه في طيرانه قريباً من الأرض وحام حول الشيء يريد أن يقع عليه قيل: رفرف، فإذا بسط جناحيه في الهواء وسكنهما فلم يحركهما كما يفعل الحِدَأُ والرَّخْمُ قيل صفَّ (وفي القرآن: والطير صافَّات) فإذا ترامى بنفسه في الطيران قيل: زفَّ زفيفاً[1]».

(1) المصدر السابق، ص. 192.
الحدأ جمع حدأة، الرخم جمع رخمة وهي من الطيور الجوارح.

وجاء في فصل تعداد ساعات النهار والليل على أربع وعشرين نقطة ما يلي : « ساعات النهار : الشُروق ، ثم البُكور ، ثم الغُدوة ، ثم الضحى ، ثم الهاجرة ، ثم الظهيرة ، ثم الرَّواح ، ثم العصر ، ثم القصر ، ثم الأصيل ، ثم العَشي ، ثم الغروب .

ساعات الليل : الشفق ، ثم الغسق ، ثم العَتَمة ، ثم السُّدفة ، ثم الفحمة ، ثم الزُّلة ، ثم الزلفة ، ثم البُهرة ، ثم السَّحر ، ثم الفجر ، ثم الصبح ، ثم الصباح[1] » .

من هنا تبدو عنايته الشديدة بالألفاظ دون التراكيب والجمل. لقي كتاب « فقه اللغة » اهتماماً كبيراً من العلماء ، وانتشر انتشاراً واسعاً في القديم والحديث ، كما طبع مرات عدة في القاهرة وبيروت ، أهمها طبعة المطبعة الأدبية في القاهرة بتحقيق مصطفى السقا ، وابراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ الشلبي .

8.4 المخصص

يعد كتاب المخصص لابن سيده الاندلسي[2] تتويجاً لهذا

(1) المصدر نفسه ، فصل ساعات النهار والليل .

(2) سبق التعريف به عند الحديث عن كتابه المحكم والمحيط الأعظم..

النوع من الكتب ، حيث بلغ فيه مرتبة عالية من التبويب والتنظيم ، والشمول والاستيعاب ، فهو أكبر معجم من معجمات المعاني العربية حتى الآن ، وأغزرها مادَّة ، وأجدرها بحمل اسم معجم للمعاني .

وضع المؤلف كتابه هذا بعد أن قام بتأليف معجم « المحكم » في اللغة على طريقة الفراهيدي ، لأنه أراد إكمال عمله الكبير هذا بمعجم آخر مبوَّب على المعاني تسهيلاً على الادباء والشعراء والخطباء ، وهو ما أشار إليه بقوله : « لما وضعت كتابي الموسوم بالمحكم مجنساً لأدلَّ الباحث على مظنَّة الكلمة المطلوبة أردت أن أعدل به كتاباً أضعه مبوباً حين رأيت ذلك أجدى على الفصيح المِدْرَهِ ، والبليغ المفوَّه ، والخطيب المصقع ، والشاعر المجيد المدقع ، فإنه إذا كانت للمسمَّى أسماء كثيرة ، وللموصوف أوصاف عديدة ، تنقَّى الخطيب والشاعر منها ما شاءا ، واتسعا فيما يحتاجان إليه من سجع أو قافيةٍ ، على مثال ما نجده نحن في الجواهر المحسوسة كالبساتين تجمع أنواع الرياحين إذا دخلها الإنسان أهوت يده إلى ما استحسنته حاستا نظره وشمِّه [1] » .

(1) ابن سيده ، كتاب المخصص ، بيروت ، المكتب التجاري ، 1966 ، ج 1 ، ص . 10 .

وجد ابن سيده الحاجة ملحَّة لتأليف هذا المعجم الشامل، ليجمع به ما تشتت من ألفاظ ومترادفات في كتب الصفات الصغيرة التي لم تكن تفي بالغرض، أو تشفي الغليل، وهي مفرَّقة مبعثرة، فوجد ضرورة جمعها وتنظيمها داخل كتاب كبير مستوعب لما جاء فيها، مضيفاً إليه ما ينبغي إضافته حتى يكون وافياً شافياً، وفي هذا يقول: «... وتأملت ما ألفه القدماء في هذه اللسان المعربة الفصيحة، وصنفوه لتقييد هذه اللغة المتشعبة الفسيحة، فوجدتهم قد أورثونا بذلك فيها علوماً نفيسة جمَّة... إلاَّ أني لم أر لهم فيها كتاباً مشتملاً على جلها، فضلاً عن كلها... فاشرأبت نفسي عند ذلك إلى أن أجمع كتاباً مشتملًا على جميع ما سقط إلى من اللغة إلاَّ مالا بال به، وأن أضع على كل كلمة قابلة للنظر تعليلها، وأحكم في ذلك تفريعها وتأصيلها[1]»، لذلك كانت مصادره كثيرة، فقد جمع في كتابه جميع الموضوعات التي ذكرت في كتب أبي حاتم في الأزمنة والحشرات والطير، وكتب الأصمعي في السلاح والإبل والخيل، وكتب أبي زيد الأنصاري في الغرائز والأنواء، وغيرها من الكتب المؤلفة في الألفاظ المفردة مثل

---

(1) المصدر السابق، 1:8-9.

كتب «غريب الحديث» و «الغريب المصنَّف»، فضلاً عن كتب ابن السكيت «اصلاح المنطق» و «الألفاظ»، وكتب الأصوات، والممدود والمقصور، ومعاني الشعر، وكتب الدينوري، والفَّراء، والمبِّرد، والنضر، وابن الأعرابي، إضافة إلى جمهرة ابن دريد، وبارع القالي، وغيرهما كثير[1] لذلك جاء كتابه شاملاً وافياً لما ورد فيها من المعاني والألفاظ.

اتبع ابن سيده خطة أبي هلال العسكري في تبويب الكتاب على الموضوعات، لكنه جعله في أبواب كبيرة أسماها كتباً لاتساع حجم مادتها، ورتَّبها ترتيباً منطقياً وفق الأولويات، فبدأ بالانسان ثم الحيوان، ثم الطبيعة، فالنبات، فالإنسان والمجتمع. وأعطى كل كتاب منها عنواناً خاصاً به مثل: خلق الإنسان، الغرائز، النساء، اللباس، الطعام، الأمراض، المنازل، السلاح، الخيل، الإبل، الغنم، الوحوش، الحشرات، الطير، الأنواء والسماء والفلك الخ.. ثم قسَّم كل كتاب بدوره إلى أبواب بعدد ما يمكن أن يكون فيه من فروع، وهو في هذا أكثر إحكاماً مما سبقه من كتب في هذا الموضوع كفقه اللغة للثعالبي، والغريب

---

(1) المصدر نفسه، 1: 12.

المصنَّف لأبي هلال العسكري، بالرغم من بعض الخلل والاضطراب الذي نلحظه في تبويبه. وقد أشار المؤلف إلى طريقته المحكمة هذه بقوله: «فأمَّا فضائل هذا الكتاب من قبل كيفيه وضعه فمنها تقديم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص، والإتيان بالكليات قبل الجزئيات، والابتداء بالجواهر، والتقفية بالإعراض على ما يستحقه من التقديم والتأخير، وتقديمنا كمّ على كيف، وشدَّة المحافظة على التقييد والتحليل[1]».

انطلاقاً من هذه الخطة نجد المؤلف يذكر في باب الحمل والولادة مثلاً أسماء ما يخرج مع الولد أولاً، ثم يذكر الرضاع والفطام والغذاء وسائر ضروب التربية، ويتحدث عن غذاء الولد، وأسماء أول ولد الرجل وآخرهم، ثم أسماء ولد الرجل في الشباب والكبر، أسنان الأولاد وتسميتها من مبدأ الصغر إلى منتهى الكبر، وأسنان النساء من مبدأ الصغر إلى منتهى الكبر، ويذكر شخص الإنسان وقامته وصورة الرأس ابتداءً بنبات الشعر وكثرته، قلّة الشعر وتفرقه في الرأس وانتتافه، وما يتعرض للشعر من حكّه ونحوها، وعلاج الشيب ونعوته، وحلق الشعر، ثم يتحدث عن الأذن وما فيها وصفاتها،

(1) المصدر السابق، 1: 10.

والوجه، والحاجب، والعين وما فيها، وصفات ألوان الحدقة إلى غير ذلك من أمور، مما يدل بوضوح على الطريقة المتقنة التي سلكها ابن سيده في تنسيق كتابه، وإحاطته بالموضوع المطروح قبل الانتقال لغيره.

أما بالنسبة لشروح الألفاظ، وتخصيصها بمعانيها، فقد سار المؤلف على طريقة كتاب الألفاظ نفسها لابن السكِّيت، وكتاب التلخيص لأبي هلال العسكري، من حيث بيان الفروق بين الألفاظ والمترادفات، وتفسيرها بوضوح، مع الاكثار من الشواهد لا سيَّما من الشعر القديم، والحرص الشديد على ذكر اسماء العلماء الذين استقى عنهم المواد اللغوية.

يقول كتاب المخصص في صفات العين ما يلي:

«أبو حاتم السجستاني: عين ظمياء: رقيقة الجفن. ثابت، أبو محمد ثابت بن أبي ثابت من الكوفيين: في العين النجل، وهو سعة العين وحسنها، رجل أنجل وامرأة نجلاء.

ابن جني: الجمع نُجْل ونجال، نادر. ثابت: نجلت العين

نجلاً، ومنه طعنة نجلاء، أي واسعة، وفيها البجج وهو سعتها. رجل أبـج وامرأة بجاء، وقد بجَّ يبج، بججاً وأنشد يقول:

والطـــرف منـــه مستعـــار بَججـــه
وقصب زينـــــة حد كـجّــــــهُ

أبو حاتم: رجل بجيج العين...[1]»

كما يقول في الجبال وصفاتها:

«صاحب العين: الجبل كل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال.

فأما ما صغر وانفرد فهو من القيران والأكم...».

غير واحد: جبَل وأجبل وأجبال وجبال، وجبلة الجبل: غلظته وخلقته.

ابن السكيت: أجبل القوم: أتو الجبل، وقد تقدم الأجبال في الحفر وتجبلوا، دخلوا في الجبل.

أبو عبيدة: الطوّد، الجبل، وجمعه أطواد[2]».

(1) المصدر السابق. 3: 70

(2) المصدر السابق. 1: 98.

ويقول أيضاً في الرقيق من الثياب :

«أبو عبيد : السُبوب : الثياب الرقاق ، واحدها سبٌّ ، والسبيبة كذلك .

ابن دريد : السِبّ والسَّبيبة : الشقة البيضاء ، والسُّبُ الخمار .

أبو عبيد : الشَّف : الثوب الرقيق ، والجمع شُفوف ، واللهلة والنهنه : الثوب الرقيق النسيج .

ابن السكيت : ثوب هلهل وهلهال ، رقيق النسيج .

ابن دريد : ثوب هل وهلاهل كذلك .

صاحب العين : كل مارق فقد سخف سخافة ، وأكثرها ما يستعمل في رقة العقل .

ابن دريد : ثوب رفٌّ ، بين الرفف وهو الرِّقة .

محمد بن يزيد : ثوب هفَّاف ، يخف مع الريح من رقته .

صاحب العين : ثوب خالٌ ، رقيق ، وأنشد ،والخال ثوب من ثياب الجهَّل .

ثعلب : الخال ثوب ناعم من ثياب اليمن ، وأنشد :

وثوبـــــان من خال وسبعـــــون درهماً
على ذاك مقــــروطٌ من الجلــــدِ ماعــــزِ (1)

من خلال ما تقدم من أمثلة نلمح المبدأ المنطقي الذي اتبعه ابن سيده في عرض الموضوعات ، وبيان المفردات الخاصة بمختلف المعاني ، مع ذكر المصادر وأسماء العلماء الذين أخذ عنهم ، واعتماد الشواهد المختارة ، فضلاً عن تقديم الكليات على الجزئيات ، وهو مبدأ أكسب كتابه نظاماً عاماً يقره العقل ، ووحدة متكاملة يرضى عنها الذوق ، وهندسة متماسكة يقبلها العلم ، وهي إن دلَّت على شيء ، فإنما تدل على مقدرة ابن سيده ، وثقافته الواسعة ، وورعه العلمي .

والكتاب على مزاياه الكثيرة التي أسلفنا فيها القول ، فهو لا يخلو من بعض العيوب كعدم تقيده تقيداً دقيقاً بالخطة التي رسمها

---

(1) المصدر السابق . 1 : 63-64 .

المؤلف لنفسه في مجال التبويب، حيث اختلطت عنده الموضوعات بعض الشيء فضلاً عن إقحامه مسائل لغوية، ونحوية، وصرفيه في كتابه وهي في حد ذاتها بعيدة عن موضوعه وغايته، مثل حديثه عن المقصور والممدود، والتذكير والتأنيث، وأبنية الأفعال، وما ينقل من حروف الجر بعضها عن بعض، وإضافة الجامد إلى الجامد، والمنصرف إلى المنصرف، والمشتق إلى المشتق وغيرها.

صدر الكتاب أول مرّة عن مطبعة بولاق بمصر في سبعة عشر جزءاً عام 1361 هـ، ثم اعيد إصداره تصويراً عن المكتب التجاري في بيروت في خمسة مجلدات عام 1966 [1]. كما خرجت منه طبعة مختصرة حسنة التبويب، مخففة من الأسانيد والروايات والشواهد تحت عنوان «الإفصاح في فقه اللغة» بتحقيق عبد الفتاح الصعيدي، وحسين يوسف موسى، وصدرت عن دار الكتب المصرية عام 1299 هـ.

---

(1) عند الرجوع إلى الكتاب يجب الإعتماد على الفهارس الملحقة بكل جزء من أجزائه، إذ أن لكل كتاب من كتبه فهرساً بعدد الأبواب والفصول، يذكر الموضوعات التي وردت فيها، كما وضعت له فهارس أبجدية من قبل الناشرين.

الفصل الثالث

المعجمات الحديثة

وجَّه علماؤنا الأجلاَّء منذ عصر التدوين، جل اهتمامهم ورعايتهم للغتنا العربية، لغة القرآن الكريم، فجمعوا ألفاظها، ونقحوها، وهذبوها، ورتبوها على طرائق تكاملت تدريجياً، وحاول كل منهم تجاوز أخطاء سابقيه في الجمع والتنظيم، فبلغوا بها مع الزمن مرتبة متقدمة متطورة. إلاَّ أن هذه المعجمات على كثرتها، واتساعها، وقعت في عدد من العيوب كالتصحيف والتحريف، وجمع اللغة واضحها وغريبها ونادرها ولغاتها حتى اختلطت هذه الأصناف اختلاطاً كبيراً.

لقد امتلأت هذه الكتب، على جلال قدرها وعظم فائدتها ـــ بالأعلام العربية والأعجمية، وأسماء الأماكن والخرافات، والمفردات الطبية التي هي أقرب ماتكون إلى دوائر المعارف منها إلى المعجمات اللغوية، كما اضطربت طرائق الرجوع إليها داخل

الأبواب والفصول، والأبنية والتقاليب، واختلطت الشروح داخل المواد، مع خلط المعاني الحقيقية بالمجازية أحياناً، أو المتقدمة بالمتأخرة.

يضاف إلى ذلك كله قصور علمائنا في جمع اللغة لأنهم نظروا إليها نظرة ناقدة لا جامعة، فأهملوا المولد، «حتى ضاع علينا كثير من الألفاظ والمعاني التي ابتكرها العباسيون للمظاهر والحياة الجديدة التي عاشوا فيها، وجعلوا اللغة لاتساير ركب الحياة، فاتهمت بالتحجر[1]».

وكان من نتائج تقليد هؤلاء العلماء بعضهم لبعض، قصور العرض وإبهامه، وسوء التفسير، مع الحشو والاستطراد، وعدم ضبط الكلمات بالضوابط الزمنية، وهو أمر لايعين على متابعة التطور التاريخي للغتنا، فضلاً عن وقوفها عند حدود مكانية وزمانية ضيقة أفقدتها الكثير من معالم الحياة والتطور.

لقد بذل علماؤنا القدماء ما في وسعهم لجمع لغتنا العربية وتدوينها، واستقصاء مفرداها وترتيبها، بالرغم من قلّة الوسائل

---

(1) د. حسن نصّار، المرجع السابق، م 2، ص. 752.

والأدوات التي وجدت لديهم، ولهم في ذلك منا الشكر كله والتقدير والثناء على جهودهم القيمة، وأعمالهم الرائدة التي حوت معظم ثروتنا اللغوية التي نعتز بها أيما اعتزاز.

انطلاقاً من هذه الأسباب مجتمعة أصبح من الضروري تطوير هذه المؤلفات القديمة الرائدة، ورفد المكتبة الحديثة بمعجمات تعتمد في مادتها على القديمة، مع تفادي الأخطاء التي وقعت فيها، وتنسجم مع روح العصر الحاضر ومطاليبه في الجمع والعرض والتبويب، لتكون جيدة الجمع، حسنة العرض، سهلة الاستخدام.

وتحقيقاً لهذه الغاية، فقد بدأ عدد من رجال اللغة العرب والمستشرقين، بدءاً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر بتأليف معجمات أخرى تعتمد في جملتها على المعاجم القديمة، وتساير العصر، إلاّ أنهم لم يفلحوا حتى الآن في الوصول بالمعجم العربي إلى المنزلة التي يصبو إليها، من حفاظ على سلامة اللغة، وملاءمة لحاجات الحياة في عصرنا الحاضر، علماً بأنهم تمكنوا من تخليصه من تعقيدات العرض والتبويب، وجعلوه يسير وفق الترتيب الألفبائي على أوائل الأصول، ووضعوا له قواعد حسنه للشرح والشواهد،

كما أضافوا إليه مجموعة من المفردات الحديثة، وسعوا إلى طرح المهمل والمترادف والمشترك والأضداد ما أمكن ذلك. وكان لبنان، ومجامع اللغة العربية بدمشق والقاهرة سبّاقة في هذا المجال.

ونعرض في الصفحات التالية لمحة موجزة عن كل من هذه المعجمات، للتعريف بها وبمزاياها وبما حققته من جوانب إيجابية مفيدة في طريق الوصول إلى المعجم العربي الذي تحتاجه المكتبة العربية الحديثة، والقارىء العربي في هذا العصر.

1. محيط المحيط

وضعه المعلم بطرس البستاني[1]، وهو قاموس مطول للغة العربية، أراد المؤلف له أن يحوي ما في «القاموس المحيط» للفيروزابادي من مفردات، مع زيادات كثيرة أخرى مما يحتاجه القارىء في العصر الحديث من اصطلاحات العلوم والفنون[2]، لذلك اختار له هذا الاسم «محيط المحيط»، وعنه يقول المؤلف:

---

(1) البستاني (1819 - 1883 م) بطرس بن بولس بن عبد الله البستاني، ولد في قرية الدبيَّة بلبنان، وهو من أبرز الأدباء واللغويين العرب في العصر الحديث، عالم واسع الاطلاع، أجاد عدداً من اللغات الأجنبية كالسريانية والايطالية واللاتينية والعبرية واليونانية، ترجم التوراة عن العبرية، ومن أشهر مؤلفاته «دائرة المعارف» و «محيط المحيط» وله غيرها. أنشأ عام 1860 م. جريدة «نفير سورية»، ثم عام 1870 م. «مجلة الجنان».

(2) ابتدأ بطرس البستاني معجمه بهذين البيتين من الشعر:

قل لمن لا يرى الأواخر شيئا ... ويرى للأوائل التقديما

إن ذاك القديم كان حديثا ... وسيبقى هذه الحديث قديما

«ولما كان المؤلَّف [محيط المحيط] يحتوي على ما في محيط الفيروزابادي الذي هو أشهر قاموس للعربية من مفردات اللغة، وعلى زيادات كثيرة عثرنا عليها في كتب القوم، وعلى ما لابد منه لكل مطالع من اصطلاحات العلوم والفنون، سميناه محيط المحيط، وقد جعلنا في آخره فهرساً أدرجنا فيه على حروف المعجم أسماء ما اشتهر من الأماكن والأشخاص والقبائل، ولاسيما ما ورد في ذلك في التصانيف العربية، وذلك تعميماً لفائدته، ورتبناه على وجه سهل المراس على العامة فضلاً عن الخاصة[1]».

سار المؤلف في ترتيب معجمه على الطريقة الألفبائية وفق أوائل الأصول، وهو يقول في هذا الشأن: «إذا شئت كشف لفظة، فإذا كانت مجرَّدة فاطلبها في باب أول حرف منها، وإذا كانت مزيدة فجردها أولاً من الزوائد، ثم اطلبها في باب الحرف الأول مما بقي، وإذا كان في الكلمة حرف مقلوب عن آخر فاطلبه في تلك الكلمة في مكان الحرف الأصلي المقلوب عنه[2]».

يمتاز الكتاب فضلاً عن حسن ترتيبه بالتفصيل في شرح

(1) بطرس البستاني، محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، 1970، المقدمة.

(2) المصدر السابق، الخاتمة.

مواد أوجزها الفيروزابادي ضمن معجمه، بالرغم من محافظته على عباراته في التفسير، وحذف مواد أخرى يتصل أكثرها بالأشخاص والقبائل لقلّة أهميتها، ثم إدخال مواد جديدة، منها ما يدل على معان تتصل بالدين المسيحي، ومنها ماهو عامي، فضلاً عن بعض المصطلحات العملية الحديثة المفيدة، مع قليل من الشواهد الشعرية والنثرية. وفوق هذا فقد استعاض عن ضبط الكلمات كتابة، بضبطها بالحركات، وهذا أفضل.

يقول المؤلف في شرح مادة (سقى):

« سقاه يسقيه سقياً (يائي) أعطاه ماء لفيه، وجعل له ماءً يسقى به، وقال له: سقاك الله، أو سقياً لك. والاسم: (السقيا) وسقى الله فلاناً الغيث، أنزله له. وسُقيَ قلبه عداوة: أُشرب. وساقاه مُساقاةً: سقى كل واحد صاحبه. وسقاه: دلّه على الماء. وسقى ماشيته أو أرضه: جعل له ماء يسقى به. واستسقى الرجل من فلان استسقاءً: طلب السقي وإعطاء ما يشربه. الساقي: اسم فاعل ـــ الساقية: النهر الصغير وهو فوق الجدول, والسقاء: جلد السخلة يكون للماء واللبن، والسّقاية: موضع السقي. والسقاية: الاناء يسقى به، وهو من قوله تعالى في سورة يوسف: (وجعل

السقاية في رحل أخيه) وهي الصواع الذي كان الملك يشرب فيه وسقياً لفلان : دعاء له ، والتقدير : سقاه الله سقياً[1] » .

من خلال هذا الشرح نلاحظ الدقة في ترتيب مشتقات المادة المشروحة ، واستقصائها بدون إطالة ، مع إيراد الشواهد عند الضرورة لجعل الشروح مفهومة .

يقع الكتاب في جزأين عدد صفحاتها المطبوعة (2308) صفحات . وقد طبع أول مرة في بيروت وصدر عن مكتبة لبنان عام 1870 م ، ثم أعادت المكتبة نفسها طباعته بالأوفست مصوراً عن الطبعة الأولى عام 1970 م ، كما جدَّدت مكتبة لبنان طبعه عام 1977 م في مجلد واحد ، بعد أن صححت الأخطاء الطباعية ، وميزَّت المداخل الجذرية والرئيسية بلون مختلف ، مما يساعد على سهولة استخدامه .

اختصر المؤلف كتابه هذا في كتاب آخر أصغر حجماً وضعه لطلبة المدارس والناشئة أسماه « قطر المحيط » ، وقد اختار له هذا الأسم لأن نسبته إلى الكتاب الأول « توشك أن تكون كنسبة قطر دائره إلى محيطها[2] » ، وسار فيه على نهج كتابه الأول ، إلاَّ أنه حذف جزءاً كبيراً من مادته ، وزاد في بعضها ، بينما تصرف في

---

(1) المصدر السابق ، مادة سقي .

(2) بطرس البستاني ، قطر المحيط ، بيروت ، 1870 ، المقدمة .

بعضها الآخر، وأكثر ما حذفه كان من زيادات المحيط على القاموس.[1]".

صدر قطر المحيط في بيروت أيضاً ضمن مجلدين عام 1870 م. كما صدر في طبعة حديثة عن دار لبنان في بيروت عام 1983 م في مجلد واحد من الحجم الكبير يقع في (994) صفحة.

---

(1) د. حسن نصّار، المرجع السابق، 2 : 715.

2. أقرب الموارد

هذا الكتاب هو أضخم معجم ظهر في العصر الحديث، واسمه الكامل (أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد) من تأليف سعيد الخوري الشرتوني[1]. وقد اعتمد في تأليفه بصورة خاصة على كتاب القاموس المحيط للفيروزابادي، إلى جانب عدد هام من كتب اللغة القديمة، ذكرها في مقدمته بقوله: «أقبلت على كتب الأئمة الثقات، واللغويين الأثبات من مثل ابن منظور المصري صاحب لسان العرب، والزمخشري مصباح البلاغة والأدب، والجوهرب مؤلف الصحاح، والفيومي مؤلف المصباح، والراغب الأصفهاني صاحب المفردات، المطرزي منشىء المغرب والبديع الآيات، والزبيدي صاحب التاج، والمجد صاحب القاموس البديع

(1) الشرتوني (1849-1919) سعيد بن عبد الله، بن الخوري، ولد بقرية شرتون في عاليه بلبنان، واليها نسب. من أعلام اللغة في عصره. كان مدرساً للغة العربية في مدرسة اليسوعيين في بيروت. له مؤلفات عدة أهمها «أقرب الموارد».

المنهاج، وابن فارس مؤلف المجمل، والرازي منتقي المختار الأفضل.[1]» كما أوضح أنه حاول قدر جهده تصحيح ما وقعوا فيه من أخطاء، أو تناسوا عنه، وهي أمور يمكن أن يقع فيها أي مؤلف مهما بلغت درجة علمه، ثم يضرب لنا مثالاً عن نفسه بأنه عندما ألف كتابه «أقرب الموارد» راجعه مراراً، حتى أدت به المراجعة المتكررة إلى قيامه بتأليف ذيل أكمل به الكتاب، وذكر فيه ما فاته ذكره من الفاظ لغوية في كتابه بعد الانتهاء من تأليفه.

رتّب الشرتوني كتابه على أوائل الأصول أسوة بالمعاجم الحديثة بغية تسهيل استخراج الألفاظ منه، ووضع المادة الأصل في صدر السطر بين نجمتين قبل شرحها، كما وضع كل فرع من فروعها بين هلالين، واستخدم القليل من الرموز لبعض الألفاظ التي يتردد ذكرها كثيراً في الكتاب مثل ج للجمع وغيرها.

عرض المؤلف في مقدمته سبعة مقاصد أوضح في أولها عزمه على جعل الكتاب سهل المنال حسن المطلب يتناسب مع حاجة الباحثين في العصر الحديث، بينما تعرّض في المقصا. الثاني

(1) سعيد الخوري الشرتوني، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، بيروت، المطبعة اليسوعية، 1889، ج. 1 ص. 6.

لقصور بعض اللغويين في التعريف بالشيء أو النبات أو الحيوان، وللشروح المبهمة التي وقعت فيها بعض معجماتنا، وأشار إلى ضرورة تفادي مثل هذه الشروح، وضرب لذلك أمثلة استقاها من كتب اللغة الأمهات.

أما المقصد الثالث فقد أبدى فيه عزمه على تصحيح ما عثر عليه من أغلاط النسخ والطبع محافظة على اللغة العربية، وحماية لها من التحريف، ومصدر هذه الأغلاط إما نسيان حرف أو كلمة أو جملة، أو الأخطاء المطبعية الأخرى.

وتحدَّث في المقصد الرابع عن الحقيقة، والمجاز، والمشترك، والمترادف، والمولَّد، والدخيل، والمصنوع، معرِّفاً بكل منها، بينما ألمع في المقصد الخامس إلى ما في المعاجم العربية من اختلاف صور التعبير مع وحدة المؤدى، كما جعل المقصد الخامس في فوائد شتى في الأفعال والأصول والاشتقاق، وأخيراً خصص المقصد السابع للعرب الذين أخذ عنهم اللسان العربي، وفي هذا يقول: «العرب الذين أخذ عنهم اللسان العربي هم قيس وتميم وأسد، قال السيوطي في المزهر نقلاً عن الكتاب المسمَّى بالألفاظ والحروف: فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه،

وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن يسكنون أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والأقباط، ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية... ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من عبد قيس ولا من أزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من أهل ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم[1]».

التزم الشرتوني الدقة في ترتيب مواده داخل المعجم، فقد بدأ بذكر الفعل الماضي المجرد، وأخّر الأسماء والصفات، كما طرح في شروحه الكثير من الفضول الذي حفلت به معجماتنا القديمة، وأغفل كثيراً من تعدد الأوجه في التفسير، كما أضاف إلى كتابه

(1) أقرب الموارد، المصدر السابق، المقدمة.

كثيراً من المصطلحات العلمية الحديثة، والألفاظ المعاصرة، والأعلام الجدد، وبعضاً من الألفاظ العاميّة والدخيلة .

يقول المؤلف في شرح مادة (أفل) :

«أفل: أفل القمر والشمس والنجم أفولاً : غاب، فهو (آفل ج. أفّل وأفول)ــ (أفَلَتِ) المرضع: أفولاً وأفلاً : ذهب لبنهاــ و (أفل) الرجل أفلاً : نشطــ (الأفيل): صغير الابل ج. إفال وأفائل، وهي (أفيلة)[1]» .

يتألف المعجم من مجلدين وذيل وهو المجلد الثالث، شرح فيه المؤلف ما تركه عمداً أو سهواً في المجلدين الأول والثاني، وما استدركه على اللسان والتاج، كما ذكر فيه الأخطاء التي وقعت في كتابه الأصل بعد مراجعته ومعارضته بالأمهات الصحيحة . وقد صدر المعجم في مجلدين وذيل عن الطبعة اليسوعية في بيروت عام 1889 .

(1) المصدر السابق، 1 : 14 .

3. المنجد

المنجد في اللغة من تأليف اللغوي اللبناني الأب لويس معلوف[1]، وهو معجم قريب المأخذ، سهل المنال، لقي رواجاً كبيراً بين معجماتنا العربية الحديثة نظراً لما انطوى عليه من مميزات مثل غزارة المادة مع طرح فضول القول، والمظهر المناسب الذي ظهر به كنظائره من المعجمات الأجنبية المماثلة في الحجم والمحتوى، إضافة إلى التحسينات التي أدخلت عليه في طبعاته الأخيرة من ألوان وصور وجداول وخرائط[2]، وقد قال مؤلفه عن سبب تأليفه أنه يتلخص في «كثرة ما لهج به أرباب المدارس

(1) لويس معلوف (1876-1946 م) لويس بن نقولا معلوف اليسوعي، ولد في مدينة زحلة بلبنان، تعلم في بيروت ثم في أوربا، وهو من علماء اللغة العربية وأعلام النهضة الحديثة، حرَّر جريدة «البشير» زهاء ثلاثين سنة. من مؤلفاته «المنجد» في اللغة.

(2) تتجلى هذه التحسينات بطباعة المادة الأم الأصلية باللون الأحمر، وطباعة الألفاظ المشتقة منها أثناء الشروح بالحرف الغليظ، ثم طباعة الشروح بالحرف العادي، وذلك تسهيلاً للبحث فيه. كما تتجلى في تزويده باللوحات والصور والخرائط الموضحة للمعاني، ورفده بمعجم موسوعي آخر في الأدب والعلوم، وكلها حدثت بعد وفاة المؤلف.

وطلابها بالحاجة إلى معجم مدرسي ليس بطويل ممل، ولا بهزيل مخل معوز، يسير مع المنهج الذي سارت به المعجمات اللغوية الأجنبية من أحكام وضع، ووضوح دلالة... وكنّا ممن انتبه إلى هذا الأمر، ورغب أشد الرغبة في تحقيق هذه الأمنية[1] »، كما قال أيضاً في وصف معجمه بأنه «قريب المأخذ، ممتازاً بما عرفت به المعجمات المدرسية في اللغات الأجنبية[2] »، لذلك، وتحقيقاً لهذه الغاية، قام بمطالعة الكتب الأمهات، ومشاورة أهل العلم والأدب واللغة من رجال الفكر، وعمل بجهد كبير، وغاية مقصودة، مع المحافظة على عبارات الأقدمين، وإغفال لذكر الكلمات البذيئة التي لايضير جهلها، وقلّما أفاد علمها.

رتبت مواد المنجد ترتيباً قاموسياً سهلاً على الطريقة الألفبائية، بينما رتبت الكلمات داخل الشروح وفقاً للمعاني بحيث قسّمت كل مادة إلى فصائل مختلفة، أما الكلمات المجرَّدة فتطلب في باب أول حرف منها، والكلمات المزيدة أو التي فيها حرف مقلوب عن آخر فتجرد وترد إلى أصلها ثم تطلب في الحرف الأول

(1) لويس معلوف، المنجد في اللغة، بيروت، ط 18، ص. 8.

(2) المرجع السابق، ص. 3.

من حروفها الأصلية. كما وضع الفعل المضاعف الثلاثي في أول المادة، أما المضاعف الرباعي فقد ردَّ إلى الأصل الثلاثي نحو «صمصم» ردَّت إلى «صمَّ»، و«ململ» ذكرت في «ملَّ» و «دحرج» شرحت في «دَحَرَ». وتطرَّق للمزيد من الأفعال، وجاء بكل الصيغ وهي فعَّل، فاعل، أفعل، تفعَّل، تفاعل، افتعل، انفعل، أفعل، استفعل، افعوعل، افعوَّل، افعالَّ، تفعلل، افعلَّل، كذلك جاء بالمشتقات الأخرى، وأسماء المكان والزمان، واسم الآلة، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأفعال التفضيل، ثم جاء بالموصوف المذكر والمؤنث، المثنى والجمع بكل أنواعه.

وقد اصطلح المؤلف عدداً من الرموز للكلمات التي يتكرر ذكرها في أكثر صفحات الكتاب تحاشياً للاتساع، وذلك على غرار ما رأيناه عند الفيروزابادي، وعلى غرار ما هو متعارف عليه في المعجمات الأجنبية الحديثة. ومن أمثلة هذه الرموز (فا) لاسم الفاعل، و (مفع) لاسم المفعول، و (مص) للمصدر، و (م) للمؤنث، و (هـ) للمفعول، كما استعمل الخطوط الأفقيَّة دلالة على اللفظة المكرَّرة بدلاً من تكريرها، ووضع المادة الأصل

بين هلالين وفروعها بين قوسين معقوفين الخ .. وهناك رموز أخرى للمنجد في الأدب والعلوم الذي ألحق بالمنجد في اللغة .

ظهر الكتاب في طبعته الأولى عام 1907 م . تحت عنوان «المنجد» معجم مدرسي مع رسوم، وأعيد النظر فيه عند طباعته للمرَّة الخامسة التي ظهرت عام 1927 م . مزدانة بألف صورة ونيف، ومزيَّنة بفرائد الأدب والأقوال السائرة عند العرب . كما ظهر في طبعته الخامسة عشرة عام 1956 م . بعنوان «المنجد في اللغة والأدب والعلوم»، ثم ظهر بعد ذلك تحت العنوان نفسه محتوياً على قسمين، المنجد في اللغة، والمنجد في الأدب والعلوم، والثاني من تأليف الأب فردينانْد توتل . أما عن أصل تسميته «بالمنجد» فقد قال عنها المؤلف : «لقد سميناه المنجد وأملنا أن يجد فيه المتأدب أو الكاتب عوناً حسناً ونجدة وافيه في البحث والتنقيب[1]».

وقد بدأ العمل في تأليف الجزء الثاني من الكتاب وهو «المنجد في الأدب والعلوم» في حياة لويس معلوف عام 1930 م . لكنه توفي قبل إنجازه، فأكمله الأب فرديناد توتل بمعاونة نخبة من الادباء والعلماء وذوي الاختصاص في العلوم والفنون جميعها مع

(1) المصدر السابق، ص . 11 .

الاعتماد على عدد من المراجع الهامة كدائرة المعارف الاسلامية، ومعجم المطبوعات العربية والمعرَّبة، وتاريخ الأدب العربي، وتاريخ التمدن الاسلامي، والموسوعات الأجنبية، وتناول هذا الجزء أكبر عدد ممكن من رجال الشرق والغرب من أدباء وعلماء ورجال دين وسياسة، وبخاصة من توفّى منهم دون ذكر الاحياء إلاَّ ما ندر، كما تناول فيه موضوعات شتى منوعة كالبلدان والأماكن والمواضيع العامة وغيرها مزوداً بالخرائط الملونة واللوحات والمصطلحات وغيرها. يقول المنجد اللغوي في شرح مادة ركع:

«ركع: يركع ركعاً وركوعاً: انحنى وطأطأ رأسه، ومنه الركوع في الصلاة، وركع إلى الله: اطمأن إليه. وركع الرجل: افتقر وانحطت حاله. وركع: كبا وعثر ـــ ركّعه وأركعه: جعله يركع ـــ الراكع: (اسم فاعل) جمع راكعون وركّع وركوع: كل شيء يخفض رأسه، الركعة: المرَّة من ركع، والرَّكعة والرُّكعة: الهوَّة في الأرض[1]».

ويقول في فرائد الأدب ضمن حرف الألف:

«أمٌّ فرشت فأنامت: يضرب مثلاً في الرجل يبالغ في البرّ

(1) المصدر السابق، ص. 277.

بالقوم والعطف عليهم، حتى كأنه أم فرشت لابنها فنام وسكن[1] ».

« آخر الداء الكَيُّ : مثل يضرب لانتهاء الداء إلى أقصاه، ومعناه أن المريض يعالَجُ بكل دواء فلا يوافقه، فإذا عولج بالكي لم يبق بعده دواء، وإلاَّ فهو الموت[2] ».

يؤخذ على كتاب « المنجد » عدد من المآخذ مثل وقوعه في بعض الأخطاء أثناء الشروح اللغوية، وترديده لأقوال عدد من المستشرقين المغرضين حول قضايا تتصل بالدين الاسلامي، وإغفاله كثيراً من أعلام العرب والمسلمين داخل المنجد في الأدب والعلوم، فضلاً عن تقصير مؤلفه في استخدام المراجع العربية الأصلية[3].

---

(1) المصدر السابق، ص. 933.

لمصدر نفسه. ص. 932.

(3) انظر ما كتب حول هذه المآخذ في مجلة «اللسان العربي» المغربية للاستاذ عبد الله كنون، العدد 1، 1964، وما كتبه الدكتور مازن المبارك في كتابه « نحو وعي لغوي » تحت عنوان : وقفه عند المنجد، ص. 153-189.
انظر أيضاً : د. عبد الله كنون، نظرة في منجد الآداب والعلوم، القاهرة، معهد البحوث والدارسات العربية، 1973.

صدر الكتاب في ثلاثة وعشرين طبعة حتى الآن، آخرها طبعة بيروت عام 1978 م؛ وهي في مجلد واحد.

4. البستان

ألفه اللغوي عبد الله البستاني[1] عام 1917 وفرغ منه عام 1927 ، وهو يشبه إلى حد كبير معجم قطر المحيط لبطرس البستاني من حيث المادة مع جودة في الترتيب ، وتنسيق الألفاظ ، وحذف بعض العبارات والمعاني منه ، وتعديل بعض التفسيرات التي وردت فيه ، فضلاً عن بعض الإضافات التي استقاها مؤلف البستان من تاج العروس للزبيدي . وقد انطوى كتابه أيضاً على بعض الألفاظ الحديثة التي رافقت التطورات العلمية ، وعلى عدد من المصطلحات الحديثة ، وكثير من الألفاظ المولدة والدخيلة .

أما من حيث العرض فقد وردت المواد الأصلية عند أوائل الشروح بالحبر المشبع حتى تقع العين عليها بسرعة ، إضافة إلى نجم

(1) البستاني (1854-1930 م) عبد الله بن ميخائيل بن ناصيف البستاني ، ولد في قرية « الدبيّة » بلبنان ، من أبرز لغويي العصر الحديث ، كان عضواً في المجمع اللغوي بدمشق ، ومدرساً للعربية في مدارس بيروت ، من أهم مؤلفاته « البستان » ، و « فاكهة البستان » .

وضع قبل كل مادة أصل للدلالة عليها، كما وضعت المشتقات بين أقواس، واستخدمت الخطوط الأفقية تجنباً لتكرار الألفاظ المفسَّرة أسوة بما فعله «المنجد»، و «أقرب الموارد»، واستخدمت بعض الرموز للألفاظ التي يتكرر استخدامها في المعجم مثل: (ج) للجمع.

قال البستاني في شرح مادة «مأس»:

«مأس: الجرح يمأس مأساً: اتسع، و ـــ بين القوم أفسد، و ـــ الناقة: اشتد فعلها، و ـــ على فلان: غضب، و ـــ الدباغ الجلد: عركه.

والمَأْسُ بالفتح: الذي لا يتعظ بعظة أحد ولا يقبل قوله.

المائس: النمَّام، والمسند، قال الشاعر:

أسَوْتُ دمــــاءً حاول القـــــومُ سفكهـــــا
ولا يعــــــدمُ الآسون في الفـــــيّ مائسا

المؤوس: (كصبور) النمام.

الممأس: السريع. و ـــ: النمام

الممآس: النمام و (كالممأس)[1]».

---

(1) عبد الله البستاني، فاكهة البستان، بيروت، المطبعة الامريكانية، 1930. ص. 1326.

يقع كتاب البستان في مجلدين، وقد صدر في بيروت عن المطبعة الامريكية عام 1930 م.

اختصر المؤلف كتابه في كتاب آخر أسماه «فاكهة البستان» إسوة بما فعل بطرس البستاني في كتابه، وقد جرى في ترتيبه على نسق معجمه الكبير في الترتيب والشروح والرموز مع ميل إلى الاختصار بما يتناسب مع طلبة المدارس، وصدر في مجلد واحد فقط عن المطبعة الامريكية ببيروت عام 1930 م. واعيد طبعة ثانية بالاوفسبت عن مكتبة لبنان في بيروت أيضاً.

تشترك المعجمات الحديثة السابقة الذكر بعدد من الصفات، فهي موجهة بصورة أساسية إلى طلبة المدارس، بسبب حاجة هؤلاء إلى مثل هذه الكتب. وقد اتصفت أيضاً بالانتظام في الترتيب والتبويب على أوائل الأصول مع تقديم الأفعال على الأسماء، والمجرد على المزيد، مع الاختصار في المواد والشروح وحذف اسماء الأعلام والبقاع والإقلال من الشواهد واستخدام الرموز.

ومن مزايا هذه الكتب كذلك وضوح الشروح، وضبط الألفاظ بالحركات، واستخدام الصور في التفسير، والعناية

بالمصطلحات العلمية ، والألفاظ الحديثة ، وبخاصة المستحبة منها .

أما أهم ما يؤخذ عليها فهو التصحيف ، والخطأ في التفسير أحياناً ، مع سوء العبارة ، والتمسك بعبارات الأقدمين التي لاتناسب طلبة المدارس .

5. متن اللغة

كلَّف المجمع العلمي العربي بدمشق الشيخ أحمد رضا[1] بإعداد معجم مطول للغة «يجمع فيه ما تناثر من جواهر العربية في بطون المطوَّلات اللغوية القديمة، وإلحاق ما استحدث من الألفاظ والمصطلحات به، فعل هذا ثقة منه بكفاءة الشيخ العلاَّمة، وقدرته الفائقة على الصبر في التمحيض والثبات في الجمع، والعمق في الوعي اللغوي، وإدراك أسرار العربية... فعكف الرجل على البحث والتنقيب، مفنياً في التحصيل والتنسيق والجمع والوضع سنوات طويلة من حياته الدراسية معتمداً على المطوَّلات اللغوية القديمة، كلسان العرب، والتاج، ومحكم ابن سيده، وصحاح

(1) أحمد رضا (1872 - 1953 م) ولد بقرية النبطية بجنوب لبنان، من أعلام اللغة العربية البارزين في العصر الحديث، وهو أحد أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. شارك في تأسيس المحافل الأدبية والعلمية، والجمعيات السياسية السرية لمقاومة الاستبداد العثماني في البلاد العربية، كما مثَّل بلاده في عدد من المؤتمرات السياسية والأدبية مثل مؤتمر الوحدة السورية، ومؤتمر بلوداب، والمؤتمر الإسلامي العام، نشرالمئات من المقالات في مختلف الجرائد والمجلات، وله عدد من المؤلفات المطبوعة، أهمها «متن اللغة».

الجوهري ، وجمهرة ابن دريد ، ونهاية ابن الأثير ، وتهذيب الأزهري ، وأساس البلاغة للزمخشري ، والمصباح المنير للفيّومي[1] » .

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة عن نشوء اللغات بعامة ، فذكر اللغات البابلية والمصرية القديمة ، والفينيقية ، والحثية ، والآشورية ، والآرامية ، ثم تحدَّث عن اللغة العربية بخاصة ، وعن نشوئها وتطورها . كما رتب مادته على أصل المادة المجرَّدة من الزيادات في الحروف كما هو الحال في سائر المعجمات العربية قديمها وحديثها ما عدا معجم الرائد لجبران مسعود[2] ، وجعلها على أوائل الأصول ، مع مراعاة هذا الترتيب الألفبائي أيضاً داخل المواد نفسها ، فالألف قبل الباء ، والألف مع الباء قبل الألف مع التاء ، وهكذا بالنسبة للحرف الثالث والرابع ، بحيث تأتي كلمة (أرز) مثلاً قبل (أرض) ، وهذه قبل (أرط) الخ . . .

---

(1) أحمد رضا ، معجم متن اللغة ، بيروت ، دار الحياة ، 1958 م . المقدمة .

(2) خرج معجم الرائد لجبران مسعود عن هذه القاعدة محاولاً تقليد المعجمات الغربية ، وذلك قصد تسهيل استخراج الألفاظ من المعجم على طلبة المدارس ، ولكن طريقته هذه رفضت من قبل علماء اللغة العرب ، لأن اللغة العربية قابلة للزيادة والاشتقاق من أصل واحد ، بينما نجد مثلاً كلمة (أكرم) في أول معجم الرائد ، وكلمة (كرَّم) في نهايته و (مكرَّم) في مكان آخر ، وهو أمر مرفوض ، لأنه يخالف طبيعة اللغة العربية التي تتميز بالاشتقاق .

كما رتّب الفعل الثلاثي المجرد على ترتيب أبوابه الستة التي يجمعها قول بعضهم :

فتـــح ضم، فتـــح كسر ، فتحتـــان
كسر فتـــح ، ضم ضم، كسرتـــان[1]

وينتقل بعد ذلك فيذكر الفعل المتعدي بالتضعيف من الثلاثي مثل علّم، ثم المتعدي بالهمز مثل أكْرَمَ ثم افتعل وتفعّل وهكذا حتى يصل إلى استفعل. وعندما ينتقل إلى الأسماء يبدأ بالثلاثي المجرد مفتوح الفاء، ثم مضمومها، ثم مكسورها، ثم اسم الفاعل فاسم المفعول، ثم المزيد، ويختم كل مادة بما جاء في أسماء العرب منها، ثم بأسماء الأمكنة والبلدان.

حرض المؤلف عند ذكر الفعل الثلاثي على ذكر مصادره كلها لأنها سماعية ليس لها ضابط مطرّد، أما مصادر الثلاثي المزيد والرباعي المجرد والمزيد فلم يذكرها اكتفاء بعلم القارىء بها لأنها

---

(1) أبواب الفعل الثلاثي المجرد هي :
فعَلَ يفعُل، مثل : نصر ينصُر، أخذ يأخُذ.
فعل يفعِل، مثل : ضرب يضرِب، جلس يجلِس.
فعل يفعَل، مثل : فتح يفتَح، ذهب يذهبَ.
فعِل يفعَل، مثل : فرِح يفرح، علِم يعلَم.
فعلُ يفعلُ، مثل : شرُف يشرُف، حسُن يحسُن.
فعِل يفعِل، مثل : حسِب يحسِب، نعِم ينعِم.

مطرّدة ، إلاّ ماشذ منها عن القاعدة وهو نادر ، فذكره إلى جانب فعله مثل : توضأ وضوءاً ، وتطهّر طهوراً ، وصلّى صلاةً ، على أنه وضع للمصادر المطّرده جدولاً في الكتاب ، كما أشار إلى الفعل المستقبل في الثلاثي المجرد بحركة عينه فوق خط أفقي إن كان مفتوحها أو مضمومها ، وتحت الخط إن كان مكسورها .

وقد اختار المؤلف أيضاً عند تفسير الألفاظ أفضل ما اتفق عليه علماء اللغة قبله من شروح ، متجنباً الاستدلال بجميع أقوال وتعليلات الأئمة على ما ذهبوا إليه منها ، ويعلل السبب في ذلك بقوله : «إن الطالب لا يطلب غير معنى الكلمة وزبدة الأقوال فيها[1] » كما كان حريصاً على ذكر كثير من الالفاظ المهملة والغريبة والدخيلة التي يعود معظمها إلى العصر العباسي ، وذلك حرصاً منه على عدم التفريط بهذه الألفاظ المذكورة في المعاجم القديمة ، وحاول ردَّ الألفاظ العامية إلى الفصحى ما أمكن ذلك ، مع جعله مكان العامي على هوامش الكتاب وأكثره من عامية بلاد الشام ، بينما لم يفسح المجال إلاّ بقدر محدود للمصطلحات العلمية والفنية لأنها برأيه خارجة عن متن اللغة ، وكان إذا ذكر مصطلحاً دخيلاً أورد

(1) المصدر السابق ، ج 1 ، ص . 24 .

اسمه باللغة الأجنبية ، ولكنه تمسك بما وضعته مجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة من ألفاظ ومسمّيات لأغراض حديثة .

ومن مزايا هذا الكتاب أيضاً حرصه على ذكر المجاز إلى جانب الحقيقة، معتمداً في هذا على أصول المعجمات العربية كاللسان ، والقاموس المحيط ، والأساس ، والتاج وغيرها ، واعتمد الرموز توخياً للاختصار ، فقد رمز مثلاً لمجمع فؤاد الأول بالقاهرة برمز (م م)، وللمجمع العلمي العربي بدمشق برمز (م د)، وحاول فضّ النزاع المتعلق بالموازين والمكاييل ومقادير المساحة التي تختلف من عصر لآخر ، بإعطائها ما يناسبها من معايير ومقادير حديثة ، واستخرج النسب المعادلة لها ضمن جداول خاصة .

وتقسم كل صفحة من صفحات المعجم إلى عمودين، كتب في رأس كل عمود الحروف الأول والثاني والثالث من الكلمة التي يبدأ بها تسهيلاً للبحث عن الألفاظ .

يقول المؤلف في شرح مادة «أبد» :

«أبِدَ = أبداً : توحش : غضب . أبّده خلّده ، ومنه الوقف المؤبد : الحبيس مدَّة الأبد لا يباع ولا يشرى .

تأبّد وجهه : كلف ونمش . الأبد : الدهر ، والأبد : أيضاً الولد الذي أتت عليه سنة .

الأبد والأبِدُ والآبدُ : التي تلد كل عام من أتان وغيرها .

الأُبَيْدُ : نبات كالشعير له سنبلة كالدخنة حبها أصغر من الخردل . الأوابد من الطير : التي تقيم بأرض شتاء وصيفاً .

أبّدةُ : بلدة بالأندلس . مآبد : اسم موضع[1]» .

وفي مجال عرضه للألفاظ التي أقرتها المجامع العلمية العربية يقول :

« الوضع الجديد		الموضوع له
الصرح	=	المباني الكثيرة الطبقات ــ ناطحات السحاب .
البهو	=	قاعة الاستقبال الكبرى

---

(1) المصدر السابق ، م 1 ، ص . 133-134 .

الرُّدهة	=	الفسحة أو الصالة [1] » .
« الوضع القديم	=	الوضع الجديد
البوليس	=	الشحنة أو الشرطة .
دائرة الهندسة	=	لجنة التخطيط
ستاتستيك	=	إحصاء[2] . »

صدر الكتاب عن مطبعة دار الحياة ببيروت عام 1958 م في خمسة مجلدات ضخمة أصغرها المجلد الأول في 609 صفحات ، وأكبرها المجلد الخامس ويقع في 843 صفحة .

---

(1) المصدر نفسه، 1 : 100 .

(2) المصدر نفسه، 1 : 114 .

6. المعجم الوسيط

يعد هذا المعجم محاولة جادّة لانتاج معجم عربي حديث يحافظ على سلامة اللغة، فيستبعد الألفاظ الميتة التي لم تعد تفيد في شيء، ويضيف إلى ما هو مفيد منها المصطلحات العلمية الحديثة الملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وذلك وفق ترتيب ألفبائي جيد سهل.

أشرف المجمع اللغوي المصري على إصدار هذا المعجم، لأن من بين أهم أهدافه المرسومة له منذ إنشائه عام 1934 م. «أن يحافظ على سلامة اللغة، وأن يجعلها وافيه بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر»[1]، لذلك قام المجمع بتشكيل لجنة لتأليف معجم يحقق هذه الأهداف والتطلعات[2].

(1) د. عمر الدقاق، المرجع السابق، ص، 222.

(2) شكلت هذه اللجنة من السادة: ابراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار.

لقد حفلَ هذا المعجم بخصائص ومزايا لم يحفل بها غيره من معجمات العصر الحديث، فقد أهمل الكثير من الألفاظ الحوشية الجامدة، والألفاظ المهجورة لعدم الحاجة إليها، أو لقلة فائدتها كبعض أسماء الابل، وصفاتها، وأدوائها، وطرق علاجها، كما أهمل الألفاظ التي أجمعت المعجمات تقريباً على شرحها شرحاً غامضاً، لايبين حقائقها، ولا يقرب معانيها، وأغفل المترادفات الناشئة عن اختلاف اللهجات مثل اطمأن واطبأن، وعس ورعث الخ... وعني بإثبات الحسي المأنوس من الكلمات والصيغ، وبخاصة تلك التي يحتاجها القارىء المعاصر، مع مراعاة الدِّقة والوضوح في الشروح المعزَّزة بالشواهد القرآنية والحديثية والشعرية، والأمثال العربية، والتراكيب البلاغية المأثورة، كل ذلك بأسلوب حي، معبر، واف بالغرض.

اختارت اللجنة المشرفة على تأليف هذا المعجم أشهر المصادر، وأكثرها استعمالاً، كما راعت في صياغتها لمواد المعجم ما أقرَّه المجمع اللغوي المصري من قرارات في مختلف دوراته. أما المنهج الذي نهجته اللجنة في ترتيب مواد المعجم فيتلخَّص في تقديم الأفعال على الأسماء، والمجرَّد على المزيد من الأفعال، والمعنى الحسيَّ

على المعنى الفعلي ، والحقيقي على المجازي ، والفعل اللازم على الفعل المتعدي .

أغفل المعجم الأعلام ، وقصر همَّه على اللغة ، وخطا خطوة هامة في سبيل التجديد اللغوي ، وتوسَّع في استعمال القياس فيما لم يُقَس من قبل آخذاً بما أقرَّه مجمع القاهرة في هذا الصدد ، وأقرَّ كثيراً من الألفاظ المولّدة والمعرَّبة الحديثة ، وشدَّد في هجر الحوشي والغريب ، وأثبت بذلك أن في العربية وحدة تضم أطرافها ، وحيوية تستوعب كل ما اتصل بها ، وتصوغه في قالبها الجميل .

وقد اعتمد المعجم بعض الرموز إسوة بالمعاجم الحديثة مثل : (ج) للجمع ، و (د) للدخيل ، و (مج) لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، واستعان أثناء شروحه بالصور الموضحة لها في بعض الأحيان .

يشتمل المعجم على (30) ألف مادة مشروحة ، ومليون كلمة مضبوطة بالشكل ، مرتبة على أوائل الأصول وفق الترتيب الألفبائي المعروف مشفوعة بنحو (600) صورة توضيحية .

وفيما يلي نماذج مختارة من الكتاب .

يقول المعجم الوسيط في شرح مادة (شَرِبَ) بقوله :

(شَرِبَ) الماء ونحوه شرباً: جَرِعَهُ. و ـــ السنبل الدقيق: اشتد حبه وقرب إدراكه.

(أشْرَبَ) الرجل: حان لإبله أو زرعه أن يشرب. و ـــ رَوِيَ. و ـــ فلاناً: سقاه. ويقال: «أشربني مالم أشرب»: ادعى عليَّ مالم أفعل.

و ـــ اللَّوْنَ: أشبعه. و ـــ اللَّوْن غيرهُ: خلطه به. يقال: أشربَ البياض حُمْرَةً، وأُشْرِبَ قلبه حُبُّ الايمان. قال تعالى: (وأُشربوا في قلوبهم العجلَ بكفرهم).

(شارَبَهُ) مشاربة، وشراباً: شَرَب معه.

(شرَّب): قصب الزرع: جرى الماء فيه. و ـــ فلاناً: جعله يشرَبُ.

(تشرَّب): الماء ونحوه: امتصه على مَهل. ويقال: تَشرَّب الثوب العرق أو الصَّبغَ.

(استشرب) اللون: اشتَدَّ.

(اشرأبَّ) اليه، وله، اشرئباباً: مدَّ عنقه، أو ارتفع لينظُرَ.

(الشارب) **فاعل من شرب . (ج) شرَّابٌ .** و ـــ ما ينبت على الشفة العِليا من الشعر ، وطرماه : شاربان . (ج) شوارب .

(الشارِبَةُ) مؤنث الشارِبِ . (ج) شوارِبٌ . و ـــ القومُ يسكنون على جانب النهر ولهم ماؤه .

(الشَّرابُ) ما شُرِبَ من أي نوع وعلى أي حال كان . (ج) أشرِبةٌ .

(الشَّربُ) القوم يشربون ويجتمعون على الشراب .

(الشِّربُ) الماء يشرب . و ـــ النصيب منه . قال تعالى : « لها شِربٌ ولكم شِربُ يوم معلوم » . و ـــ وقت الشُّربِ . و ـــ مورد الماء (ج) أشرابٌ .

(الشَّربةُ) : المرَّة من الشرب ، و ـــ الجَرْعَةُ .

(الشُّربة) : الحمرة في الوجه . و ـــ مقدار ما يروى من الماء . و ـــ الحَسَاءُ (ج) شُرَبٌ .

(الشَّرَبَةُ) : كثرة الشُّرب . و ـــ العَطَش ، يقال : لم تزل به شَرَبَةُ هذا اليوم . ويوم ذو شَرَبَةٍ : شديد الحر يُشرب فيه الماء

كثيراً . وطعامٌ ذو شَرَبَةٍ : لا يروى بالماء من طَعِمَهُ . و ـــ الحوض الصغير يُحفَر حول الشجرة ويملأُ ماءً لتشربه . (ج) شَرَبٌ .

(الشُرَبَةُ) : الكثير الشرب .

(الشَّرابةُ) : (انظر : الشُّرانة)

(الشِّرِّيبُ) : المولع بالشراب .

(الشَّروب) الكثير الشرب . و ـــ الماء يشرب على كرهٍ لقلة عزوبته . (ج) شُرُبٌ .

(الشَّريبُ) : الشَّروبُ . و ـــ الذي يشارك في الشرب أو ورود الماء .

(المشرَبُ) : الموضع الذي يشرب منه ، قال تعالى : (قد عَلمَ كل أناس مشربهم) و ـــ المشروب نفسه . ومَشْرَبُ الرجلُ : ميله وهواه . يقال هم قوم اختلفت مشاربهم .

(المَشْرَبَةُ : المكان الذي يشرب منه . و ـــ أرض لينة دائمة النبات . وطعام مَشْرَبَةٌ : يشرب عليه الماء كثيراً . (ج) مشاربُ .

(المِشْرَبَةُ) الإناء يشرب به. (ج) مشاربُ [1].

صدر المعجم أول مرَّة عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1960 م، في جزأين، ثم صدر في طبعة ثانية مصورة في بيروت عام 1964. كما صدر مرَّة أخرى عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة في طبعة منقحة عام 1972. ويعد هذا المعجم أول معجم عصري يصدر عن هيئة متخصصة، ولكنه يبقى دون المعجم العربي الذي نصبوا إليه.

(1) المعجم الوسيط، مادة. شرب.

7. المعجم الكبير

كان من بين أهداف مجمع اللغة العربية في القاهرة إضافة إلى ما سبق ذكره، وضع معجم تاريخي للغة العربية، وهو مطلب صعب، يحتاج إلى جهد كبيرة، ومشاقّ كثيرة، وكان المستشرق الألماني فيشر قد بدأ هذا العمل الجليل، ولكنه توفي قبيل الحرب العالمية الثانية قبل انجازه، لذلك أخذ المجمع على عاتقه إتمام هذه المهمة الجليلة، وحاول جهده للحصول على ما كتبه المستشرق فيشر في هذا الخصوص، ولكنه لم يعثر إلاّ على جزء صغير مما كتبه فقط، لأن الأجزاء الأخرى ضاعت بسبب ظروف الحرب، فاكتفى المجمع حتى الآن بطبع هذا الجزء الذي حصل عليه، وتوزيعه على الجهات المعنية في الوطن العربي ريثما يصار إلى إكماله.

كما بدأ المجمع عمله العظيم بإصدار معجم كبير شامل لألفاظ اللغة العربية قديمها وحديثها، وذلك ضمن قالب موسوعي مسهب منظّم، وقد انتهى من تأليف المجلد الأول منه وإصداره، وفيه وصف لما يهدف إليه هذا العمل، وما يشمل من ميزات

تتلخص في جوانب ثلاثة: «جانب منهجي هدفه الأول دقّة الترتيب، ووضوح التبويب، وجانب لغوي عني بأن تصوَّر اللغة تصويراً كاملاً، فيجد فيها طلاب الجديد حاجتهم، ويقف عشاق القديم على منالتهم، وفيه أخيراً جانب موسوعي يقدِّم ألواناً من العلوم والمعارف تحت أسماء المصطلحات والأعلام، وروعي في هذا الجانب الجمع بين القديم والحديث ما أمكن[1]».

ومن المزايا التي ينفرد بها هذا المعجم عن غيره من المعجمات العربية أنه يضع الكلمة العربية مقرونة بالصيغة التي وردت بها في كل من اللغات السامية الأخرى الأكادية، والسريانية، والحبشية، والعبرية، والأوغاريتية، وهو أمر يفيد في الدراسات المقارنة للمادة اللغوية، وفي معرفة مراحل تطور اللفظة العربية، كما يبيِّن طريقة نطقها بالحروف اللاتينية.

ومن نافلة القول أنَّ متابعة هذا العمل الجليل أمر في غاية الأهمية لأنه يقدم للمكتبة العربية ما تصبو إليه، وللقارىء العربي ما يحتاجه ويتمناه.

---

(1) المعجم الكبير، م 1، القاهرة، 1970. المقدمة.

صدر الجزء الأول من هذا المعجم اللغوي بمصر في طبعة خاصة وضعت بين يدي الباحثين عام 1956 م . لتقديم الملاحظات والآراء حوله . ثم صدر المجلد الأول منه عام 1970 م . ويشمل حرف الهمزة فقط ، ويقع هذا المجلد في (700) صفحة ، وهي طبعة لا تخلو من بعض المآخذ اللغوية والنحوية والمطبعية[1] .

(1) انظر الملاحظات التي كتبها الأستاذ حسن الجافي في حول هذا المعجم في مجلّة الهلال تحت عنوان : « تغرات المعجم الكبير » ، عدد جوان 1972 .

8. القاموس الجديد

قامت فئة من اللغويين في المغرب العربي[1] بتأليف هذا المعجم بناء على توصية الندوة التربوية الأولى لبلدان المغرب العربي الكبير المنعقدة في تونس عام1964 م . والتي أوصت « بأن تسعى البلدان الأربعة[2] لوضع قاموس مدرسي ، عصري ، تتوفر فيه الدقة ويسر الاستعمال » .

جاء في كلمة الناشر قوله : « هذا هو القاموس الجديد للطلاب ، المعجم العربي الألفبائي الذي استنفذ عشر سنوات من العمل المتواصل .. كانت في سنة التطور ظاهرة حرص على التجديد ، ورغبة في تنمية الزاد اللغوي ، وإثراء العربية ، وصورة

(1) المعجم من تأليف : علي بن هادية ، بلحسن البليش ، الجيلاني بن الحاج يحيى ، وتقديم محمود المسعدي ، وكلهم من تونس ، كما راجعه كل من الدكتور عبد القادر مهيري ، ومحمد الصادق بسيس أساتذة في جامعة تونس .

(2) البلدان الأربعة هي : ليبيا ، الجزائر ، المغرب ، تونس .

صادقة لعمل علمي، ثقافي، تربوي، يهدف إلى افادة الكاتب، والمربِّي، والطالب، والقارىء، تراث العربية، وذخائر كنوزها[1] ».

اعتمد المؤلفون في تأليف هذا المعجم على عدد من أمهات المعجمات العربية القديمة مثل لسان العرب، وتاج العروس، والقاموس المحيط، والمنجد، إضافة إلى عدد من المعجمات الحديثة مثل متن اللغة، والمعجم الوسيط، والمنجد، وعلى مجلاَّت مجامع اللغة العربية، ومعاجم لجنة تنسيق التعريب بالرباط، وقاموا بتوضيح الغامض، وتبسيط المعقَّد.

أخذ المعجم بطريقة الترتيب الأبجدي في عرض المواد اللغوية دون الاهتمام بأصل الكلمة، وهو أمر لم تقبل به مجامع اللغة العربية. وقد أقرَّ المعجم مصطلحات جديدة شائعة الإستعمال، وولد المعاني العصرية لمدلول ألفاظ قابلة لمثل هذا التطور والتجديد، وأثبت المصطلحات العلمية والفنِّيَّة المقررة من طرف المجامع اللغوية.

---

(1) علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، معجم عربي مدرسي الفبائيٌ، ط 5، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1984.

طبع الكتاب مادة الكلمة بالأحرف الغليظة ، حتى تكون بارزة ، ومغايرة لحجم حروف عبارات نصوص الشرح ، فاختصر بذلك وقت الباحث ، ومكّنه من سرعة الاستفادة والاستعمال . كما جمع شواهده من آيات القرآن الكريم ، والحديث الشريف . والامثال ، والأبيات الشعرية المختارة من أمهات المصنَّفات والدواوين ، مما أكسب المادة ثراء له مفعوله في تهذيب الذوق الأدبي عند الطالب ، وتكوين دائرته الفكرية بالتراكيب البلاغية الفصيحة ، وتجاوز عدد هذه الشواهد خمسة آلاف شاهد .

ويحوي الكتاب مجموعة من المصطلحات العلمية والفنِّيَّة مما أقرَّته المجامع اللغوية ، والمؤسسات التربوية في الوطن العربي ، يربو عددها عن ألف وخمسمائة لفظة ، وبذلك يكون مجموع المفردات المشروحة فيه أكثر من ست وعشرين ألف لفظة . كما يحوي الكتاب في نهايته مجموعة من اللوحات العلمية المناسبة لطلبة المدارس .

يبدأ الكتاب بشرح الألفاظ التالية من حرف الألف :

« آ : حرف نداء .

آبَ : يؤوب ، أب ، أوباً وإياباً : إلى الشيء ، رجع . قال بشّار :

فرُم توبــةً قبــلَ الممــاتِ فإنّنــــي
أخــاف علــيكَ اللّــهَ حِيــنَ تؤوبُ

ـــ إلى الله تاب ، آبت الشمس : غَابَتْ .

آب : هو الشهرُ الثامِنُ من السَّنَةِ الشَّمسيَّةِ (أوت) .

آبِدَةٌ : الآبدةُ هيَ الأَمْرُ العَظيمُ الذي يُتَعجَّبُ مِنهُ (ج) أَوَابِدُ ، وأوابدُ الطَّيْرِ هي التي لا تُفَارِقُ أَرضَهَا صيفاً وشِتَاءً ، ضِدُّها القَوَاطِعُ .

آبِقٌ : الآبِقُ هو العَبْدُ الهَارِبُ من سَيِّدِهِ (ج) أُبَّاق وأُبقٌ .

آبِنُوسُ : الأَبِنُوسُ هو شَجَرٌ خَشَبُهُ أَدْكَنُ اللَّوْنِ صُلْبٌ يُصْنَعُ مِنْهُ خاصَّةً أَثَاثُ المَنْزِلِ ، قال الحصري :

جَعَــلْتَ شَهْــدَ الحَيَــاةِ صَابَـــا
وآبنــــوس الشَّبَــــابِ عَاجَـــا

آتٍ : (اسم فاعل من أتَى) قَادِمٌ .

آتَى : يؤتِي ، آتٍ ، إيتاءً : فلاناً الشيءَ : أعْطَاهُ إيَّاهُ . قال تعالى : ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يؤتِيهِ من يَشَاءُ .

آثَرَ : يُؤْثِرُ ، آثِرْ ، إيثَاراً : غَيْرَه على نَفْسِهِ : فَضَّلَهُ وَقَدَّمَهُ . قال تعالى : ويُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ .

آثَمَ : يُؤْثِمُ ، إيثَاماً : غَيْرَهُ ، أوقَعَهُ في الإثـمِ ـــ اعْتَبَـرهُ آثماً[1] » .

طبع الكتاب مرّات عدة آخرها الطبعة الخامسة التـي صدرت عن الشركة التونسية للتوزيع ، والمؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب عام 1984 م . في مجلد واحد يحوي (1505) صفحة لشرح الألفاظ ، و (30) صفحة للوحات العلمية .

(1) علي بن هادية وآخرون ، القاموس الجديد للطلاب ، المرجع السابق ، ص . 2 .

الفصل الرابع

فوائد لغوية

عند البحث عن كلمة في المعجم، لابد من معرفة ما إذا كانت هذه الكلمة مجرَّدة أم مزيدة، ولابد أيضاً من تجريدها من الزوائد إذا كانت مزيدة، قبل البحث عنها في المعجم، أي لابد من إرجاعها إلى أصلها، وهو أمر اتفقت عليه معجماتنا العربيه جميعها القديمة منها والحديثة، ماعدا معجم الرائد لجبران مسعود الذي رتَّب الكلمات العربية في معجمه كما وردت دون تجريد من الزوائد خدمة منه ــ كما قال ــ لطلبة المدارس، والقاموس الجديد الصادر في تونس.

ولكن علماء اللغة العربية رفضوا هذه الطريقة جملة وتفصيلًا، واعتبروها شاذة مذمومة بين المعجمات العربية، وذلك بسبب تميز اللغة العربية بميزة الاشتقاق، وهي تدعو إلى ضرورة شرح المادة الأصل مع مشتقاتها في مكان واحد دون توزيع على أماكن مختلفة من المعجم.

وانطلاقاً من علاقة بحث (المجرَّد والمزيد) وبحث (الابدال والاعلال) بالمعجمات العربية، وبخاصة ما تقدمه هذه الموضوعات من فوائد في مساعدة الباحث على معرفة المادة الأصل للكلمة العربية التي يريد استخراجها من المعجم، رأينا إضافتها إلى نهاية هذه الكتاب ليفيد منها طلبة العلم في إعادة الكلمات إلى أصولها، بغية التمكن من الرجوع إليها في هذه المعجمات.

1 ـــ المجرَّد والمزيد

يقسم الفعل إلى مجرد ومزيد ، فالمجرَّد ما كان جميع حروفه أصلية ، والمزيد ما زيد فيه حرف أو أكثر على حروفه الأصلية .

والمجرَّد قسمان ، ثلاثي ورباعي ، الثلاثي وله ستة أوزان هي :

فعَل يفعُل : (فتحت عين الماضي وضمَّت عين المضارع) مثل : نصَر ينصُر ، قتَل يقتُل .

فعَل يفعِل : (فتحت عين الماضي ، وكسرت عين المضارع) مثل : ضرَب يضرِب ، جلسَ يجلِس .

فعَل يفعَل : (فتحت عين الماضي ، وفتحت عين المضارع) مثل : فتحَ يفتَح ، وضعَ يضعُ .

فعِلَ يفعَل : (كسرت عين الماضي ، وفتحت عين المضارع) مثل : فرِح يفرَح ، علِم يعلَم .

فعُل يفعُل : (ضمت عين الماضي ، وضمت عين المضارع) مثل : شرُف يشرُف ، كرُم يكرُم .

فعِل يفعِل : (كسرت عين الماضي ، وكسرت عين المضارع) مثل : حسِب يحسِب ، نعِم ينعِم .

ومن الملاحظ أن الحرف الأول من هذه الأفعال الماضية مفتوح دائماً ، والحرف الأخير منها مبني أيضاً على الفتح لأن الفعل لم يتصل به شيء . أما الحرف الذي تغيرت حركته في الماضي بين الفتح والكسر والضم فهو عين الفعل أي حرفه الأوسط .

وقد وجد علماء اللغة أن عين المجرد الثلاثي إذا كانت مفتوحة أتت عين المضارع على ثلاثة أوجه (ضم أو كسر أو فتح) كما في الأبواب الثلاثة الأولى ، وإذا كانت عين الماضي مكسورة أتت عين المضارع على وجهين (فتح أو كسر) كما في البابين الرابع والسادس . أما إذا كانت عين الماضي مضمومة أتت عين المضارع مضمومة ، كما في الباب الخامس .

أحصى علماء اللغة الأفعال الثلاثية المجرَّدة ، فوجدوا الباب الأول أكثرها وروداً ، ورتبوها متسلسلة بحسب الكثرة فالقلَّة

فكانت الأبواب الستة السابقة الذكر، والتي جمعها بعضهم في البيت التالي:

فتـــح ضمٍ، فتـــح كسرٍ، فتحتـــانْ
كسرُ فتـــحٍ، ضمٌّ ضمٍ، كسرتـــانْ

أما المجرَّد الرباعي، فله وزن واحد هو: فعلل يفعلل، مثل دحرج يدحرج، وسوس يوسوس.

وأما المزيد فهو قسمان: مزيد الثلاثي ومزيد الرباعي، مزيد الثلاثي وله ثلاثة أنواع، أولها المزيد على الثلاثي بحرف واحد، وله ثلاثة أوزان هي:

أفْعَلَ يُفعِل، مثل: أكرمَ يُكرمُ، أحسَنَ يُحسِنُ.

فعَّل يفعِّل، مثل: جرَّب يجرِّب، قدَّم يقدِّم.

فاعل يفاعل، مثل: قاتل يقاتل، ضارب يضارب.

وثانيها المزيد على الثلاثي بحرفين، وله خمسة أوزان هي:
انفعل ينفعل، مثل: انطلق ينطلق، انكسر ينكسر.
افتعل يفتعل، مثل: اجتمع يجتمع، اقتدر يقتدر.

افعَلَّ يفعَلُّ ، مثل : احمرَّ يحمرُّ ، ابيض يبيضُّ .

تفعَّل يتفعَّل ، مثل : تعلَّم يتعلَّم ، تبصَّر يتبصَّر .

تفاعل يتفاعل ، مثل : تسابق يتسابق ، تشارك يتشارك . وثالثها المزيد على الثلاثي بثلاثة أحرف ، وله أربعة أوزان هي :

استفعل يستفعل ، مثل : استغفر يستغفر ، استخرج يستخرج .

افعوعل يفعوعل ، مثل : اخشوشن يخشوشن ، اخشوشب يخشوشب .

افعَوَّل يفعَوِّل ، مثل : اجلوَّذ يجلوِّذ ، اعلوَّط يعلوِّط .

افعالَّ يفعالُّ ، مثل : احمارَّ يحمارُّ ، ابياضَّ يبياضُّ .

بينما ينقسم مزيد الرباعي إلى قسمين ، المزيد على الرباعي بحرف واحد له وزن واحد فقط هو :

تفعلل يتفعلل ، مثل : تدحرج يتدحرج ، تبعثر يتبعثر ، والمزيد على الرباعي بحرفين ، وله وزنان هما :

افعنْلَلَ يفعَنْلِلُ، مثل: احرَنْجم يحرَنْجم، افرنقع يفرنقع افعلَلَّ يفعلِلُّ، مثل: اطمأن يطمئن، اقشعَرَّ يقشعِرُّ وهكذا تكون جميع أوزان الماضي المجرَّدة والمزيدة اثنان وعشرون وزناً، والحروف المزيدة هذه لم تزد عبثاً، لأن كل زيادة على الفعل تؤدي معناً خاصاً بحد ذاته، وفي ذلك غنى لمفردات اللغة العربية.

فالهمزة مثلاً إذا زيدت على فعل (خرج) اللازم أصبح متعدياً، نحو: (أخرجت الكتاب من المكتبة)، والألف إذا زيدت على (قتل) أفادت معنى المشاركة، ونحو: (قاتل الجندي العدو)، وهمزة الوصل والنون إذا زيدتا على فعل (كسر) المتعدي جعلناه لازماً، نحو (انكسر الزجاج)، وهمزة الوصل والسين والتاء إذا زيدت على (غفر) حولت المعنى إلى طلب المغفرة نحو: (استغفر المذنب ربَّه)[1].

إن أكثر ألفاظ اللغة العربية تعود إلى أصل ثلاثي، أي مؤلف من ثلاثة أحرف أصلية، وهي تقابل عند الوزن بالفاء

(1) انظر: قدري الحكيم وعبد الوهاب محفوظ، القواعد والاملاء، دمشق، وزارة التربية، 1968، ص. 19 ومابعدها.

والعين واللام (فعل) على صورة الموزون، فيقال في وزن قَمْر: فَعْل، وفي وزن سِدْر: فِعْل، وفي وزن حَسَبَ: فَعَلَ، أمّا إذا زادت الكلمة عن ثلاثة أحرف فيعمد إلى ما يلي:

1. ـــ إذا كانت الزيادة ناشئة من أصل وضع الكلمة على أربعة أو خمسة حروف زيد في الميزان لام أو لامان على أحرف (فعل)، فنقول في وزن دَحْرَجَ: فعلَلَ.

2 ـــ وإذا كانت الزيادة ناشئة عن تكرير حرف من أصول الكلمة كررَّ ما يقابله في الميزان، فنقول في وزن قدَّم: فعَّل، ونقول في وزن جلبب: فعلل.

3. ـــ وإذا كانت الزيادة ناشئة عن زيادة حرف أو أكثر من حروف (سألتمونيها) على أصول الكلمة جئنا بالمزيد بعينه في الميزان، فنقول في كاتب: فاعل، ونقول في مبدع: مفعل، وفي استغفر: استفعل.

ولا بد قبل البحث عن أية كلمة في المعجم من ردِّها إلى أحرفها الأصلية قبل الزيادة، وهذا العمل بحد ذاته يتناول أربعة أمور هي:

1. ــ طرح الحروف المزيدة

القى بحث المجرد والمزيد الضوء على بعض حروف الزيادة، أما بعضها الآخر فيأتي في الاسماء دون الافعال، وهي عشرة حروف، مجموعة في تركيب (سألتمونيها)، يضاف اليها كل تضعيف كاللام في (علَّم)، والياء في (غيَّر).

من هنا نقول أنه للبحث عن الألفاظ التالية (مساجد، علماء، استخراج، شريف، مستغفر، اخشيشان)، نطرح الأحرف المزيدة، ونبحث عنها في المعجم تحت الاصول التالية وهي (سجد، علم، خرج، شرف، غفر، خشن).

2. ــ رد الألف في الكلمة الثلاثية إلى أصلها

الألف إذا كانت ثانية أو ثالثة في أي كلمة ثلاثية فهي منقلبة عن أصل واوي أو يائي، ولمعرفة أصل الألف في الافعال التالية (قال، باع، نجا، رمى) نأتي بالمضارع (يقول، يبيع، ينجو، يرمي)، نحذف ياء المضارعة، ونبحث عن هذه الأفعال في المعجم تحت أصولها الثلاثية: (قَوَلَ، بَيَعَ، نَجَوَ، رَمَيَ). أما

لمعرفة أصل الألف في الأسماء (ناب، باب، عصا، فتى) فنأتي بجمع التكسير للأسمين الأولين (أنياب، أبواب)، والمثنى للأسمين الأخيرين (عصوان، فتيان) ونبحث عن هذه الاسماء في المعجم تحت أصولها الثلاثية وهي (نَيَبَ، بَوَبَ، عَصَوَ، فَتَيَ).

3. ــ فك الإدغام

وهو فصل الحرف المشدَّد، فللبحث عن الاسمين (عِزَّ، سُمّ) والفعلين (عَضَّ، شَدَّ) نفك الإدغام، ونبحث عنها في المعجم في الاصول التالية: (عَزَزَ، سَمَمَ، غَضَضَ، شَدَدَ).

4. ــ إعادة الحرف المحذوف

يمكننا معرفة الحرف المحذوف من الأسماء حين نأتي بمثناها، أو جمع تكسيرها، أو فعلها الماضي.

فمثنى (أب، أخ) هو (أبوان، أخوان) ونبحث عنها في المعجم تحت الأصول التالية: (أَبَوَ، أَخَوَ).

ومثنى (دم) هو (دموان أو دميان) ونبحث عنها في المعجم تحت الأصول التالية: (دَمَوَ أو دَمَيَ).

وجمع التكسير لـ (يد) هو (أيدي) ونبحث عنها في (يدي). والفعل الماضي لـ (صِلَة) هو (وَصَلَ) ونبحث عنها في (وَصَلَ).

وهكذا بعد معرفة أصل الفعل الكلمة يبدأ البحث عنها في كل معجم وفق طريقة تبويبه.

2. الصحيح والمعتل

جميع حروف الهجاء صحيحة إلاَّ ثلاثة أحرف تسمى حروف العلّة وهي الألف والواو والياء. أما الفعل الماضي المجرد بالنسبة لها فهو على الشكل التالي:

1. الفعل الصحيح :

وهو ما خلت أصوله من أحرف العلّة، وينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام هي:

1.1 **المهموز**: ماكان أحد أصوله همزة، مثل: (أخذ، ثأر، بدأ).

2.1 **المضعف**: ما كان عينه ولامه من جنس واحد، مثل: (قلَّ، عدَّ، كرَّ). وقد يكون رباعياً مثل: (زلزل، وسوس).

3.1 **السالم**: ما سلمت أصوله من الهمز والتضعيف، مثل: (فتح، نصر، ضرب).

2 **الفعل المعتل**: وهو ما كان أحد أصوله، أو اثنان منهما من أحرف العلّة، وهو خمسة أقسام:

1.2 **المثال** : ما اعتلت فاؤه ، مثل : (وعد ، يبس) .
2.2 **الأجوف** : ما اعتلت عينه ، مثل : (صان ، زان) .
3.2 **الناقص** : ما اعتلت لامه ، مثل : (نجا ، بنى) .
4.2 **اللفيف المفروق** : ما اعتلت فاؤه ولامه ، مثل : (وفى ، وقى) .
5.2 **اللفيف المقرون** : ما اعتلت عينه ولامه ، مثل : (كوى ، نوى) .

2. الإبدال والاعلال

يشغل هذا الموضوع دوراً بارزاً في إعادة الكلمات إلى أصولها ، وفي استخراجها من المعاجم ، وذلك لأنه قد يكون في أصول الكلمة االعربية أحرف مبدَّلة ، فكلمة (ميقات) مثلًا اصلها (وقت) وجمعها (موقات) أبدلت الواو ياءً فأصبحت (ميقات) .

والبدل هو وضع حرف مكان حرف آخر لعلّة من العلل ، أو لسبب من الأسباب ، وقد عني به القالي أكثر من غيره من علماء العربية ، وكان الأوّل في تبويبه وتركيزه ، كما اهتم كثيراً بالتطبيقات العملية ، حيث بيَّن فيها بعض اللهجات التي تبدل

الحروف ببعضها، وهو أمر لا يهمنا الحديث عنه مطولاً في هذا العرض السريع، بقدر ما يهمنا التعريف بالإبدال والاعلال وتوضيح أهم قواعدهما.

كل ابدال إعلال ولا عكس، فقد نجد إعلالاً في حروف العلّة يصح أن يدخل في باب الإبدال، لأنه يشمل حروف العلّة والحروف الصحيحة، فما كان فيه ابدال في حروف العلّة سمي إعلالاً، وما كان مختصاً بالحروف الصحيحة سمي إبدالاً، وقد جمعت أحرف البدل في جملة واحدة هي « طال يوم أنجدته ».

أمّا أهم قواعد الابدال والإعلال فهي:

1. تبدل الطاء من التاء إذا أتت التاء بعد الصاد في نحو (اصتبر) التي تنقلب في الإبدال إلى (اصطبر)، كذلك إذا أتت بعد الظاء مثل (اظتلم) الظاء ثقيل، والتاء خفيف، فتحول التاء إلى طاء وتصبح (اظطلم)، وهكذا تبدل التاء طاءً إذا سبقتها الصاد أو الضاد، الظاء أو الطاء، وفي صيغة افتعل أيضاً تبدل التاء طاءً.

2. إذا تطرفت الياء والواو وفتح ما قبلهما قلبتا ألفاً، مثل:

سما يسمو ، مضى يمضي، رمى يرمي ، كما تبدل الألف من الياء أو الواو إذا وقعتا عيناً لوزن «فعل، أو للاسم الذي يدل على هذا الفعل.

كما تبدل الألف من التنوين في حال النصب مع الوقف، وتكون الألف بدلاً من النون الخفيفة في الوقف إذا كان قبلها مفتوحاً مثل ضربا .

3. تبدل اللام من النون في نحو : أصيلان، أصيلا .

4. تبدَّل الياء من الواو فاءً وعيناً، مثل: (ميـزان) وزنها مفعال، أصلها (وزن)، وزنها فعل، لو أعدنا أحرف الزيادة تصبح مِوْزان، ابدلت الواو ياءً فأصبحت (ميزان) .

وفي بعض الأحيان إذا وقعت الواو عيناً في الكلمة قلبت ياءً، مثل: (قيل) أصلها (قول) على وزن (فَعَلَ) إذا نقل هذا الفعل إلى صيغة المبني للمجهول، وجب أن نقول (قُوِلَ) ولما كانت حركة الواو الكسر، ويناسبه الياء أكثر من الواو قلبت هذه الواو ياءً ثم نقلت حركتها إلى القاف بدلاً من الضم فأصبحت (قيل).

5. تبدل الياء من الواو إذا وقعت في الكلمة فاءً أو عيناً كما

في قولنا (ميزان) و (مقيت) والفعل الثلاثي، (قات) وهي مشتقة من (قوت) والألف منقلبة عن واو .

6. في حال تثنية الأسماء وجمعها جمعاً مذكراً سالماً تبدل ألف التثنية ياءً في حالتي النصب والجر، كما تبدَّل الواو في جمع المذكر السالم ياءً في حالتي النصب والجر .

7. إذا وقعت الواو عيناً قلبت ياءً مثل (ليَّة) أصلها (لوية) وزنها (فعله) ابدلت الواو ياءً وأدغمت في الياء الأولى .

8. إذا وقعت الواو لاماً في الكلمة ابدلت ياءً في مثل (قصيا)، (دنيا) وذلك أن قصيا مشتقة من فعل قصا يقصو قصواً، وقصوا بمعنى ابتعد، والقصوى والقصية الغاية البعيدة، ولما وقعت الواو لاماً في ميزان هذه الكلمة قلبت ياءً، وكذا الشأن في كلمة دنيا فهي مشتقة من أصل واوي، والدليل أن الفعل دنا يدنو دنوا ودناوة .

9. إذا وقعت الواو لاماً ابدلت ياءً في مثل (غازي) ونحوه، وذلك لأن الفعل من هذه الكلمة أصله (غزو) فاسم الفاعل يجب أن يكون غازِوْ، ويلاحظ هنا أن الواو ساكنة متطرفة وما قبلها

مكسور، والكسر تناسبه الياء، كذا تبدل الواو ياءً فتصبح غازي .

10. تبدل الياء من الواو في مثل (شقِيت) و (عنِيت) فالأولى أصلها من (شقاه) يشقوه بمعنى يغلبه أصلها بالواو، ويلاحظ في هذه الكلمة عندما اسندت إلى ضمير المتكلم أنها يجب أن تكون (شقِوْت) ولما كانت الواو ساكنة وما قبلها مكسور، والكسر يناسبه حرف الياء ابدلت الواو فيها ياءً فقيل (شقِيت)، وكذا الأمر بالنسبة لـ (عنِيت) وأصلها من (عني) يعنو عنواً وعناءً أي صار أسيراً .

11. تبدَّل الواو من الياء في مثل (موقن) و (موسر) ونحوهما، وذلك لأن الفعل في كل منهما بالياء فنقول (أيقن) المضارع منها (ييقن) وحين اشتقاق اسم الفاعل يجب أن نقول (مُيْقن)، ويلاحظ هنا استثقال اللفظ، كما يلاحظ سكون الياء وقبلها مضموم، لذا قالوا : وتناسب هذه الوضع الواو أكثر من الياء فتبدَّل فيه .

12. تبدَّل الواو من الياء في مثل (عموي) و (رحوي) وذلك اذا نسبت إلى (عمى) و (رحى). وأصل (عمى) الألف

فيها منقلبة عن ياء بدليل أن الفعل الماضي (عمي)، وفي التثنية نقول (عميان) كذا بالنسبة لـ (رحى) فنقول في تثنيتها (رحيان). ويلاحظ هنا في حال النسبة ضروة ردِّ الألف إلى أصلها ثم اضافة ياء النسبة، فنقول (عميّي) و (رحيّي)، وهنا يلاحظ تكرار الياء ثلاث مرَّات بحيث أصبح اللفظ ثقيلاً على اللسان، لذا تبدل الياء واواً فتصبح (عمويّ) و (رحويّ).

13. تبدل الواو من الياء في مثل (كوسى) و (طوبى) ونحوهما وذلك لأن أصل الكلمتين، العين فيهما ياء، طاب يطيب، كاس يكيس، وحين نريد اشتقاق كلمة على وزن (فُعلي) يجب أن نقول (طُيْبي) و (كُيْسي) مع ضم الحرف الأول من كل منهما حتى تكون مطابقة للضم في الميزان، ويلاحظ هنا أن الياء الساكنة ما قبلها مضموم، والضم يناسبه الواو، لذا تبدَّلت الياء واواً وأصبحت (كوسى) و (طوبى).

14. تبدَّل الواو من الياء إذا كانت لاماً في الميزان. وذلك في مثل (شروى) و (تقوى)، والأصل يائي في كل من هاتين الكلمتين، لأن شرى مضارعها (يشري)، وتقوى أصلها (تقي)، والأصل الثلاثي (وقى) ومضارعه (يقي) فهو يائي أيضاً. وحين

أشتققنا من هذه الأصول كلمة على وزن (فَعْلَى) أبدلنا الواو من الياء فيهما.

15. تبدل الواو من الياء في مثل (فتو) و (فتـوة) جمع فتيان، وذلك قليل، ويشبه ابدال الياء من الواو في قولنا (عِتيّ) جمع (عات) من عتى يعتو عتواً، أي استكبر وجاوز الحد، و (عِصيّ) جمع عصا، وأصلها (عصو)، والسبب في ذلك أن كلمة (فتو) و (فتوة) مفردها (فتى)، ومثناها (فتيان) وجمعها (فتيان) فالأصل فيها ياء، ولكن هذه الياء تبدل واواً في جمع الفتيان فنقول (فتو) و (فتوة).

16. تبدَّل الواو من الهمزة المبدلة من واو أو ياء عند التثنية أو الاضافة، في مثل (كساوان)، و (غطاوى) وأصل كساوان من كسا يكسو والمصدر والأسم منه يجب أن يكون (كساو)، تبدل هذه الواو همزة فنقول (كساء)، فإذا أردنا تثنية هذه الكلمة أعدنا الهمزة المبدلة من الواو إلى أصلها فقلنـا (كساوان) أو (غطاوى) نسبة إلى الغطاء، وأصل غطاء (غطاي) لأنه من أصل يائي، فإذا أردنا النسبة إليه أبدلنا الهمزة المبدَّلة أصلاً من الياء واواً وقلنا (غطاوى) بدلاً من (غطائي).

17. تبدَّل الميم من الواو في مثل (فم) وذلك قليل في اللغة العربية، فأصل فم (فو) بالواو وهي من الاسماء الخمسة، وهذا يشبه إبدال الهمزة هاءً في كلمة (ماء) بدليل أن الفعل منها ماه يموه وجمعه مياه وأمواه.

18. إذا وقعت الواو أو الياء لامين في الكلمةمثل (شقاء) و (قضاء) ابدلتا همزة، فأصل شقاء واوي بدليل أن الفعل شقاه يشقوه، بمعنى غلبه، فيجب أن نقول في هذا الأسم (شقاو)، ولما وقعت الواو لاماً في الكلمة ابدلناها همزة. أما كلمة (قضاء) فأصلها يائي بدليل الفعل قضى يقضي، ولما وقعت الياء لاماً في الميزان ابدلناها همزة فقلنا (قضاء) بدلاً من (قضاي).

19. تبدل الهمزة إذا كانت فاءً في الكلمة من الواو مثل (أجوه) (إسادة) (أوعد). أما الكلمة الأولى فمفردها (وجه) على وزن (فَعْل) والفاء تقابل الواو في الكلمة، أما (إسادة) فأصل الهمزة فيها واواً، أي يجب إسادة لأن فعلها (وسد)، وأما كلمة (أوعد) فهي مشتقة من الأصل الثلاثي (وعد) و (أوعد) أصلها (وُعد) وهي فعل مبني للمجهول، والمبني للمعلوم منه (واعد) على وزن (فاعل) فلما أتت بصيغة المبني للمجهول (فوعل)

أصبح الفعل بواوين مما يصعب لفظه فأبدلت الواو الأولى منه التي هي فاء الميزان ألفاً أو همزة وأصبحت (أوعد).

20. في صيغة افتعل تبدَّل الدال من التاء إذا وقعت بعد الزاي مثل (ازدجر) على وزن (افتعل) وثلاثيها (زجر)، وعند اشتقاق صيغة (افتعل) لابد من إضافة الألف إلى أولها، والتاء بعد الحرف الثاني فتصبح (ازتجر) ولما وقعت التاء بعد الزاي ابدلناها دالاً فأصبحت (ازدجر).

21. تبدل الواو تاءً إذا وقعت فاءً في الميزان نحو (اتعد)، (اتهم)، (اتلج)، (تراث)، (تجاه) ونحو ذلك. ولو دققنا في الكلمات السابقة لوجدنا الأصول الثلاثية فيها مبتدئة بالواو وهي: (وعد)، (وهم)، (ولج)، (ورث)، (وجه). وهذه الواو تقابل الفاء في الميزان، لذلك تبدل تاءً إذا كانت في صيغة افتعل كما هو الحال في الأمثلة الثلاثة الأولى، أو في الأسمين اللاحقين: تراث، تجاه.

22. تتبدل التاء من الدال والسين، مثل كلمة (ست) التي أصلها (سدس)، ويفرق بينهما وبين (سُدس) التي هي جزء من الستة.

خاتمــة

بعد هذه العرض الموجز لأهم مصادر مكتبتنا العربية في اللغة والمعاجم منذ القديم حتى اليوم، لابد من الإشارة إلى أن المكتبة العربية ما زالت تفتقر إلى معجم موسَّع يكون شاهداً على تطورها، مستقصياً لاستعمال مفرداتها عبر العصور، مستوعباً لما يتولَّد من ألفاظ، استجابة لمطالب العصر الحديث، فالحياة حركة وتجدد، واللغة كائن حي ينبغي أن يساير الإنسان، ويواكب تقدمه حتى أسمى حضارة وثقافة. والمعجم العربي، الجيد، الكامل، الذي يخدم حاجات المثقف العربي في عصرنا الحاضر، لمَّا يوجد بعد، والأمل معقود على علمائنا الأجلاَّء في المجامع اللغويَّة، والجامعات العربية، في إيجاده، ولا غرو أن المعجم الكبير الذي يطَّلع بجمع اللغة العربية في القاهرة بإصداره هو فاتحة هذا الأمل المنشود.

وختاماً أرجو أن يكون هذا الكتاب قد تمكَّن من التعريف بأمهَّات مصادر مكتبتنا العربية في اللغة والمعاجم، وبيان سبل استخدامها.

والله الموفق

المصادر

رتبنا المصادر والمراجع تبعاً للإسم الأشهر عند المؤلفين، مع اهمال الـ التعريف أثناء الترتيب .

1 ـــ ابن الانباري، أبو بكر محمد بن القاسم. كتاب « الأضداد »، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم، الكويت، 1960 م .

2 ـــ ابن جعفر، أبو الفرج قدامة، « جواهر الألفاظ »، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1932 م .

3 ـــ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن « جمهرة اللغة »، حيدر آباد الدكن (الهند)، 1344 هـ .

4 ـــ ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق،

«إصلاح المنطق»، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، 1949 م.

5 ـــ ابن السكيت، أبو يوسف بن اسحاق «كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ»، تحقيق الأب لويس شيخو، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1895 م.

6 ـــ أبو الحسن علي بن اسماعيل، «المحكم»، تحقيق مصطفى السقا والدكتور حسين نصار وعبد الستار فرَّاج، القاهرة، جامعة الدول العربية، د، ت.

7 ـــ ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل «الافصاح في فقه اللغة»، تحقيق عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1299 هـ.

8 ـــ ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل. «المخصَّص»، بيروت، المكتب التجاري، 1966 م.

9 ـــ ابن فارس أبو الحسين أحمد. «مقاييس اللغة»، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، دار إحياء الكتاب العربي، 1946 م.

10 ــ ابن فارس، أبو الحسين أحمد. «الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها»، تحقيق الشورحي، القاهرة، المكتبة اللغوية العربية، د. ت.

11 ــ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم «لسان العرب»، بيروت، دار صادر ودار بيروت للنشر، 1968 م.

12 ــ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم «لسان العرب المحيط»، تجديد يُوسف خيَّاط ونديم مرعشلي، بيروت، دار لسان العرب، 1970 م.

13 ــ أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس. «كتاب الهمز»، تحقيق الأب لويس شيخو، بيروت، 1910 م.

14 ــ أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس، «كتاب المطر» و «كتاب اللبأ واللبن»، ضمن مجموعة (البلغة في شذور اللغة) تحقيق المستشرق أوغست هغنر والأب لويس شيخو، بيروت، 1809 م.

15 ــ أبو مسحل الأعرابي، عبد الله بن حريش، «النوادر

في اللغة »، تحقيق د. عزة الحسن، دمشق، مجمع اللغة العربية، 1961 م.

16ــ الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. « تهذيب اللغة »، تحقيق لفيف من العلماء، القاهرة، سلسلة تراثنا، د. ت.

17 ــ الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب، « كتاب الإبل » و « كتاب خلق الإنسان »، ضمن مجموعة (الكنز اللغوي في اللسان العربي) تحقيق المستشرق أوغست هغنر، بيروت، 1322 هـ.

18 ــ الاصمعي، أبو سعيد بن قريب، « كتاب النبات والشجر » ضمن مجموعة (البلغة في شذور اللغة) تحقيق المستشرق أوغست هغنر والأب لويس شيخو، بيروت، 1809 م.

19 ــ الأصمعي، السجستاني، ابن السكيت. كتب الأضداد، تحقيق المستشرق أوغست هغنر، بيروت، 1913 م.

20 ــ البستاني، بطرس. « محيط المحيط »، بيروت، مكتبة لبنان، 1970 م.

21 ـــ البستاني ، بطرس . « قطر المحيط » ، بيروت ، مكتبة لبنان ،1970 م .

22 ـــ البستاني ، عبد الله . « البستان » ، بيروت ، المطبعة الامريكانية ، 1930 م .

23 ـــ البستاني ، عبد الله . « فاكهة البستان » ، بيروت ، المطبعة الأمريكانية ، 1930 م .

24 ـــ بن هادية علي وآخرون ، « القاموس الجديد » ، تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، 1984 م .

25 ـــ الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد ، « فقه اللغة وسر العربية » تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة ، المطبعة الأدبية ، د . ت .

26 ـــ ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى . « الفصيح » ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ، 1949 م .

27 ـــ الجوهري ، أبو النصر اسماعيل بن حمّاد

« الصحاح » ، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1974 م .

28 ـــ الجوهري، أبو النصر اسماعيل بن حمّاد . « مختار الصحاح » ، اختيار محمد بن أبي بكر الرازي ، القاهرة ، المطبعة الخيرية ، 1308 هـ .

29 ـــ الخليل بن أحمد الفراهيدي . « كتاب العين » ، تحقيق د . عبد الله درويش ، بغداد ، المجمع العلمي العراقي ، 1967 .

30 ـــ رضا ، أحمد . « متن اللغة » ، بيروت ، دار الحياة ، 1958 م .

31 ـــ الزبيدي ، أبو الفيض محمد بن المرتضى « تاج العروس من جواهر القاموس » ، بيروت ، مكتبة دار الحياة ، 1960 .

32 ـــ الزجّاج ، ابراهيم بن السري « كتاب فعلت وأفعلت » مع « كتاب الفصيح » لثعلب ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ، 1949 م .

33 ــــ الزمخشري، أبو القاسم جار الله، «أساس البلاغة»، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1953 م.

34 ــــ الزنجاني، محمود بن أحمد. «تهذيب الصحاح»، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، 1952 م.

35 ــــ الشرتوني، سعيد الخوري. «أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد»، بيروت، المطبعة اليسوعية، 1889 م.

36 ــــ الشيباني، اسحاق بن مرار. «كتاب الجيم» تحقيق شارل كونتس، القاهرة المجمع اللغوي المصري، د. ت.

37 ــــ العسكري، أبو هلال «كتاب التلخيص» تحقيق د. عزة الحسن، دمشق، مجمع اللغة العربية، 1970 م.

38 ــــ الفيروزابادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب «القاموس المحيط»، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، د. ت.

39 ــــ فيشر. «المعجم اللغوي التاريخي»، القاهرة، مجمع اللغة العربية، 1967 م.

40 ــ القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم. «البارع»، تحقيق هاشم الطعّان، بيروت، 1975 م.

41 ــ مجمع اللغة العربية بالقاهرة. «المعجم الوسيط»، ط 3. القاهرة، مجمع اللغة العربية، 1972 م.

42 ــ مجمع اللغة العربية بالقاهرة. «المعجم الكبير»، القاهرة، مجمع اللغة العربية، 1970 م.

43 ــ معلوف، لويس. «المنجد في اللغة والأدب والعلوم»، بيروت، 1978 م.

44 ــ الهمزاني، عبد الرحمن. «الألفاظ الكتابية»، تحقيق الأب لويس شيخو، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1885 م.

المراجع

1 ــ اسماعيل، عز الدين. «المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي»، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1975 م.

2 ــ جمعة، ابراهيم. «دراسة في تطور الكتابة الكوفية»، القاهرة، دار الفكر العربي، 1969 م.

3 ــ الحسن، عزة. «المكتبة العربية، دراسة لأمهات الكتب في الثقافة العربية»، دمشق، 1970 م.

4 ــ درويش، عبد الله. «المعاجم العربية»، القاهرة، مطبعة الرسالة، 1956 م.

5 ــ الدقّاق، عمر. «مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم» ط 5، حلب، منشورات جامعة حلب، 1977 م.

6 ــ زيدان، جرجي «تاريخ التمدن الاسلامي»، طبعة د. حسين مؤنس، القاهرة، د. ت.

7 ـــ الشلقاني ، عبد الحميد « رواية اللغة » القاهرة ، دار المعارف ، 1971 م .

8 ـــ الطرابلسي ، أمجد « نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب » ، ط 5 ، دمشق ، مكتبة دار الفتح ، 1971 م .

9 ـــ العطّار ، أحمد عبد الغفور « مقدمة الصحاح » ، القاهرة ، 1956 م .

10 ـــ عبد السميع ، محمد أحمد « المعاجم العربية » القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1974 م .

11 ـــ مكّي ، الطاهر أحمد « دراسة في مصادر الأدب » ، ط 3 ، القاهرة ، دار المعارف ، 1976 م .

12 ـــ نصار ، حسين « المعجم العربي » ، نشأته وتطوره . ط 2 ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، 1968 م .

13 ـــ نصار ، حسين « نشأت الكتابة الفنية في الأدب العربي » ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية 1966 م .

14 ـــ هونكة ، زيكريد « شمس العرب تسطع على الغرب » ، ط 3 ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، 1979 م .

فهرس اللغويين

رتبنا أسماء اللغويين في هذا الفهرس ترتيباً ألفبائياً تبعاً للأسماء التي اشتهروا بها ، كما أهملنا الـ التعريف من الحساب أثناء الترتيب ، ثم وضعنا أمامها أرقام الصفحات والحواشي التي ورد التعريف بها للرجوع اليها عند الحاجة .

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد	105	2
الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب	235	2
ابن الأعرابي ، أبو عبد الله محمد بن زياد	58	1
ابن الانباري ، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد	71	1
ابن جعفر ، أبو الفرج قدامة البغدادي	249	1
ابن دريد ، أبو الحسن علي بن اسماعيل	130	1

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق	52	1
ابن سلاّم، أبو عبد الله محمد بن سلام الجحمي	77	3
ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل	118	1
ابن عباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب	41	1
ابن العلاء، أبو عمر زبان بن العلاء	32	1
ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي	142	1
ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري	41	4
ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم	182	1
أبو الأسود الدؤلي	20	3
أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس	59	1
أبو الطيب اللغوي	73	2
أبو عبيد، القاسم بن سلاّم الهروي	233	3
أبو عبيدة، معمَّر بن المثنى	41	5
أبو عمرو بن العلاء	58	1
أبو مسحل الأعرابي، عبد الله بن حريش	64	1
البرمكي، أبو المعالي محمد بن تميم	125	2

البستاني، بطرس بن بولس بن عبد الله	277	1
البستاني، عبد الله بن ميخائيل بن ناصيف	294	1
البغدادي، أبو محمد بن عبد اللطيف بن يوسف	57	3
الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد	256	1
ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني	55	1
الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد	50	2
الجوهري، أبو النصر اسماعيل بن حماد	158	1
الخليل بن أحمد الفراهيدي	85	1
رضا، أحمد	298	1
الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن	100	2
الزبيدي، أبو الفيض محمد بن المرتضى	213	1
الزجّاج، ابراهيم بن السري	39	2
الزمخشري، أبو القاسم جار الله	152	1
الشرتوني، سعيد الخوري	282	1
الشيباني، اسحاق بن مرار	125	1
الصاحب بن عباد، أبو القاسم اسماعيل	115	1
العسكري، أبو هلال	252	1
الفيروزابادي، أبو طاهر محمد بن القاسم	200	1

القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم	101	1
قطرب، محمد بن المستنير	39	1
المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد	68	3
معلوف، لويس	287	1
المفضل بن سلمة	100	1
النضر بن شميل	44	1
الهروي، أبو سهل محمد بن علي بن محمد	57	2
الهمزاني، عبد الرحمن	245	1

الفهرس

مقدمة.. 7

الفصل الأول

جمع اللغة وتدوينها

1 ــ حركة التدوين والتأليف عند العرب 15
2 ــ اللغة العربية.............................. 30
3 ــ كتب الغريب.............................. 40

4 ـــ كتب اللغات........................... 47
4 - 1 ـــ كتاب إصلاح المنطق................... 52
4 - 2 ـــ كتاب الفصيح.......................... 55
5 ـــ كتب النوادر 58
5 - 1 ـــ كتاب النوادر 59
5 - 2 ـــ كتاب النوادر في اللغة.................. 64
6 ـــ كتب الأضداد............................ 67
6 - 1 ـــ كتاب الأضداد........................ 71
6 - 2 ـــ الأضداد في كلام العرب 73
7 ـــ كتب الهمز.............................. 74
8 ـــ كتب الأبنية 77

الفصل الثاني

المدارس المعجمية

1 ـــ مدارس الخليل 85

1 - 1 ــ كتاب العين 90

1 - 2 ــ كتاب البارع 101

1 - 3 ــ تهذيب اللغة 105

1 - 4 ــ المحيط 115

1 - 5 ــ المحكم والمحيط الأعظم 118

2 ــ مدرسة البرمكي 125

2 - 1 ــ كتاب الجيم 128

2 - 2 ــ جمهرة اللغة 130

2 - 3 ــ مقاييس اللغة 142

2 - 4 ــ أساس البلاغة 152

3 ــ مدرسة الجوهري 158

3 - 1 ــ الصحاح 166

3 - 2 ــ لسان العرب 182

3 - 3 ــ القاموس المحيط 200

3 - 4 ــ تاج العروس 213

4 ــ مدرسة أبي عبيدة 231

4 - 1 ــ رسائل المعاني........................234
4 - 2 ــ كتاب الغريب المصنَّف................237
4 - 3 ــ كتاب الألفاظ.......................240
4 - 4 ــ الألفاظ الكتابية....................245
4 - 5 ــ جواهر الألفاظ.......................249
4 - 6 ــ كتاب التلخيص.......................252
4 - 7 ــ فقه اللغة..........................256
4 - 8 ــ المخصص.............................261

الفصل الثالث

المعجمات الحديثة

1 ــ محيط المحيط...............................277
2 ــ أقرب الموارد..............................282
3 ــ المنجد......................................287

4 ــ البستان........................294
5 ــ متن اللغة........................298
6 ــ المعجم الوسيط........................305
7 ــ المعجم الكبير........................312
8 ــ القاموس الجديد........................315

الفصل الرابع

فوائد لغوية

1 ــ المجرد والمزيد........................325
1 ــ طَرح الحروف المزيدة........................331
2 ــ رد الألف في الكلمة الثلاثية إلى أصلها 331
3 ــ فك الادغام........................332
4 ــ إعادة الحرف المحذوف........................332
2 ــ الصحيح والمعتل........................334

1 ــ الفعل الصّحيح 334
2 ــ الابدال والاعلال 335
خاتمة 345
المصادر 347
المراجع 355
فهرس اللغويين 357
الفهرس العام 363

اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية / عبد اللطيف الصوفي . ـــ ط .
١ . ـــ دمشق : دار طلاس ، ١٩٨٦ . ـــ 369 ص .؛ ١٨ سم .

١ ـــ ٤١٣ ص و ف ل ٢ ـــ ٤ر١٦ . ص و ف ل
٣ ـــ العنوان ٤ ـــ الصوفي

رقم الايداع ـــ ٨٥ / ١ / ١٩٨٦ .

هذا الكتاب

- يبحث في جمع اللغة العربية وتدوينها وكيف بدأت حركة التدوين والتأليف عند العرب وأهم المؤلفات الأولى.
- يتحدث عن المدارس المعجمية العربية، معرفًا بكل مدرسة، وشارحا خصائصها، وموضحاً أهم المعجمات التي تمثلها ومزاياها وصفاتها مع عرض نماذج مختارة منها.
- يدرس المعجمات الحديثة بالتفصيل والشرح الكافي.
- يعرض بعض الفوائد اللغوية التي تفيد الدارسين في استخراج الألفاظ من المعجمات.